

أحتفالاً بالوجود

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - شارع گولان - اربيل- كُردستان العراق

أحتفالاً بالوجود

فلك الدين كاكه يي

اسم الكتاب: أحتفالاً بالوجود
تأليف: فلك الدين كاكهبي
من منشورات ناراس رقم: ٩٤٠
تنضيد: رضا واحد + سنغر حسين
تصحيح: رضا واحد + حواس محمود
الإخراج الفني والغلاف: آراس أكرم
الطبعة الاولى - ٢٠١٠
رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في إقليم كردستان: ٢٠١٠/٩٢
طبع على نفقة اصدقاء المؤلف

الفهرست

7 مقدمة الطبعة الأولى
31 الفصل الأول: كُلُّنا عطشى إلى الحكمة
43 الفصل الثاني: بشائر مابعد الطوفان
61 الفصل الثالث: شذرات
77 الفصل الرابع: محاكمات ذاتية
93 الفصل الخامس: محاكمة ديوجين
117 الفصل السادس: محاضرات الأتهام لجلسة سرية
137 الفصل السابع: أصوات مبهمه
159 الفصل الثامن: صراع من أجل التوازن
173 الفصل التاسع: ولادة تحت الثلج
199 الفصل العاشر: مجنون يخترق الأنفاق السرية
211 الفصل الحادي عشر: جاندر، سلامٌ إلى كوردستان من همالايا
223 الفصل الثاني عشر: كيف ينطفيء المصباح
239 الفصل الثالث عشر: أحلام رضيعتي
253 الفصل الرابع عشر: الشاعر
271 الفصل الخامس عشر: مجانين في أجازة
291 الفصل السادس عشر: سيظل الماء يجري
309 الفصل السابع عشر: ذا يوم آخر أعيشه

مقدمة الطبعة الأولى مغزى الأحتفال بالوجود

بقلم: المؤلف

٢٠٠٩/٨/٢٥

١

هل احتفلت يوماً ما بوجودك هنا في هذا الكون؟

لم تحتفل؟!!

اذن، عشت غافلاً عن هذا الوجود الجميل، الذي يفوق المعجزة.

لن يهيء لك أحد مثل هذا الأحتفال. تلك هي مسؤوليتك... اذ يقتضي الأحتفال الذاتي بالوجود يقظة وجدانية (داخلية) مفاجئة تعيدك إلى الأصل الذي جئت منه.

هذا هو، باختصار، معنى معظم القطع أو اللوحات في صفحات هذا الكتاب، وهو الثالث، ضمن عدة كتب عن توجهات مشابهة لايقاظ الانسان من غفلة الوجود.

كل قطعة أشبه بلوحة مكتوبة مستقلة، وان كانت تكمل بعضها... سبق أن نشرتها جريدة "التأخي"^(١) سنوات ١٩٦٧-١٩٧٤ في زوايا صحفية يومية متنوعة تحت عدة أسماء: تارة بأسم زاوية (حلاجات)، وتارة (المدار الأخير) أو (أقواس قزح)، وأخيراً زاوية (صوت).

٢

لن أتحدث عن أشكال التعبير أكثر من ذلك... وأعود إلى المعنى الغامض

7

الذي كان يحفزني من الأعماق، والذي كان يدفعني إلى مثل هذه التعبيرات السائبة، المشوشة أحياناً، المبتوثة في هذا الكتاب الذي يضم بعض لوحات ١٩٧٢.

كما قلت في مقدمة الكتاب الثاني (موطن النور): ليست اللوحات بنفس المستوى، فقد يكون بعضها ركيكاً سطحياً، وبعضها شاعرياً... وبعضها الآخر مجرد خاطرات عابرة. فالهمم أنني سجلت ماكنت أعاني وأشعر. أما الفكرة الأساسية فهي الوصول إلى اليقظة الداخلية (الروحانية أو الوجدانية أو الوجودية... سمه ماشئت).

لعلّ (اليقظة الوجودية" هي أقرب المضامين، لأنني رأيت الانسان طالما يعيش في غفلة عن نفسه، غفلة عن وجوده، غفلة عن هذا الكون الأنيق الفسيح الذي هو جزء صغير جداً منه.

وليس عجباً بعد ذلك أن يكون الانسان آخر الأحياء احساساً بالوجود، وأخرها معرفة بمعنى الاحتفال بهذا الوجود.

انها معرفة تغمرك، وهي في متناول الفكر والشعور، وأنت لاحتجاج الى كثير من الجهد حتى تدرك أن هذا الوجود الرائع جدير بالاحتفال كل لحظة.

فأنت تحتفل بالأعياد الموسمية والاجتماعية، تحتفل بميلاد طفل أو امرأة، تحتفل بافراح صديق أو فرد من العائلة... تحتفل بعودة غائب أو تحرر معتقل أو نجاح تلميذ... كلها أفراح مشروعة ومفيدة لك وللآخر المحتفل به.

هذه الأفراح الصغيرة هي أحتفالات طارئة سريعة بالوجود من حيث لاتدري ولا يدري الآخرون.

فأنتم جميعاً لن تحتفلوا مالم تكونوا موجودين (الآن) و (هاهنا)... ذلك هو سر بسيط وعميق إن أنت أكتشفت أين أنت الآن ... بمعنى: في أي مكان وزمان، في أي (زمكان)، لأن الزمان والمكان متلازمان أبداً كوجهين لحقيقة واحدة.

وقد تكون في مكان واحد وأزمان مختلفة ... بمعنى أنك في نفس المكان

الفيزيائي تفكر في أيام وأشهر وسنوات ماضية ومقبلة. فأنت مستقر في مكان وتتجول في أزمان متنوعة.

كذلك قد تكون في لحظة واحدة تفكر في عشرات الأماكن، تسافر إليها عبر الذهن والخيال..

هذه الأفكار والرؤى والخيالات والتمنيات والاحلام هي بمثابة ظلال باهتة لما سيكون عليه الاحتفال الاساسي الكبير بالوجود، فيما لو أقمته لنفسك.

٣

والانسان يعيش غافلاً عن وجوده، حتى أنه ليكاد ينسى وجوده تماماً، فتمر الساعات والأيام والأشهر والسنوات وهو لا يتذكر سوى أحداث متفرقة تافهة (بأستثناء بعض الرجات والهزات لمآسي وكوارث مفاجئة)...

فالإنسان، وهو في سفر الغفلة والنسيان يحتاج الى منبّه يوقظه، سواء كان من انسان آخر، أو من حادثة طبيعية، أو من ذاته وأفكاره ... فإذا استيقظ فجأة سيجد نفسه محروماً وسط صحراء، معزولاً وسط غابة، وغريباً وسط مدينة مزدحمة، إلا إذا استعاد الصفاء والصحو الوجداني ليرى كل شيء حوله جميلاً مشرقاً، حينذاك يعود الى اشراقه داخلية منعشة.

ومنتهى المآل هو الوصول الى هذه الاشراقه، التي تجعلك ترى الدنيا من عدسة مصباح كبير مضيء يبيث الضوء حوله ليكشف عما هو موجود.

ولم يكن شيخ الاشراق غريباً عن هذا الجمال الكوني، بل غاص فيه حتى نسى نفسه مرة أخرى، وأستبدت به الشطحات الصوفية التي أودت بحياته الدنيوية.

فالسهروردي، شيخ الاشراق، الذي اغتالوه في زناناته الأنفرادية في حلب كان فيلسوفاً اشراقياً، أعاد الحياة إلى اشراقية أفلاطون وفيثاغورس وزملائه، الذين اخذوها بدورهم من ثقافة النبي الحكيم زردشت. وهكذا هي دورة الفكر والحياة، تأتي وتذهب ثم تأتي في دورة حلزونية، لتتواصل.

فما نقوله الآن ليس جديداً، إنما البسناه ثوباً جديداً من كلمات ومضامين الحاضر.

٤

الانسان، حين يسير غافلاً، لايتذكر موضع قدمه، ولا يفكر في الأرض التي يمشيها، ولا في الأشجار والأحجار التي يمر بها، ولا يتأمل في أعضاء جسمه كيف تعمل، وهو يتحرك بها، ويرهقها بلا رحمة أو شفقة. وقد يتصور كل عضو في جسده مستقلاً بذاته، في حين أنه عضو من كائن كوني هائل، لاتحده حدود، ولاتتصوره أذهان.

هذه الغفلة عن أقرب وأدق الاعضاء المرتبطة بك، بلا أي فراغ، هي التي تفسر تعاستك وشقاءك. فأنت ترى كل شيء، حتى وجودك، ثقيلاً وعبئاً عليك، بينما أنت لاشيء بدون كل ما أنت فيه وسط البيئـة والكون. فما لم تتحرر من الغفلة والنسيان لن تبلغ مبلغ السعادة المنشودة.

وغاية الحياة هي السعادة والمرح والطمأنينة.

أنت لاتلاحظ كيف أشياء الأرض ومخلوقاتـها تحتفل بهذا الوجود، وتحتفل بك من حيث لا تدري أنت.

فأنت مثلاً في طريقك عبر الشارع إلى العمل أو المدرسة قد لاتلاحظ ايماءات الاشجار التي تمر بها يومياً، كيف تبتهج لمروك صباحاً وعودتك مساءً... وقد لا تنتبه إلى طير ما وهو يطل لك من بين الأغصان كلما مررت بها، ولا تشعر بنظرات تلميذ معين في صفك بالمدرسة أو الجامعة وهو ينظر اليك بحنان منتظراً لفتة حنان منك... أنت تمر بكل هذا دون أن تدرك وتحس...

فأشياء الارض تعرفنا، ونحن لانعرفها.

أشياء الارض تحتفل بوجودها (ونحن من هذا الوجود)، بينما أنت غافل.

من النادر أن يصل الانسان الى تلك اللحظة المتسامية من الشعور الحقيقي بالوجود، الى حد الرغبة في الاحتفال به.

والغاية من (الأحتفال بالوجود) هو ان تعيشه بملء حياتك، ان تخلد الى الصمت المتأمل العميق وتتنفس بهدوء ورتابة وأنتظام، وتسحب عبر تنفسك عبق هذا الوجود.

قد تكون الكلمات عاجزة عن التعبير الواقعي، وقد تكون المرامي غامضة أحياناً، إلا أنني أعتد على جملة تجارب حية لأناس عارفين ومتصوفة ورهبان ومبدعين، وعلى تجربتي الوجودية القصيرة... فالذي يشق هذا السور السميك من غفلة ونسيان، ويطل برأسه عبر السور نحو زرقة السماء الصافية ذات يوم خريفي منعش، سيبلغ مبلغ تلك النشوة الروحية التي لن يعود عنها مهما أدلهمت حوله الايام... لأن "الواصل" الى الأشرقة الداخلية، سيظل سعيداً مبتهجاً محتقلاً بالوجود حتى وهو في أصعب الأحوال، بل حتى وهو يشرف على الموت. فهي حالة لايمكن ان توصف بل يجب ان يتذوقها الانسان بنفسه. اذهب وشاهد، وكفى!

واظن أنها حالة من حالات الشهود، وحتى الشهادة. أعذروني ان كان تفسيرى مشوشاً!

ان أحد اسرار هذه الحالة هو أنه يتركك حراً طليقاً لتذهب حيث تشاء وتقول مايعنّ لك... فالغاية هي ان يعود الأنسان الى الحرية العاربية في الوجود... فالوجود موجود حراً، وعلى اساس الحرية... أما مانراه فيه من قيود أو غبن أو أجحاف فهو أت من غفلتنا، اذ ننسى الحقيقة في لحظة من الأنانية.

٥

الابداع هو أحد تجليات الأحتفال بالوجود، لأنه ذروة عملية الخلق. ولا يتلخص (الأبداع) فقط في الادب والفن... فعملية الأبداع أوسع وأعمق، تشمل كافة جنبات الحياة. فالبداع الحقيقي هو من وصل ذروة الأحاساس بالوجود والأحتفال به.

ويمكن لكل انسان ان يبدع حيث هو. فالأبداع ليس فيما ينتجه بل هو في

عملية الخلق. حتى ليقال ان عملية الخلق الفني هي عملية اعادة خلق الانسان لنفسه.

ويمكن للمرأة ان تبدع في الطبخ كما يمكن للنجار ان يبدع في صنع منتوجات جميلة يزين الحياة اليومية للعائلة، كذلك للمزارع ان يبدع في رعاية وتشذيب الاشجار وتربية النحل، والعناية بالبساتين. وكلما كانت العناية ابداعية كلما اشرفت النباتات والأرض بالجمال.

فالتبيعة تدرك ذاتها، وهي تعالج نفسها وترمم نواقصها وخلل توازاناتها إن تركناها لحالها... إلا ان تدخل الانسان فيها أفسد فيها المعادلات الطبيعية الضرورية للأستمرار.

بمعنى ان الارض التي يحنو عليها الانسان ستحنو على الانسان وسائر المخلوقات.

نسى الناس هذه الحقائق البسيطة، حتى كادوا يكفرون بها ويسخرون منها، بينما هم بذلك يسخرون من وجودهم الذي لايعدو هذه الارض وبقية الكواكب والمجموعات الى آخر مدى الكون.

ما أقول الآن ينبع من قناعاتي ان أشياء الارض تعرفنا وتحنو علينا، بينما لانعرفها نحن ونستخف بها. هذا الاستخفاف هو الميكروب الفتاك لحياة البشرية الآيلة للفساد (بمعنى التفسخ مثل النباتات المهشمة)، وبالتالي متسارعة نحو الأضمحلال. واما اذا زالت حياة البشر وأنتهى المجتمع البشري فإن صيرورة الطبيعة لن تتوقف وستعوض ذاتها بأشكال أخرى من الحياة، هي اشكال جديدة للتعبير والابداع.

وأما أفة الاستخفاف فهي الغرور الذاتي الذي يتمك الانسان في هذا العصر. وهو غرور فارغ تافه ومثير للشفقة. فعلى ماذا يغترُّ الانسان ويزهو؟ فهو لم يخلق أي شيء من أشياء الارض وموجودات الكون. فهي موجودة قَبْلَهُ ودونه. واما ما صنعه الانسان فهي بضعة اختراعات واكتشافات بعضها مفيدة له، ومعظمها مضرّة بالطبيعة. حتى الطاقة الكهربائية المفيدة جداً للإنسان أصبحت

تتحول منتوجاتها الصناعية إلى طاقة مدمرة للطبيعة، أي للبيئة التي خلق فيها
الأنسان، ولا يعيش بدونها.

فالهدف من نيل الشعور بالأحتفال بالوجود هو رجوع الانسان عن الغفلة
والنسيان وعودته إلى الانسجام الطبيعي مع الوجود، وذلك بأحترام كل مافي
هذا الوجود من حياة نبات وحيوان وموجودات.

فأحترام الكائنات هو أعمق لحظات الاحتفال بالوجود، كما نغنيه.

إلا ان الانسان بالأحترام للموجودات، أي بالوجود ذاته، فإنه يمتليء بذلك
الحب الشامل العميق الذي عناه العارف المتصوف الكبير (ابن عربي) الذي
يعتبر واحداً من ثلاثة حكماء مسلمين: أبن سينا، والسهروردي، وأبن عربي،
حين قال شعراً:

(لقد صار قلبي قابلاً كل صورة)

فمرعى لغزلانٍ ودير لرهبان

(وبيت لأوثان وكعبة طائف)

والواح توراة ومصحف قرآن

(أدين بدين الحب أنى توجهت)

ركائبه، فالحب ديني وإيماني)

في هذه الابيات يعبر ابن عربي (١١٦٥ - ١٢٤٠م) تعبيراً شاملاً عن عقيدته
في وحدة الأديان السماوية، وكذلك أعتقاده الراسخ في وحدة الأحساس
الأنساني بحكمة الوجود، فهو يتعالى عن الفروقات، ويساوي في رؤياه في حقول
مختلفة، فالحكيم العارف محي الدين ابن عربي غارق في الحب الالهي الذي
يوصله الى وحدة الوجود المتعالية. فهو يرى ان المعرفة في اساسها هي "الرؤيا"،
ويرى وحدة الوجود المتعالية في حقيقة "ان الله متعال تعالياً مطلقاً بالنسبة الى
الكون، فإن الكون ليس منفصلاً عنه تماماً. أي ان الكون غارق على وجه خفي
في الله..." بمعنى آخر ان الكون ومافيه من الكائنات ليست الله، ولكن وجودها
ليس شيئاً آخر غير وجوده..."^(٢).

احدى تجليات هذا الحب الشامل للكون وخالقه نراها في اشكال اخرى للتعبير عند آخرين. وكان ابن عربي يقتفي أثر المتصوف الشهير الحسين بن منصور الحلاج (٨٥٧ - ٩٢٢م) والحلاج من القائلين^(٣):

مواجهيدُ حقٌّ أوجَدَ الحقُّ كُلُّها	وإن عجزتْ عنها فهُومُ الأكابرِ
وما الوجدُ إلاَّ خطرةٌ ثمَّ نظرةٌ	تنشيءُ لهيباً بين تلك السرائرِ
إذا سَكَنَ الحقُّ السريرةَ ضوعِفَتْ	ثلاثةُ أحوالٍ لأهل البصائرِ
فحالٌ يبیدُ السرَّ عن كُنه وصِفِه	ويُحضِرُه للوجد في حال حائرِ
وحالٌ بهِ زُمْتُ ذرى السرِّ فانْتَنَتْ	الى منظرٍ أفساهُ عن كل ناظرِ

والقاريء المطلع يعرف أن للحلاج لغة خاصة به، غامضة ومكتنفة بشدة يصعب فتح مغالبيها. وما يعنيه (بالوجد) هي شرارة الحب الالهي الشامل التي تشعل اللهب في كيان المتصوف.

جميع أشعار وكلمات المتصوفة تدور حول هذا المعنى، وهم غالباً ما يعبرون عن أحتفالهم الروحي بالوجود (الذي هو من تجليات الله) فيبدعون شعراً أو نثراً.

فهو (اي الحلاج) يُنشد في حالة (وجد) أخرى، منتشياً سكران بحبه للخالق ووجوده، قائلاً^(٤):

حويتُ بِكُلِّي كُلَّ كُلِّك يا قُدسي	تكاشفُني حتَّى كَأَنَّكَ في نَفسي
أَقْلَبُ قَلْبِي في سواكَ فلا أرى	سوى وحشتي منه وَأنت في نَفسي
فها أنا في حَبْسِ الحِياةِ مُنْعَعٌ	عن الإنسِ فأقبِضني إليك من الحبسِ

تأمل في هذه الفقرة من قول الحلاج:

"حويتُ بِكُلِّي كُلَّ كُلِّكَ ..."، وكأنه أصبح محيطاً بالوجود كُلِّه، ثم يرى نفسه "حبس الحياة" لا يأنس بشيء، فيتمنى ان يقبضه الخالق إليه... أي: ان يتحرر من الوجود.

فالتصوف يَمُنح الحرية الوجدانية للإنسان، فينتقل إلى الوجود الفسيح للغاية، لذا يتوصل بسهولة إلى أصل التنوع الحيوي (أي: تنوع الأحياء) والتنوع الديني والثقافي، فيحاول أحتواء الجميع كما هو في تعبير الحلاج، وهذه هي مقدمات الاحتفال بالوجود الشامل كما هو.

٧

وإذا ماخرجنا عن دائرة التصوف والعرفان، سنرى اندماجاً كلياً بالوجود والطبيعة لدى كتاب وضعيين عديدين، وأقطاب روحيين لعقائد مختلفة.

ونجد ان الأنبياء والمصلحين والعارفين والعلماء الكبار هم ممن آثروا الأنعزال عن الناس فتراتٍ معينة من حياتهم فتفرغوا للتأمل والتركيز في شؤون الوجود والكون وحياة المخلوقات والنباتات وأشياء الأرض.

هذه الخصلة تكاد تكون عامة بين هؤلاء. فالنبي ابراهيم راقب النجوم والكواكب وحركة الكون حتى توصل الى الاعتقاد بوجود ربٍّ واحد عظيم يحرك هذه الكينونة.

وتذكر كتب المؤرخين والمفسرين ان أشياء الأرض تتجاوب مع ظهور الحوادث الكبيرة.

فيكتب حامد عبدالقادر^(٥) ان الأساطير تروي عن ولادة زرداشت الحكيم ان روح القدس حلت بجسد الطفلة (ام زردشت لدى ميلادها)، وكانت هذه الروح جزءاً لا يتجزأ من كيانها الذاتي... وتقول الأساطير ان شبحين نورانيين ظهرا لوالد زردشت، اثناء رعيه للغنم، وأبلغاه انهما ملكان وقدمتا إليه غصناً من أغصان نبات الهوما (المقدس) وطلبا منه ان يحمل الغصن الى زوجته لأنها تحمل كيان الطفل الروحاني. وتضيف الأساطير^(٦) عن مولد زرداشت:

”أحاط بالدار التي ولد بها زرداشت نور قدسي وهاج، وهبط من السماء نجم عظيم، ودنا من الأرض، اعلن النبأ السار، وظهر في عرض الأفق في السماء كوكب عظيم ملاً ضياؤه جميع أنحاء الفضاء ... لقد فرحت الأرض واستبشرت السماء بمولد زرداشت.

ويكتب خالد السيد محمد غانم^(٧): حينما بلغ (زردشت) العشرين من عمره - كما ذكر بعض الباحثين - أثر العزلة، فهجر قومه، وراح بعقله وفكره يتأمل في خالق هذا الكون، وذهب بنفسه بعيداً عن الناس - بغية تزكيتها - وكان هذا - على ما سيأتي أنشاء الله - قرابة عشر سنين. ثم لما بلغ الثلاثين من عمره قيل إنّه نزل عليه الوحي في أعتقاد الزرادشتيين "...".

فالاندماج الكلي بالطبيعة يعيد الأنسان الى الفطرة ويمسك بيديه نحو الأنفتاح على روح هذا الوجود.

وإذا ما أقتربنا من القرون الحديثة لطالعتنا تجربة روسو في فرنسا، وتجربة الكاتب الامريكي هنري ثورو (١٨١٧ - ١٨٦٢)^(٨) في الولايات المتحدة الامريكية، التي تعلم غاندي منه أسلوب الحياة الطبيعية. وهو (أي ثورو) القائل "بالعصيان المدني"، وكان يقصد بذلك ان نكون أحراراً بحيث لايربطنا المجتمع بعادته وأهدافه وأساليبه وقيمه، لأن لكل منا حق الاستقلال في تنظيم عيشه وفق مبادئه الشخصية، حتى حين يخالف العرف المألوف. وقد خرج غاندي هذه العبارة تخريجاً آخر هو ان الهنود يجب ألا يتعاونوا مع الأتكليز.

وقد عمد ثورو الى ترك حياة المدينة حيث المنافسة التجارية والجشع والنزاعات الاجتماعية فلجأ الى الريف الأمريكي وأقام في الغابة. سرد قصته في كتابه "والدين" فيقول عن ذلك:

"لقد اردت ان اعيش عن قصد، وأن اجابه، حقاً، عمق الحياة الأصلية فقط، كي أعرف ما يمكن أن تعلمني هذه الحياة، حتى اذا قاربت الموت أكون واثقاً باني قد عشت. ولم أكن أرغب في ان أحيا بما لم يكن ضرورياً، إنما اردت أن أعيش في عمق، وأمتص معُ الحياة، وان أحيا في قوة حياة إسبرطية تبعد عنّي مالميس من الحياة، وان ادفع الحياة إلى مأزق، وان أصل منها إلى أن ادون مافيها، فاذا كانت خسيسة فاني سوف أعلن خستها للعالم، واذا كانت سامية فاني اريد أن أعرف هذا السمو، وأجره واقدم عنه حساباً.

ذلك معنى "عصيانه المدني" حيث حاول التخلص من القيم والأوزان

الأجتماعية كي يصل الى مايقابلها من القيم والأوزان البشرية التي تعلق على العادات والعرف.

إنني أنقل تجربة هنري ثورو لأنه، كما يبدو لي، قد أحتفل بالوجود على طريقته الخاصة وتعلم بالفطرة عن طريق التأمل، بعد ان عاش في المدينة (وهي كونكورد الأمريكية)... وأقترب من الأحساس العميق بالطبيعة، كما ورد في قوله:

"ان الطبقة العليا من التربة التي تحتوي جذور الأعشاب تحوي من الادوات الميكانيكية ماهو اذق من ادوات الساعة. ومع ذلك نحن ندوسها بأقدامنا. وهذه الحركة التي تجري في التربة في الظلام، وهذه الكيمياء التي تتخلل الياف العشب قبل ان تظهر ورقة واحدة منه فوق الفتات البالي، لجديرتان، لو اننا فهمناهما، باعظم كشف في الطبيعة"^(٩).

لم يكن ثورو يدعونا الى التخصص في دراسة الطبيعة وانما كان يطالبنا بأن نعيش في الطبيعة... نرتبط بها، بالارض والجبل والنهر والشجر والحيوان والطائر، فيجب ان نعيش في الاشياء أو فيها...

الى كل ذلك كان يعدد فوائد الحياة المتحضرة في المدينة، ويراهها مكملة للحياة في الطبيعة لو عرفنا فن معاشتها.

واما عن التصاقه بالطبيعة فصار يصفها كأنه قد أنتشى بها... كأنه قد تزوجها ويحس فيها طرباً جنسياً قد بلغ الذروة، ويحس بعلاقته بالاشياء حتى يرى ان الانسان والحيوان ابن عم لأشجار الصنوبر واحجار الصخر... وليست الارض التي ادوسها هامة متينة، اذ هي جسم وروح، وليس لأمعائها الدقيقة نهاية. ان للطبيعة أمعاء، ثم هي أمُّ البشرية^(١٠).

يجب ان تصعد فوق الجبل كي تعرف العلاقة بينك وبين المادة، لأن جسمك يجد بيته هناك. ويقول:

- أنظر الى أصابعي وكيف أتناول وأعيبث بها. أجل انها، هذه الاصابع، قد تكون جزءاً من قمة هذا الجبل الذي اصعد قمته كي ارى ابناء عمومتي (يقصد

بهم الاشجار والحيوانات)...

ويقول:

- عش في كل فصل من فصول السنة، تنفس الهواء، وأشرب الشراب وتذوق الفاكهة واستسلم لها جميعاً. ولتدفعك جميع الرياح. وافتح مسامك جميعاً، واستحم في مد الطبيعة وفي انهارها ومحيطاتها في جميع الفصول. وأخيراً، ننقل قوله:

- اذا كنت تحس أنك تستقبل النهار والليل في طرب وفرح، واذا كانت الحياة تنقل اليك أنفاس الزهر والعشب في أرج جميل، فأنت موفق، والطبيعة تهنئك، ولك الحق عندئذ في ان تحس انه قد بورك عليك...^(١١)

هذا الاهتمام بنقل نظرات الكاتب الامريكي ينبع من ادراك أنه عاش في الأشياء داخل الطبيعة، فأحتفل بالوجود هذا الأحتفال المهيب، وتكاد تجربته الروحية او الادبية تقترب من حياة طبيعية حرة مماثلة يعيشها الرهبان البوذيون في معابدهم الجبلية بين الأشجار والمخلوقات، كذلك المتصوفة عامة من كافة الأديان والمذاهب، الذين يعزلون عن الناس وصخب المدن والاماكن المزدحمة ويكتفون بهذا القدر الذي عاشه ثورو، وهو يتأمل في ذاته وأشياء الأرض وظواهر الطبيعة المتنوعة.

٩

في الثقافة الكردية مفكر نابغة كان يهتم بالطبيعة وينشر ثقافة الأهتمام بالبيئة، وهو الشهيد شاكرا فتاح (١٩١٣-١٩٨٨) الذي قتله نظام البعث في آذار عام ١٩٨٨ عقاباً على تعبير جريء أبداه بوجه النظام داعياً اياه الى التعامل مع البيشمركة، أي: مع الحركة الكردية آنذاك، والتحاور معها لحل القضية الكردية سلمياً، مامعناه ان الشهيد دعا النظام إلى الاعتراف بوجود المقاومة والقضية الكردية، في وقت كان هذا النظام يشن حملة أباداة وتطهير عرقي في كردستان. كان التفوه بمثل هذه الحقيقة، في ظل ذلك النظام وفي تلك الظروف، شجاعة

نادرة قدم الكاتب حياته ثمناً لها. وقد سجل مآثرة تنسجم مع نهجه في الفكر والعمل، حيث كان يحب الإنسان والطبيعة ويعشق الحرية من خلال عشقه لجمال ونظافة البيئة، وأحترامه لكرامة الإنسان والوطن.

تعيّن شاكر فتاح في عدة مناصب للقائمقامية والبلدية في عدة أقضية مثل عقرة (أكرى) وقادر كرم و خورمال وشقلاوه وجمجمال وغيرها.

وكان يهتم في كل مدينة وقصبة بإنشاء حدائق الاطفال والحدائق العامة والمكتبات والأندية ويصدر جرائد جدارية عادة ماكان يحرق معظم موادها، فضلاً عن عقد الأتماعات والندوات والأحتفالات الشعبية. وظل طوال حياته يكتب ويترجم ويصدر كتباً في مجالات الأدب والتأريخ وحل شؤون المجتمع والتربية والحث على النظافة وصيانة البيئة. ومازال العديد من المصانف والأصلاحات التي أحدثها باقية. وقد صدرت تأليفاته مؤخراً في عدة مجلدات ضخمة^(١٢).

وأما أهتمامه الشديد بالبيئة الطبيعية فكان سمة بارزة في كتاباته وأهتماماته الأدارية. فهو كان مصلحاً ومربياً و داعية لأستزراع الأشجار والورود وتوسيع المساحات الخضراء. فكان متقدماً على عصره، بالنسبة الى مجتمعه، عقوداً عديدة.

فالتراث الذي تركه مليء بتطلعه الى طبيعة نظيفة يسعد فيها الناس.

وهو، الى ذلك، يعتبر من الأداريين الناجحين القلائل في كوردستان، وربما في العراق ايضاً.

وإذا كان هنري ثورو الأمريكي قد ترك الناس وانعزل في الغابة ليدرّس الحياة ويخرج بتلك الحكم والدروس فإن شاكر فتاح عاش بين الناس وسعى إلى التحليق مع الآخرين نحو الحياة في الطبيعة الخلابة، إذ كان يشجع من حوله ويعلمهم ويرشدهم عملياً إلى فن التعامل الوجداني مع كائنات الأرض ورعاية البيئة، فهو كان رائداً نموذجياً لتنظيم الحياة اليومية والنظافة ابتداءً من بيته ومحلته ومدينته.

لا نعثر بين ادباء وكتاب القرن العشرين في كوردستان على كاتب آخر مثله، يولي هذا الحب الصادق العفوي لجمال البيئة الطبيعية وشؤون الناس اليومية والعامّة.

فهو، بتعبير آخر، كان يحتفل بالوجود من خلال هذه الأهتمامات المتنوعة بجوانب الحياة الاجتماعية والطبيعية للإنسان.

١٠.

واما التجربة الكوردستانية الأخرى والأهم، في رعاية البيئة الطبيعية فهي (محمية بارزان الطبيعية) التي بدأت مع أوائل القرن الواحد والعشرين، وهي تجربة انسانية بيئية رائعة قلما لفتت أنظار المعنيين بالبيئة في العالم.

ان قبل ٨٠-٩٠ سنة اصدر شيخ بارزان تعاليم واضحة محددة بأحترام البيئة الطبيعية في منطقة بارزان الواسعة، تقضي أولاً - بمنع قطع الأشجار وأتلاف أو احراق النباتات منعاً باتاً. وثانياً - تحريم قتل وابادة الحيوانات والطيور البرية^(١٣).

جاءت هذه التعاليم ضمن عدة اصلاحات أجتماعية متقدمة ومهمة سبقت عصره، تناولت شؤون تنظيم الملكية الزراعية وتحرير الفلاحين من معظم قيود الأقطاع وتحرير المرأة من قيود وعادات أجتماعية كبيرة، والتوجه نحو توزيع الثروة بما يحقق العدل والمساواة نسبياً وتقليل الفقر والعوز في تلك الأحوال الأجتماعية الصعبة.

وكانت التعاليم بصيانة الاشجار والنباتات وحياة الحيوانات والطيور ثورة كبيرة بالنسبة لتلك المرحلة الأجتماعية في كوردستان والشرق الأوسط. فأزدهرت الحياة الطبيعية في الجبال والوديان الجميلة للمنطقة. إلا ان الحكومات والأنظمة العراقية المتعاقبة منذ العهد الملكي في العشرينيات والثلاثينيات حتى نظام صدام حسين (الزائل سنة ٢٠٠٣)، كانت تحرق الغابات في محمية بارزان وتبيد الحيوانات والطيور كلما تمكنت قوات هذه الحكومات من الوصول الى بارزان في فترات الثورات والأقتتال.

وأما شيوخ وأهالي بارزان فكانوا، في كل فرصة للسلام تتاح لهم، يبعثون الحياة في التعاليم الخاصة بحماية البيئة، وهي تعاليم وجدانية ترسخت في الأذهان وتحولت الى ثقافة للناس في المنطقة، خاصة لأنها صدرت من الزعامة الروحية والدينية، أي المرجع الروحي الاساسي، لهم.

كانت بيئة بارزان مدمرة قبل أنتفاضة آذار ١٩٩١، فأعاد أهالي بارزان الحياة الى الطبيعة فيها، وأبدى الرئيس مسعود البارزاني اهتماماً خاصاً برعاية البيئة في بارزان، حيث تحسنت كثيراً طوال هذه الفترة (١٩٩١-٢٠٠٩) مما جعلها أهم وأكبر محمية طبيعية في كردستان والشرق الأوسط، وعسى ان تنتشر ثقافة البيئة إلى بقية المناطق (تبدل حالياً مساح حثيثة لتوسيع مساحة المحميات حيث أستحدثت مديرية خاصة بحماية البيئة).

١١

البيئة الطبيعية والاجتماعية هي الجزء الملموس والمرئي للوجود من قبل الإنسان. فالاهتمامات المتنوعة بالبيئة في مختلف أنحاء الكرة الأرضية هي أحتفالات بالوجود، وخاصة بالجانب الملموس المرئي من هذا الوجود. واذا ما أمعنا النظر والفكر والتأمل لأكتشفنا أنّ الوجود واسع جداً وعميق جداً تستحيل الاحاطة به، واما ما نراه منه فهو الجزء الأقل والأقرب إلينا، أما الجانب الأساسي منه فهو لا مرئي من قبل الإنسان ومغمور في عالم مجهول عنّا، نعجز عن سبر أغواره.

فالوجود يمتد أفقياً وعمودياً نحو العوالم والمستويات الكبيرة البالغة في الكبر، لاتراها أكبر التلسكوبات الأرضية، ونحو العوالم الصغيرة المتناهية في الصغر لاتراها ادق الميكروسكوبات.

وأما ساحة الأحتفالات بالوجود فهي الساحة الروحية والوجدانية الممنوحة لنا، والتي هي دائماً ملك أنفسنا وملكاتنا وارادتنا... وهي ساحة تكبر أو تصغر، حسب ادراكنا لمغزى هذا الرابط الخفي بين هذا الوجود المشترك: وجودنا الأنساني والوجود الفسيح الذي نحن جزء منه.

مثلاً، حين ينتشي الأنسان في حلقات الرقص العفوية أو حالات الجذب الروحي والوجد فإنه يتسامى، فيذب في اللحظات النادرة التي يعانق الوجود فيها.

وإذا ما اعدنا قراءة ما يكتبه المبدعون أو المكتشفون أمثال هنري ثورو، أو الشاعر الكردي أحمدي خاني^(١٤) في لوحات الخواطر الوجدانية التي مرت بالعاشق ممّ، لعلمنا أن الوجود بنفسه دائم الاحتفال بنفسه، فهو أقرب إلى موسيقى تترنم كلما أستمرت ذبذبة ذرات الوجود، وهي ذبذبة لم تنقطع منذ بدأت ولن تتوقف.

فإذا ما صحت نظرية ذبذبة الأوتار الفائقة^(١٥)، وإذا استطعنا استيعاب هذه النظرية البديعة، التي هي اقرب الى الشعر وفن الموسيقى والرسم، لعلمنا أن الوجود في ذاته هو احتفال في احتفال، وأننا نحن البشر ذرات متناهية في الصغر، نلهو مع سائر الموجودات ونلعب في هذا الاحتفال المهيّب، وستملكنا ضحكة عميقة من تفاهاتنا وسخافاتنا التي نجعل منها كثباناً وتلالاً من المشكلات النفسية والمادية والاجتماعية.

بعبارة أخرى أننا عموماً نعيش تعساء ونحن غرقى في الشقاء الروحي المستديم وهو شقاء يأتي من مشكلاتنا الاجتماعية اليومية والعامة، التي تسد علينا أبواب ونوافذ الحرية، وتمنعنا من تنسم الهواء النقي ومشاهدة مباحج الأحتفال بالوجود.

ومن آيات التحرر الذاتي ومعانقة الوجود كما هو، هي أن نتعلم فناً بسيطاً وعميق الدلالة وهو أن (نلعب) ... ونتقن فن اللعب حتى ونحن نؤدي اشق الأعمال اليومية الجدية.

وسنكون سعداء حين يتحول كل شيء حولنا إلى شكل من اللهو واللعب، بمعنى ان نفرح باعمالنا مهما كانت متواضعة أو صغيرة الشأن، أو كبيرة اجتماعياً. فالعمل، طالما هو نبيل وشريف، سيسمو إلى مستوى اللعب والأحتفال إذا ما أديناه بكل أهتمام وأنجزناه باتقان تام بدون غش أو خداع للذات.

فالعامل لعب اذا ما اجدناه بالأحسان.

وكل عمل شريف كهذا هو بمثابة لحظات عميقة للعبادة.

فالعامل الدقيق المنجز، عبادة.

ها هنا تنفتح بوابة الوجود، والأحتفال الوجداني به.

إلا أننا نبقى خلف الأبواب، ونمنع أنفسنا من المشاهدة، أي رؤية الوجود وصفائه وجماله؛ هذا الجمال والصفاء كامن في التناسق البديع بين أشياء الكون ومخلوقاتهما، فأنت لا ترى شيئاً معزولاً، منعزلاً بذاته، بل هو في علاقة أو علاقات متشابكة مع شيء أو أشياء أخرى. فالكون كُلمتاسك، بما فيه نحن.

وسنبقى نستمد البهجة والفرح من هذا الوجود طالما أستمر فينا الشعور بوجوده ووجودنا معاً، أي: طالما عرفنا أنفسنا حيث نحن في الزمكان، وهذه اللحظة من معرفة الذات دقيقة وعصية على الإمساك لأننا نمر بها في سرعة هائلة. مامعناه أننا مسرعون جداً دون أن ندرك ذلك، فقد صرنا، منذ خلقنا، جزء من حركة متماوجة سريعة ففقدنا الاحساس بالوجود الذاتي.

أما اذا حزنا على لحظة معرفة الذات أو النفس، فاننا سنحظى بنشوة غامرة قلما نشعر بها في حياتنا يوماً. وقد نتسمّر عند هذه اللحظة فترة طويلة دون ان نشعر بمرور الزمن. فالزمن قد يتوقف هناك، كما لو ان هذه النشوة المتفجرة هي لحظة توقف الزمن.

يبدو لي أنني صرت اشوش على القاريء بعض الشيء لأنني، لحظة كتابة هذه الجمل، عاجز عن ترجمة ما أريد التصريح به وعن التعبير عن المعنى الطائش الذي يقلت مني كلما حاولت الإمساك به.

لذا من الافضل ان أتوقف هنا، كي أنتقل إلى طريقة أخرى للتعبير عما اكنه من الفرح المكتشف بالوجود، وهو فرح نابع من يقظة مفاجئة تدعو الى إعلان (الأممتان)، هذا الشعور الذي لم نفهمه أو تجاهلناه ...

فالشعور بالأممتان، كغيره من المشاعر والأحاسيس الفطرية، ذات جذور عميقة في وجودنا. وأستعادته لاتكلف شيئاً، بل يكفي تنميته في الوجدان،

فهو ككل عادة ذهنية، يمكن أكتسابه، بل أكتشافه لأنه شعور موجود أصلاً، تعبر عنه الطيور والحيوانات أفضل وأسرع مما يعبر عنها الإنسان. هل صادف ان اطعمت قطعاً جائعة أو اي حيوان جائع أو عطشان؟ وهل أمعنت في نظراتها إليك بعد الأكل أو الشرب؟ حتى الطيور تعبر لك عن الأمتنان، حتى الأشجار والنباتات التي ترويتها.

البيئة الطبيعية، كما قلنا، هي الجزء المرئي للوجود من قبل الإنسان وسائر الأحياء.

وللبينة علاقة متبادلة وثيقة مع روح الإنسان وجميع مشاعره المعلنة والدفينة.

١٢

يشرح آل غور (آل جور)^(١٦) نائب الرئيس الأمريكي الأسبق، في كتابه (الأرض في الميزان)، علاقة الإنسان الروحية بالبيئة، ويخص بها فصلاً خاصاً في كتابه الذي كتبه عام ١٩٩٢ للبحث في مختلف شؤون البيئة والكفاح من أجل انقاذ البشرية وسبل تحسين البيئة الطبيعية وتجنب الكوارث التي لاحت مظاهرها الآن (أي بعد حوالي عقدين من صدور الكتاب). فهو كان يرى ان العالم في أزمة حادة للبيئة^(١٧). وطرح أسئلة عديدة. فهو يكتب مثلاً:

"سواء أعتقدنا ان سلطاننا على كوكب الأرض مستمد من الله سبحانه تعالى، أم من طموحاتنا، فالأمر الذي لا يكاد يقبل الشك هو ان الطريقة التي ترتبط بها حالياً بالبيئة غير ملائمة على نحو صارخ. ولكن اذا أردنا التغيير، فان علينا أن نجد اجابات عن بعض الأسئلة الأساسية التي تدور حول هدفنا من الحياة، وقدرتنا على التحكم في تلك القوى الداخلية المؤثرة التي أنتجت هذه الأزمة، ومن نكون؟ ويتعدى الهدف من هذه الأسئلة أية مناقشة تدور حول ما اذا كان الجنس البشري يمثل تكنولوجيا ملائمة، فهي أسئلة لاتتعلق بالعقل أو الجسد بقدر ما تتعلق بالروح"^(١٨).

وينتهي الكاتب الى تبني الرأي القائل بان أزمة البيئة العالمية هي بالدرجة الأولى أزمة قيم، وان قراراتنا المتعلقة بكيفية الارتباط بالبيئة مؤسسه على

فروض منطقية مرفوضة تماماً من الوجهة الأخلاقية. ويضيف قائلاً: من خلال تجربتي الدينية الشخصية وتدريباتي الروحية فإنني استطيع القول بأن واجب رعاية كوكب الأرض ضارب الجذور في العلاقة الأساسية التي تربط بين الله سبحانه تعالى والجنس البشري^(١٩).

ومن هنا يبدأ آل غور في ايراد أمثلة غزيرة من الديانات المختلفة، الداعية الى احترام البيئة ورعايتها، ويعقد الأمل على ان يتحول اتجاه حماية البيئة إلى ايمان القيادات الدينية والمؤمنين كافة. ويبدأ بمناقشة ماتقوله الديانة اليهودية والديانة المسيحية ويتطرق الى قصة الطوفان وانقاذ النبي نوح للأحياء (من كل زوجين اثنين) تعبيراً عن الحكمة الألهية في الحفاظ على التنوع الحيوي على الأرض. وكأني بالكاتب يريد القول ان وضع كوكب الارض بيئياً أصبح كارثياً أشبه بما كان عليه زمن طوفان نوح، وأن على البشر ان يعملوا لأنقاذ أنفسهم وسائر الأحياء وذلك بحماية بيئة الأرض.

ويورد الكاتب أمثلة من القرآن الكريم مثل "وجعلنا من الماء كل شيء حي" تعبيراً عن قداسة الماء وصيانة نظافته ودوره الحيوي كعنصر من العناصر الأصلية للبيئة، وكذلك يشير إلى أحاديث للرسول (ص) منها: "من يزرع شجرة ويكف في رعايتها حتى تنضج وتثمر له مثوبة"، ويورد أيضاً تعاليم الخليفة الأول ابي بكر الصديق (رض) إلى أفراد الجيش لكي لا يقطعوا شجرة ولا يردموا نهراً ولا يؤذوا حيواناً ويكونوا رحماً ذوي مروءة مع خلق الله "حتى مع أعدائكم".

ثم يورد الكاتب أمثلة من ديانات أخرى للتأكيد على العلاقة الروحية بين الجنس البشري والأرض، وخاصة ما يؤكد على قدسية الماء والاشجار والتراب لدى بعض العقائد، كل ذلك سعياً منه لترسيخ صورة واضحة عن ضرورة اهتمام جميع الناس بحماية البيئة روحياً وأخلاقياً واقتصادياً واجتماعياً.

ويعبر آل غور عن معتقده الشخصي قائلاً:

"إنني أؤمن في اعماقي بأن صورة الله يمكن رؤيتها في كل ركن من أركان

الخليقة، حتى فينا نحن، وان كان بشكل باهت فحسب. ولكن اذا ماتسنى للمرء ان يجمع داخل عقله صورة متكاملة للخليقة كلها حينئذ يمكن ان يرى صورة الله جل شأنه بوضوح" (٢٠).

١٣

ويتطرق الى فلسفة ديانة الهنود الحمر عن الطبيعة وحب الانسان لها فيقول:
ان ديانات سكان أمريكا الأصليين تقدم توليفة غنية من الأفكار الخاصة بعلاقتنا بكوكب الأرض. ويعزي أحد أكثر التفسيرات إثارة للمشاعر، وأكثرها عرضة للأستشهاد به، إلى زعيم ولاية سياتل في ١٨٥٥، عندما افصح الرئيس فرانكلين بيرس عن نيته شراء الأرض المملوكة لقبيلة زعيم سياتل بيرس عن نيته شراء الأرض المملوكة لقبيلة زعيم سياتل الذي أعرب عن رد فعله القوي (ترجم لعديد من اللغات وأصبح مضرِباً للأمثال) وقال زعيم سياتل في رسالته الى الرئيس الأمريكي قائلاً:

"كيف يمكنك أن تشتري أو تباع السماء؟ او الأرض؟ الفكرة بالنسبة لنا تبدو غريبة. وإذا كنا لانملك نقاء الهواء وتالألؤ الماء، فكيف يمكنك ان تشتريهما؟ إن كل جزء من هذه الأرض مقدسة بالنسبة لشعبي. كل ورقة صنوبر إبرية لامعة، كل شاطيء من الرمال، كل شجرة تغميم على الغابات المظلمة، كل مرجة خضراء، وكل حشرة طنانة، كلها تشغل موقِعاً مقدساً في ذاكرة شعبي وخبرته...

إذا ما بعناك أرضنا، فتذكر أن الهواء شيء ثمين بالنسبة لنا، وأن الهواء تجمعه بمظاهر الحياة المعتمدة عليه وحدة روحية وثيقة العرى. إن الريح التي امتد جدودنا بأول أنفاس الحياة تلقت أيضاً أنفاسهم الأخيرة. وهذه الريح نفسها هي التي ستمد أطفالنا بنفحة الحياة. وبالتالي فإننا لو بعناك أرضنا، فعليك أن تحافظ على طهارتها وقدسيتها، وأن تبقى عليها كمكان يستطيع الإنسان أن يؤمه ليستنشق الريح المحملة بأريج الرياحين وعبير الأزهار".

ويضيف زعيم الهنود الحمر مخاطباً الرئيس الأمريكي:

"هل ستعلمون أولادكم ما علمناه أولادنا؟ من أن الأرض أمانة، وما يصيب

الأرض يصيب ابنائها؟".

"عن مانعرفه هو ان: الأرض لاتنتمي إلى الإنسان، وإنما الإنسان هو الذي ينتمي الى الأرض. كل الأشياء مرتبطة ببعضها البعض مثل الدم الذي يوحد بيننا جميعاً. إن الإنسان ليس هو مصمم نسيج الحياة، وإنما هو مجرد خيط من خيوطه. لذلك فأَي شيء يصنعه بهذا النسيج فهو يصنعه بنفسه".

"هناك شيء واحد نعرفه: إن ربنا سبحانه هو أيضاً ربكم، والأرض شيء نفيس بالنسبة له، وإلحاق الضرر بها يعني أن نزدري بالخالق سبحانه وتعالى".

ويضيف آل غور داعماً فلسفة سياتل، قائلاً:

تقدم صلاة حديثة لقبيلة (أونونداجا) في اعلى ولاية نيويورك تصويراً جميلاً آخر لأرتباطنا الجوهري بكوكب الأرض:

"أيها الروح الاعظم، يا من تمنح أنفاسه الحياة للعالم، ويا من يسمع صوته في النسيم العليل... أمنحنا الحكمة حتى نستطيع فهم ما علمتنا إياه، ساعدنا لتتعلم الدروس التي أخفيتنا وراء كل شجرة وصخرة، أجعلنا مستعدين دائماً أن نتجه إليك بايد نظيفة وعيون مستقيمة، حتى إذا ما ذوت الحياة، كما تذوي الشمس عند الغروب، أمكن لأرواحنا أن تمضي إليك بغير خجل"^(٢١).

١٤

ختاماً ... لنستمع الى جلال الدين الرومي، هذا الفيلسوف العارف، الذي يعبر عن فلسفته في الوجود في المثنوي الشهير، وهو هنا مترجم من الفارسية الى العربية من قبل د. ابراهيم الدسوقي^(٢٢)، يقول:

- ماهو إعلان تعظيم الله؟ هو ان تعتبر نفسك تراباً.. ذليلاً.

- وماهو تعليم توحيد الله؟ إنه احراق النفس أمام الواحد.

- واذا اردت أن تتألق دائماً كالنهار، فلتحرق وجودك الذي يشبه الليل.

- وأدب وجودك في وجود ذلك اللطيف الوجود، كما يذاب النحاس في كيمياء

التبديل.

- ولقد تشبّثت في "أنا" و "نحن" بكتلتا يديك، والخراب حاق بالجميع من هذين الضميرين.
"ذلك هو النص المترجم".

ونرى ان الرومي يرى وجودنا، أي الوجود البشري وتصوراتهِ وادراكاته، هو الجانب المظلم من الوجود، بينما هذا الوجود في ذاته شفاف مضيء يتألق كالنهار، يمنعنا عن الوصول اليه تشبثنا (بالأنا) أو الأنيّة، فمن أجل معانقة الوجود المشرق المضيء يجب أحراق وجودنا الذاتي.

وسنرى ان الرومي يشير بذلك الى شعر لحافظ الشيرازي الذي يقول ان وجوده هو حجاب أمام الوجود الأصلي. اذ بغية الوصول الى مشاهدة الوجود الأصلي يجب رفع هذا الحجاب العائق، أي وجودك البشري.

ويعود د. ابراهيم الدسوقي ليشرح هذا النص المترجم الذي قدمناه آنفاً، فيقول مُفسراً معنى أبيات الرومي:

- إما ان تكون أنت موجوداً، واما ان يكون هو موجوداً. فوجودك حجاب على وجوده. فإذا أثبت لك وجوداً فكانه (هو) غير موجود، ولكي يكون شوئك كله ورداً عليك ان تضرع النار في مزرعة وجودك. والتوحيد هو إسقاط الغير ... ولاغير. وجودك كله ليل، فكيف تدرك شمس النهار الساطعة مالم يُمَح هذا الوجود الذي كالليل... وفي وجودك معدن رخيص، نحاس لا قيمة له، فأذبّه في كيمياء التبديل التي يقدمها لك الشيخ. ما بالك تقول: أنا أنا، وطالما كانت "أنيّتك" حاضرة، فلا ادراك لك للذات العليا.

أو كما يقول الشاعر الصوفي:

بيني وبينك (إنى) يُنازعني فأرفع بنفسك (إنى) من البين

وقول حافظ مخاطباً نفسه:

"وجودك - يا حافظ - هو حجابك"

٢٠٠٩/٨/٢٥

أربيل

هوامش ومراجع المقدمة:

- (١) جريدة التآخي (١٩٦٧-١٩٧٤)، بغداد.
- (٢) سيد حسين نصر، استاذ الفلسفة الأيراني، باللغة العربية، في كتاب (ثلاثة حكماء مسلمين)، المقال الخاص لمحي الدين ابن عربي، دار النهار الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨٦.
- (٣) ديوان الحلاج، ص١٢٢ تقديم د. سعدي ضناوي، دار صادر، بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٣م.
- (٤) نفس المصدر السابق ص١٢٣
- (٥) حامد عبدالقادر، زردشت الحكيم، عن مركز الإنماء الحضاري cec، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦ (منشورات روز اليوسف).
- (٦) نفس المصدر السابق.
- (٧) خالد السيد محمد غانم، الزرادشتية، تأريخاً وعقيدة وشريعة (دراسة مقارنة)، المقارنة التأريخية والتقديم د. منذر الحايك، الطبعة الثانية المنقحة، نشر: خطوات للنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٩م.
- (٨) سلامة موسى، هؤلاء علموني، الطبعة الثالثة ١٩٦٥م، عن دار سلامة موسى للنشر والتوزيع).
- (٩) نفس المصدر.
- (١٠) نفس المصدر.
- (١١) نفس المصدر.
- (١٢) صدرت الاعمال الكاملة لشاكر فتاح من قبل دار آراس للطبع والنشر، أربيل ٢٠٠٨-٢٠٠٩.
- (١٣) الجزء الثاني من مجلد مئوية البارزاني، أربيل، ٢٠٠٣.
- (١٤) الشاعر أحمدي خاني بدأ ملحمة (مَمَّ وزين) بوصف دقيق جميل عن الأحتفال بعيد نوروز، قبل ثلاثمئة عام، وعبر عن اندماج الناس بالطبيعة في هذا الفصل الربيعي. كما استلهم الطبيعة على لسان العاشقين مَمَّ وزين وناجي نهر دجلة، والفراشة، والنسيم، والنجوم، والشمعة والنور وغير ذلك، فكان مترجماً رائعاً لعنى الأحتفال بالوجود من خلال الحوار الداخلي مع أشياء الطبيعة وظواهرها.
- (١٥) برايان غرين، الكون الأثنيق - الأوتار الفائقة والبحث عن النظرية النهائية، كتاب جميل عن الفيزياء، ترجمه الى العربية د. فتح الله الشيخ، الطبعة الأولى بيروت،

يار ٢٠٠٥، والبديع في هذا الكتاب الذي يتناول أحدث النظريات الفيزيائية حتى عهد قريب هو ان نظرية الأوتار الفائقة تقول "ان كل شيء على اصغر المستويات الميكروسكوبية يتكون من تجمع جداول متذبذبة" و... "ان خواص الجسيمات، حسب هذه النظرية، هي أظهار لسمة فيزيائية واحدة لا تتغير: وهي الأنساق الرنينية للتذبذب (أو الموسيقى اذا صح التعبير) للأنشوطات الأساسية للوتر". ويضيف الكاتب، بناء على ذلك، انه يمكن الأذعاء "ان عجائب الحياة والعالم ليست إلا مجرد انعكاسات لجسيمات ميكروسكوبية منهمكة في رقصات لا هدف لها، تقودها في ذلك قوانين الفيزياء...". فالعلم، حسب هذه النظرية، يضعنا في قلب معنى الأحتفال الذاتي للوجود، حيث نكتشف وجود جوهر الموسيقى والرقص في قلب الوجود، دون ان نفقه الهدف من ذلك. فالوجود يحتقل بنفسه دائماً، ونحن ذرة أو جزيء من كل هذا.

(١٦) آل جور (غور)، كتاب: الأرض في الميزان - الايكولوجيا وروح الانسان. وضعه الكاتب في واشنطن سنة ١٩٩٢ وهو كتاب علمي - ادبي الأسلوب، عن البيئية وأزمتها وسبل حلها، فقد تحول آل غور إلى داعية كبير للسلام والحفاظ على البيئة. ترجم الكتاب إلى العربية من قبل د. عواطف عبدالجليل، نشره مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٤، آل غور هو النائب السابق لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

(١٧-٢١) نفس المصدر السابق.

(٢٢) مثنوي جلال الدين الرومي، الكتاب الأول، ترجمه الى العربية وشرحه د. ابراهيم الدسوقي شتا، ضمن المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ١٩٩٦، أنظر ص٢٧٨ و ص٥٤٤ من الكتاب.

توضيح مهم للقارئ العزيز: يرجى الانتباه الى أنني أسير على النسق التالي:

- ١- نصوص اللوحات أو القطع الأدبية المنشورة في الكتاب هي ذاتها كما نشرت في حينه بالتواريخ المشار إليها في كل عدد من الجريدة، وقد ثبت ذلك على صدور كل قطعة.
- ٢- أجرينا تنقيحات ضرورية على النصوص، كما اهلنا اعادة نشر بعض اللوحات.
- ٣- جميع الهوامش والملاحظات الواردة أسفل كل لوحة قد اضيفت من قبل المؤلف أثناء المراجعة والأعداد الطبع خلال سنة ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩، وهي اضافات توضيحية بما يفيد القراء الأفاضل.

الفصل الأول

كُنَّا عَطَشَى إِلَى الْحِكْمَةِ

المدار الاخير

العدد (٩٢٧) الاحد ٢ كانون الثاني ١٩٧٢

لماذا الخجل؟

قل انك في عطش مزمن

قل ولا تخجل. قل

فكلنا عطشى الى الحكمة

عطشى الى الصدق

الى رفقة حميمة، الى الاخلاص والوفاء..

الى حياة نظيفة كالثلج، الى الحرية..

قل ولا تخجل..

فكلنا عطشى الى تراب نقي

الى نهار مشمس يغسل ظلامنا.

الى التدفئة بوعي وهاج عميق..

الى علاقات انسانية حنون

غير مثقلة باعتبارات انانية سافلة..

متطهرة من لغة التملك المشينة:

- هذا لك!

- هذا لي!

- هذا لنا!

- هذا لهم!

قل انك -مثلي- عطشان الى عالم كله للكل..

قل ولا تخجل. قل

المدار الاخير

العدد (٩٢٨) الاثنين ٣ كانون الثاني ١٩٧٢

عودة وانسلاخ

كما مركبات الأشياء تتحلل الى عناصرها الاولية وتتفكك عنصراً فعنصراً
وتعود ذرات حرة سابحة في الفضاء..

وكما الجثة تتفسخ الى بكتريا وبعض هواء..

تتفكك الرواسب العالقة بوجداني وتنحل قيودي

وأعود الى عناصري الاولية السبعة:

العنصر الاول: انسان

العنصر الثاني: انسان

يجهل لغة التملك والحرمان ويحب غيره مجرداً من أي اعتبار سافل جبان.

هذا هو العنصر الثالث

اما الرابع!

فعمل ومرح ولعب!

والخامس: سلم وصداقة وحنان:

العنصر السادس: ليست على الارض حدود.

العنصر السابع: كل الناس شعراء.

كل الناس فلاسفة وحكام.

فلا يستعلي أحد على أحد بما يملك

ولا بما يعرف. ولا بما يجيد.

كانت عناصري الاولية تتوهج نقية.

لكنني استفقت من الحلم ورأيتني ما أزال مركباً مشوهاً!

قضية

على كتفك تراب..

وفي يدك عريضة طويلة الجواب:

- سيدي: اتمنحي عنواني؟

ومصباحاً للطريق؟ وسلاماً على الارض؟

وملعباً للأولاد؟

ونادياً وحديقة ومسرحاً للرواد؟

سيدي. يا سيدي:

أتمنحي بحاراً؟

وغيوماً وامطاراً؟

وقرية مطمئنة؟

سيدي. اطلق يدي.

كي اكف عن الرجاء: يا سيدي! يا سيدي!

فأمزق عرائض التوسل والاسترحام..

وأوجز مطالبتي في عبارتين:

- تحية والسلام..

هذا حقّي. اعطنيّه

فأطلق يدي يا سيدي كي أكتب رسائلي

بلا عنوان: -سيدي!-

بلا اداة استفهام..

بلا لف. لادوران. لاتضرع. لازوغان..
حيث لن أكذب أنا عليك
ولن تراوغ أنت في حقي.
انت ندي - لا سيدي -
فاطلق يدي!

المدار الاخير

العدد (٩٣٠) الاربعاء ٥ كانون الثاني ١٩٧٢

المنشور الرابع

طريق

امضغوا اسم السندياد.
واستعيروا رحلاته. اسرقوها..
اخلطوا توابل التأريخ باشباح الأساطير..
اجتروا كل ما قيل وحكي..
رصعوا شعركم بالرموز واسماء الآلهة..
زوقوه بالوهم يا شعراء الخرافة
يا قنفاذ الشتاء.
اما طريقي فلا تمر بداركم
لاتمر بالرموز والرحلات المستعارة
ولا بالمهرجانات الساطعة الانارة
لاتمر بمؤتمرات التصفيق والدعارة!
طريقي تنتشعب نحو غابات من بشر
تميل نحو حقول عذراء لم تطأها قصيدة!
انها تمر بالطبقة العظيمة الوالدة
بكوردستان المتدثرة بالثلج..
بالصدور التي يتعبها السعال
بالمطابع السرية والمخابيء.. برفيقات النضال..
لا. اسفأً. لن تمر طريقي بداركم..
بالصالونات المسروقة.. والقناني الماجنة
طريقي عارية حافية. طينية لم تزل.
ووالدتي تقف على الطين.. ولم تزل!

المدار الاخير

العدد (٩٣١) الخميس ٦ كانون الثاني ١٩٧٢

المنشور الخامس

شعركم؟

كلمة معلبة في الدجل.

قصصكم؟

حصران جايفة في الوحل.

نحن نطلب منشوراً.

والمنشور حرف يثور..

رصاصه ومصباح..

ملصقة حائطية ونداء واحتجاج.

مبادرة في الكفاح..

ثلوج ناصعة ورياح..

فماذا نعمل بالكتب؟

- ماذا نعمل بالأدباء؟

- نجمعهم في مزرعة للرواد.

- والشعراء؟

- نضعهم في معسكر للعمل.

- والرسامين؟

- فمزق لوحاتهم ونرسلهم الى معامل التعليب.

- والنساء؟

- يرتدين بدلات عمل زرقاء ويحملن شارات آخر مؤتمر نقابي.

- ثم ماذا؟

- ان نلصق مناشيرنا على واجهة كل باب!

المدار الاخير

العدد (٩٣٤) الاثني ١٠ كانون الثاني ١٩٧٢

الحد الاخير

الحد الاخير هو المريخ حيث هبطت سفينة من الارض. والى ذلك الكوكب البعيد امتد الانسان بعالمه الخاص.. بكونه المتميز بين الاكوان.

كانت حدودنا تُلوج القطب الشمالي والقطب الجنوبي وتخوم المحيطات.. ولما قهرنا الانسان امتدت حدودنا لتشمل الارض ومجاهل كثيرة فيها ثم ارتفعت الحدود وغاصت نحو أعلى ونحو اسفل عبر الفضاء فشملت القمر..

وستظل الحدود تمتد طالما تمتد سيطرة الانسان على نقاط ومحطات جديدة في هذا الكون الشاسع.

والانتصارات المتوالية تلغي في الذهن التصورات القديمة عن الحدود الارضية والاسوار والحيطان. ولعله ليس بعيداً ذلك اليوم الذي يجهل فيه احفادنا شيئاً عن الحدود التي تفصل الناس عن بعضهم ويريقون من اجلها دماء الشباب.

ان الحدود الحقيقية هي آخر ما تصله امكانيات الانسان فهي حدود مفتوحة وستظل مفتوحة بعد سيطرة الانسان على عوالم جديدة من انعدام الوزن والسرعة الخارقة وما يفتح ذلك من ابواب واسعة لأقتحام مجاهل الفضاء ومغالق الكون فسيظل الحد الاخير مجهولاً بهذا المقياس. وهذا هو ما يحفز على العمل والابداع.

المدار الاخير

العدد (٩٣٦) الاربعاء ١٢ كانون الثاني ١٩٧٢

ديمومة

اعزي النفس ببراءة الديمومة
اعزيها بأنني لم اسلخ جلد انسان، وبفردوس حب يعيش في الوجدان...
وبأنني طفل غير مقطوم عن عشق الوجود
لأنني منذ البدء احببت الحياة.. لكن كل الايام الماضيات،
كل المنعطفات، والاشارات الخاطفة في الدروب،
والرعود والزلازل.. وبرقيات الحروب،
وكل العلاقات المتسممة بالزيف والرياء
حاصررتني- كما حاصرني الجهل والعسف-
ولم ازل اعزي النفس ببراءة الطفولة..
بطهارة الحليب الذي رضعت..
وفي الاعماق صوت يقاوم هاتفاً:
الم يخلقك الوجد مترعاً بالحياة؟ هل تجحد بالحياة؟

أخي برشك^(١)،

كلماتك عن الكادحين تتلج صدري المتعب النحيل، المثقل بالأتين.. أحس منه
بأنني اعيش واذكر بين الوجوه. انسى من خلاله ضياعي في سعة الحياة
وصالات المترفين.

كلمات عن الكادحين تنتشلني عن عالم احزاني.. يسعدني الحديث عن مواكب
الفقراء والمعدمين من اجل الخبز.. بالله عليك تكلم بعد يا ابن كاوه عن
الكادحين..

(١) رسالة من قاريء الزاوية.

لاتقف.. تكلم فاني احبك واحب كل الكادحين وأحب الشمس جبة الفقراء ايام
القر حينما تضرب بسخاء على صدري المتعري المتعب -مواويلي يا رَشَنَّ-
فمواويلي يا رَشَنَّ وضجيج الآلة وحديث عن رفاقي الكادحين ما املكه في كل
سنيي انا المتعب في مسيرة الحياة الطويلة.

أمير عبد علي

الفصل الثاني
بشائر ما بعد الطوفان

المدار الاخير

العدد (٩٣٩) الاحد ١٦ كانون الثاني ١٩٧٢

متى يأتي الطوفان؟^(١)

لقمان

يا عاشق الحكمة

يا لقمان

غداً الشعر دعارة

والكلمة دعارة

والغناء دعارة

والطوفان..

متى يأتي الطوفان؟

حاملاً على موجة نوح

وعمالاً..

وحمالين..

ورعاة..

وحملان..؟

متى يأتي الطوفان؟

حاملاً حرفاً مشعاً

وشعراً طفولياً

وغناء للإنسان؟

(١) أحتلتني فكرة كتابة هذه اللوحة ومابعدھا وذلك في لحظة مفاجئة هزتني بما يشبه
العرشة، متسائلاً مع نفسي: الى متى هذا القُبْح والظلم والظلامية والعفونة
المتصاعدة من الأستبداد؟!

متى يأتي الطوفان؟
شارة حب صادق
واحترام وحنان
متى يأتي الطوفان؟

المدار الاخير

العدد (٩٤٠) الاثنين ١٧ كانون الثاني ١٩٧٢

ساعة.. ثم الطوفان

طوفان. طوفان. طوفان.
تأكلنا كتب صفراء ولجان.
لكل شيء لجان.
أمم الارض لجان..
وحدود واحقاد..
طوفان. طوفان. طوفان.
تهدمت المعابد تنعب حولها غريان
والأئمة والرهبان
يسرقون
الأئمة والرهبان يقتلون
الأئمة والرهبان
ينحنون للنجوم والتيجان
يصلون للحرب والدمار
يصلون بلا قبلة..
بلا صلبان..
دالت دولة العرافة
دالت دولة السحرة والكهان
لم يبق سوى ساعة لوثبة الطوفان
لم يبق سوى ساعة لوصل الطوفان..
طوفان..
طوفان..
طوفان..

المدار الاخير

العدد (٩٤١) الثلاثاء ١٨ كانون الثاني ١٩٧٢

نداء الطوفان

طوفان. طوفان. طوفان.

دمي طوفان.

فكري طوفان.

سجني طوفان.

واللاجئون الحفاة المهاجرون على جبهتي:

طوفان. طوفان..

والجياع الناكرون بطونهم أماً..

طوفان. طوفان..

والنضال العاصف للعمال مقدمة الطوفان..

والنداء الحميم الى السلم

الف الف طوفان

فيا نوح

يا لقمان..

لينبجس من عيني الموج

الاول للطوفان..

وفي روعي طوفان

طوفان. طوفان. طوفان.

الى متى الطوفان؟

طوفان ماض وطوفان قادم

وفي روعي طوفان..

في عرق كفي خلجة طوفان

وعلى جفني خفقة طوفان

على شفتي رجفة طوفان

على لسانها لغة مضطربة لاتضم سوى الهتاف:

- طوفان.

سوى الصراخ:

- طوفان.

سوى الرجاء:

- طوفان.

طوفان. طوفان. طوفان.

الى المدن القبيحة يا طوفان

الى السجون والجوع

الى الحرب يا طوفان

الى الكذب والنفاق

الى الزيف يا طوفان.

اغرقه يا طوفان..

يا طوفان. يا طوفان.

الارض تصج بالشكوى

طوفان. طوفان. طوفان.
في احلامي طوفان..
وجلاد يمزقني ليطعم كلابه
ورجفة في زنزانة..
وقنابل محرقة..
واعتداء واغتصاب
الوجود طوفان
العشب طوفان
الحجر طوفان..
الاسوار الشائخة طوفان.
كل ما لمستته يد الانسان
كل ما على الارض يصبح
- طوفان. طوفان. طوفان.
مع المطر يهطل طوفان
مع الريح يعوي الطوفان
مع الدمع ينحبس الطوفان
والشمس لاتمنح الدفاء
بل ترسل الى الارض:
قبسات الطوفان
شرارات الطوفان
رائحة الطوفان..
طوفان.. طوفان.. طوفان.

المدار الاخير

العدد (٩٤٤) السبت ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٢

مرحى بالطوفان

لا اخشاك يا طوفان. ليس لي ما تبتلعه وليس لي ما اخشى عليه من الضياع.
لا اخشاك يا طوفان فأنا اطوف في العاصمة منذ ازمان وازمان..
منذ جدي الاول ميديا..
منذ جدتي الاولى خانزاد..
ثروتتي هي حبي للحية..
وشوقي الى برية طاهرة لم يدنسها الاستغلال والزيف
فالأرض ملوثة -يا نوح-
لينتفض الطوفان..
لينتفض الطوفان..
سفينتي مهيئة.
معي في السفينة من كل حي جميل زوجان..
من كل وردة عطرة بذرتان
من كل حرف نظيف حرفان..
دعه يا نوح.. ليستيقظ من رقاده الطوفان..
سفينتي مهيئة..
ملؤها الماء والزاد..
وقلبي العامل ربان..
قلبي العامل ربان..

المدار الاخير

العدد (٩٤٥) الاحد ٢٣ كانون الثاني ١٩٧٢

احفاد ميديا والطوفان

طوفان. طوفان. طوفان.
يغرق الارض طوفان..
الحرب والمجاعة والثورة والفداء..
والغضب والحريق..
طوفان.. طوفان..
وميديا يضرم نار الموقد الحجري. رغم فحيح الطوفان
وكوردو يلهو بالجمر
وخانزاد تحتطب
وكاوه يصنع مطرقة
والسفينة رأسية عند مدخل الكهف
ونوح ينادي ميديا:
- طوفان. طوفان. طوفان.
كل اسماء انمحت سوى اسم الطوفان..
والاحفاد يصيدون الوعل بينما الطوفان يحاصر الكهف مرتطمأ بالصخور،
ويرتد منحسراً عن الجبل...
وينكمش في الاسفل غاضباً ليكرر هجوماً ضارياً. فيهاجم بشراسة ثم يرتد
خائباً...
وهو يسلب -في التقهقر- جثث القطط البرية والقش والاسماك.. وينتفخ
بالغنيمة جذلاً..
طوفان. طوفان. طوفان.

يأكل الجيفة طوفان
يأكل القذارة طوفان
يأكل الدعارة طوفان
يأكل ادران البشرية..

المدار الاخير

العدد (٩٤٨) الأربعاء ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٢

يوميات الطوفان

امخر بالسفينة يا نوح..

على الشاطيء الآخر ارض جميل.. اغطس في الطين عن السمك
اغطس في الطين بحثاً عن المحار واللؤلؤة المحبوءة في كنز شهريار
ميديا الحكيم يسرد للأحفاد حكاياه،

هنا احتطبت خانزاد

هنا لعب كوردو

وهنا اصطاد الوعل الذي رافق الراعي الاول

وهنا تبدأ الرحلة..

رحلة..

شرايين تمتد عبر جسم مأكول..

أكل منه الدود

عاش منه الدود

ومن ضفاف النبع تفتحت نرجساً بريّة..

تبدأ الرحلة الثانية:

السفينة هائجة..

هنا صنعنا السفينة..

طار الطائر الثاني بحثاً عن بريّة طاهرة..

بحثاً عن وطن للاجئين..

بحثاً عن وطن للبحارة..

السفينة تنتظر عودة الطير الثاني

الطير لم يعد.

الطير لم يعد.

هل اقتنصه نسر؟

هل بقي في الطوفان نسر؟

الرعاة يقهرون الاسكندر

هل تبدل شيء كثيراً؟ استبدلت السهام بالقنابل. عبثاً يحاول الاسكندر ان يمر. فالرعاة اشداء كانوا ابدأ اشداء. لا يكذبون قط. وان ثأروا فلا يستكينون ابدأ.

- الراعي الاول في جلدي مازال ينفخ في قصبه ويدعو الحبيبة:

- اطرحي الشال واهجعي بجنبي..

فالكهف لوحدنا..

بهذا يغرد القبج.. وتهدر الشلالات.

- احمدي خاني يداوي جرح (مه م) ويناغي (زين) الجميلة.

ونوح الربان الماهر يطوف على الطوفان. وينادي ميديا وكوردو وكاوه: يا اجداد الكورد.. طوفان. طوفان. طوفان. تمخر السفينة وترتد الامواج الصاخبة الملوثة حين تصدها قواعد الجبال.. مازال الرعاة اقوى.

ومازالت خانزاد تخبز للمحاربين في الجبهة:

- ايها الرجال..

ايها الرجال..

كلنا في الرحلة رفاق..

كلنا في اللهب وقود..

ويستمر القتال في كل جبهة.

هل تبدل شيء كثيراً سوى استبدال السهام بالقنابل؟

صوت

العدد (١١٢٨) الاحد ٣ ايلول ١٩٧٢

ينتحل شكل الاسد

كان لأحدهم حمار^(١).. وبلغ الحمار مرحلة العجز فاشفق عليه صاحبه من ان يتركه في البرية فريسة للحيوانات المفترسة.. فاصطاد اسداً وسلخ جلده والبس الجلد حماره فاستحال الى اسد ضخّم مخيف اطلقه في غابة تسكنها اسود وحيوانات كثيرة، ما ان شاهدهتته حتى هربت مذعورة وتركت له الغابة يعيش فيها ملكاً غير منازع.. ولما طال مكوثه فيها وطال تشرد الاسود اجتمعت هذه بملكها وقررت مهاجمة الأسد الضخم (أي: الحمار) هجوماً مفاجئاً فاما ان تقضي عليه او طرده من الغابة واما ان تلقي الاسود مصرعها وهذا اهون من عذاب التشرد.. ونفذت الأسود ما اجمعت عليه ذات صباح ففوجئت ان الاسد الضخم ليس الاحماراً عاجزاً نحيلاً يرتدي بزة الاسد. ففتكت به في الحال وعادت الى الغابة. وفي خضم المعارك الاجتماعية والسياسية انتحل كثيرون اشكالاً ضخمة هي في الحقيقة اشكال مزورة.

قبل سنوات رأيت بأمر عيني واحداً من كبار الرجعيين ادين في قضية فحكم عليه بالأعدام.. رأيت وهو يجهد بالبكاء. فقال له عامل بسيط:
- انت الآن تبكي مصيرك. لكن الم تكن تفكر في مصائر الناس حين كنت امراً وناهياً.. مطلقاً احكاماً قاسية؟.. اتدري ان عشرات البسطاء مثلي واجهوا الموت بشجاعة وثقة وبلا أي أسف على الحياة؟
جعلته كلمات العامل ينكمش على نفسه حتى استحال الى ما يشبه القنفذ..
واما جوهر المسألة فهو ان للبسطاء قضايا عادلة يكافحون من اجلها، اما الرجعيون فليست لهم أية قضية سوى الاستماتة في سبيل الحفاظ على مواقعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وهي مواقع اعتلواها باساليب غير مشروعة.. باساليب الانتحال والتزوير..

(١) من الفولكلور الكوردي، سرده فلاح من قرية باله كيان -رواندوز.

صوت

العدد (١١٣٤) الاحد ١٠ ايلول ١٩٧٢

عبدالمجيد لطفي والتصوف

في الرسالة التي يختتمها بتوقيع -عمك المخلص عبدالمجيد لطفي (١) - يتناول حقل -صوت- قائلًا:

في كثير من كتاباتك السابقة واللاحقة ظاهرة صوفية وهي عندي رغم ضعفها دليل على ثورية كامنة ذلك ان الصوفية في الاسلام لايقوون على مجابهة السلطة فيجابهون انفسهم بالاذلال والحرمان، ويواجهون بوهيمية العصر المختل. ولكن اذ نمزقها قلائد وابسطة عفنة نخرج الى ثورية العصر في امتداد مشرق وغير عشوائي وتلك هي صوفية الثورة بانضمامها الى جماعة التحدي والمقاومة وبسالة الصمود. وهذا هو منطق الانتصار الاخير. وانه لشيء مفزع ان تطل الصوفية تراثاً تتوارى خلف جلودها الثخينة الدافئة عقليات الازمنة الجديدة المقاتلة وعبر ذلك تتغير الأشياء ولا تغيرها صوفية الهرب من الواقع بل قدرات اولئك الذين يقتحمون ويستشهدون ويبتسمون لأنهم يرسمون بقية المسيرة الانسانية الكبرى وبعدها لاشيء سوى السلام فوق انقراض العبوديات والتسلطات وسلطان القهر الداعر.

... وهكذا جواباً له: عمي العزيز، اثارت رسالتك عدة مسائل في أن واحد... حول التصوف في الاسلام وفي الأدب الحديث.. والتصوف والبوهيمية.. والاستشهاد والتحدي مما لا مجال هنا لخوضه بل اكتفي قائلًا: الا تلاحظ معي ان هناك وحدة في أسلوب المتصوف والفدائي -وأي مناضل ثابت وصامد- رغم التباين في الغايات؟ هذا يزهد في الدنيا طلباً للوصول الى الحق. وذاك ينسلخ

(١) كاتب كوردي كبير كتب الكثير من الروايات والقصص والمقالات باللغة العربية، وكان ينتمي إلى الجيل المكافح في الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين، وكان حراً مستقلاً في أفكاره. وقد وجه هذه الرسالة إليّ، ورأيت نشرها كما هي.

عن واقعه ويزهد في المتع اليومية والراحة انتصاراً للإنسان على العبودية؟
فنلمح في جيفارا وجه متصوف عشق مثله الثوريه.. ونلمح في الشاعر الفرنسي
اراغون متصوفاً كبيراً في ديوانه -مجنون الزا-.. واما الشاعر التشيلي بابلو
نيرودا فهو متصوف عاشق لشعبه وللإنسانية في -النشيد الشامل- اما في
ايامه الاخيرة فقد تحول الى صوفية خاصة حيث يرى ذاته في وحدة الرمل.

الفصل الثالث

شذرات

صوت

العدد (١١٣٥) الاثنين ١١ ايلول ١٩٧٢

كلمات الى غسان في ذكرى ١١ ايلول

الدرب واسع.. واسع..
والنهار واضح.. واضح..
والأفق البرتقالي على مرمى البصر
كذب الذين زعموا اننا في عصر الضياع.
ما ضاع سوى الكسالى والجبناء والمتألهون بلا ايمان!
فما دمت -يا غسان- تعرف لي بأسمي وعنوان دارى وحرיתי في البيت
باطمئنان في مأواي..
وحقي في أن اصير انا.. انا.. كما انت.. انت..^(١)
وكما ليلى.. ليلى..^(٢)
ان تصوير برشك.. برشك..
فما دمت -يا ابا ليلى- ترش الدرب بالحروف وشظايا اللهب..
ولاتملك سوى الصوت النضالي. سوى الحب والصدق..
فنحن يا غسان -على موعد مع صلاة الفجر..
مع الف الف حلاج يهبون من الغرب.. من الشرق.. من الجبال.. والبحار..
فالتقي في اعياد بيضاء يسجل الأطفال ايامها في تقاويم ما بعد الطوفان..
الى اللقاء يا غسان^(٣).. ايها الصوت الانسان!

(١) جاء في كلمة الحزب الديمقراطي الكوردستاني في حفل تأبين الشهيد غسان كنفاني ان الشهيد كان يعترف بحق شعبنا الكوردي في تقرير مصيره مثلما يحق لشعبه ان يقرر مصيره بنفسه.

(٢) ليلى: ابنة الشهيد غسان.

(٣) هو الكاتب الفلسطيني المبدع غسان كنفاني الذي أعتيل غدرًا مع بعض رفاقه في بيروت وذلك على يد قوة اسرائيلية خاصة، كما قيل في حينه.

صوت

العدد (١١٣٦) الثلاثاء ١٢ ايلول ١٩٧٢

القاعدة والاستثناء

هذان خيران عاديان جداً. احدهما فني والآخر اجتماعي. اكتبتهما بلا رتوش.. وادع القارئ يقرأ فيهما ما يخطر له وما يتوسل اليه.
١- والتمثال حطموه!

أراد الفنان بعد ان تعلم فن النحت ان يعطي لبلدته الصغيرة -في كوردستان- شيئاً من ابداعه. فصنع تمثالاً للمرأة جالسة ترنو بوجهها الى السماء وعلى ركبتيها اناء صغير ينبجس منه الماء.
اعترض -بعضهم- على ذلك وأعتبر انبجاس الماء من ذلك الموضوع! امرأ محرماً.. نشأ صراع خفي ظهر الى السطح واضحى صراعاً ساخناً أدى الى تحطيم التمثال -بل رجمه وتهشيمه- من قبل هؤلاء -البعض-. وازاء ذلك حدث استياء في صفوف مثقفي البلدة ومنتوريها ومازالوا يتحسرون على التمثال الوحيد في البلدة والمنسوب في النادي الوحيد!
٢- مواصفات زواج..

صديق لي اكمل الدراسة الجامعية وعاد الى مدينة كركوك.. علمت مؤخراً انه يريد الزواج. فتقدم الى احدهم يخطب ابنته. فقال والدها:
- بني! انا لا ازوج ابنتي الا بالشروط التالية: ان لا يكون في بيتها تلفزيون. ولا راديو. ولا اثاث خشبي من اللوازم الحديثة. وان لا يسمح لها زوجها بان تزور المصايف ولا ان تخرج الى السوق. واذا سافرت ينبغي ان تحتجب وتلبس ملابس طويلة محتشمة.. ثم على زوجها ان يصوم ويصلي وان يكون له دف وطبل ويحضر حلقات الذكر!!
هذه هي الشروط بالنص. وقد قبل بها الشاب الجامعي.. ومع ذلك لم يفلح في الزواج بفتاته.

صوت

العدد (١١٣٧) الاربعاء ١٣ ايلول ١٩٧٢

الحسد

الحسد رذيلة معروفة.. لكن هذه الصفة لا تكفي. فالحسد يتضمن شعوراً
ضمنياً بأن الحاسد يرغب لرغبة دفينية في ان يملك كل شيء دون سواه.. وان
يعود اليه ما هو ملك للآخرين.. وان يحرمهم احسن ما عندهم حتى مواهبهم
الذاتية.. فالحسد عجز بوجه من الوجوه.. وهو وجه آخر أكثر تعاسة وأشد
سواداً للأنانية الناتجة عن الملكية الخاصة.

قبل ايام قال أحد الزملاء -ارى انه من الافضل لو لم يملك المناضل شيئاً.
فالملكية تستعيده وتذله وقد تحرفه.

لا املك في بلدي وقتاً كافياً للتجوال. وقبل ايام رأيت شاباً كادحاً من بلد
بعيد.. يلبس كما شاء أن يلبس ويطيل شعره^(١).. وهو واقف بهدوء ودعة في
ظهيرة حارة ويتأمل احدي النافورات.

- شعرت بالحسد.. الحسد من هذا الشاب الذي يتسدل على كتفيه شعر
اطول من شعر الطفلة التي يستعبدها حبي.. فقد قلت لها يوماً انها اجمل
بشعرها وهو طويل!

حسدت هذا الشاب على حريته.. فهو واحد من -الهيبيين- المنتشرين كسواح
وزوار..

- يجمعني بهم شيء واحد وهو نبذ الملكية الخاصة وكرهها، فهم شرخ في
المجتمع الطبقي.. شرخ وان كان شرخاً جانبياً في جسد المجتمع المهريء الذي
تستغل فيه الملكية الانسان..
واختلف عنهم في اسلوب النبذ..

(١) كان عصر إطالة الزلوف!

تحية وذكرى

اقدم اليوم صوتاً شاباً جديداً لمناضل عانى في سبيل شعبه واعتقل، وهاهو هنا يعبر تعبيراً واضحاً صادقاً عن معاناته والتقاؤه باحد الابداء الكورد في السجن. اقدمه لكونه موهبة كوردية جديدة يمكن لها ان تفتتح في المستقبل بتوفير الفرص اللازمة شأنها شأن كافة مواهبنا. وهذه فقرات من رسالته الموجهة الى حقل -صوت- بدون أي تغيير:

- هناك وعن طريق الصدفة التقينا في ملتقى الاحرار والمناضلين.. السجن.. ويعد التعارف والتحايا انساب الكلام عذباً عن النضال والمناضلين والشعب وحقوقه وهكذا ارتاحت النفس واطمأنت وازدادت ايماناً وانقلبت الهموم والخواطر المؤرقة والهواجس المعذبة التي سرعان ما تبددت- الى سعادة خضراء وامل بارق ولهفة قوية للأنباء بشوق للعمل من اجل الشعب.. للنضال.. ان النفوس الطيبة البريئة التي تكن المحبة والخير دائماً ترى بعضها البعض وتلتقي لتتعاهد من جديد. كان ذلك في فترة.. النضال الساخن.. لحظات كانت تلك وما اجملها! لقد انستني همومي وعذاباتي التي كانت مطبقة عليّ. كنت اشعر قبل ذلك وكان الذين حولي غرباء او الاصح انا الوحيد الغريب من بينهم ولو انهم كانوا من بني قومي ووطني.. وكنت وانا في هذه الدوامه بأشد الحاجة الى من يستقر به المطاف عندي لأركن اليه.

يفهمني. لأفصي له ما بقلبي ويزيل عني الكرب ويؤنسني بالحديث عن النضال والشعب وحقوقه وعن قضايا الكادحين والحرية والتقدم الانساني. وما كان انتظاري طويلاً حتى تحقق لي ما كنت اتمناه وارتاحت روحي الى الوجه الهاديء الصبوح وجه اخي الاديب^(١)..

(١) هؤلاء الأصدقاء الذين يرد ذكرهم، هم غالباً من قوميات مختلفة.

لقد قضيت وايه اياماً تلازمنا فيها وتحدثنا.. عن كفاح شعبنا العادل وحربه.. وعن عيد نوروز وكيف احتفلنا به في الموقف ووزعنا الحلوى احتفاءً وعن قضايا الانسان التحررية ونضاله الثوري. عن جيفارا وفيتنام.. ولازالت كلها في مخيلتي وترن في اذني وتأسر لبي. ولم تكن سوى اياماً معدودة تفارقنا والى الآن.. غير اني التقي به وذلك عبر اسطره.. (يقصد ماكنت أكتب آنذاك).

صوت

العدد (١١٤٠) الاحد ١٧ ايلول ١٩٧٢

الركاع الشريف

اخبرتني مناضلة كوردستانية عن اكتشافها لشخصية طريفة منذ ثلاث سنوات، قالت:

- كنا نجمع الملابس القديمة لمساعدة اسرنا الفقيرة في الشتاء حين التقيت بركاع^(١) بسيط يعيل اسرته باخلاص وتواضع.. نزح الى بغداد -بعد ان كان يسكن حياً عمالياً- من كركوك قبل سنوات.. ولما علم بما اقوم به طلب مني ان اعود اليه بعد اسبوع.. قعدت لأجده يقدم لي عشرات قطع الملابس.. واستمر هكذا طول ثلاثة اشهر ثم انقطعت عنه لسبب ما.. ولم امر بدكانه الصغير الا قبل يومين حين زرته لرتق فردة حذاء زوجي. فلما رأني هش لي ويش وانفعل سروراً وحك ذقنه الذي يغطيه شعر ابيض مثل تبن منتور وعاتبني على غيابي عنه طوال عامين.. وفاجأني بالسؤال:

- لماذا لاتسألين عن الملابس؟

- أية ملابس؟

- أهاه! اذا كنت نسيت انت فلم انس انا.. جمعت لك مئات القطع وهي مشدودة في(طوان)^(٢) تعالي لأخذها حالما تطلب منك اخواتك ذلك.. وفي الواقع كنت قد نسيت القصة.. فذكرني من جديد بما دار بيني وبينه حين طلبت مني الاخوات ان اسأله عن مصدر هذه الملابس وكم يعاني من جهد لجمعها. فحك ذقنه ضاحكاً:

- بنتي! مهما كان.. فأطمأني. انا لا اسرقها!

اخجلني جوابه فلم اعد أسأله شيئاً وعلمت انه يفضل العمل بصمت..

(١) خياط الخرق والاثاث الممزقة.

(٢) جمع (طونية)، وهي كيس.

صوت

العدد (١١٤١) الاثنين ١٨ ايلول ١٩٧٢

كسالى أنتم.. لاتأتون بجديد

مناقون:

تأكلون من خوان ثم تيصقون فيه!

تشربون من نبع ثم تعكرونه!

تنشرون اليأس واللامبالاة.. تقولون:

- لافرق بين من يعمل ومن لا يعمل.

لا مكافأة لمن يجتهد ويضحي.

لا ثواب لمن يتعب ويبدع.. ولا عقاب لمن يتكاسل ويتماهل.

من قال لكم ان المناضل ينتظر كلمة تقدير او شكر؟ أو انه يريد مكافأة لقاء

التضحية.. او ينتظر جائزة ابداعه؟

اول مباديء النضال الحزبي هو العمل النشط والمجد والتفاني في العمل. فاذا

قلتم:

- لن يثمن أحد عملكم؟

فاعلموا ان الحزب بدأ من الصفر حين ولد.

وان التنظيم الحزب ولد من اللاتنظيم. فالنضال بحد ذاته نقيض شرعي

للتماهل والتكاسل واللاتنظيم.

فانتم جنود التخلف والرجعية بين صفوفنا. لاتأتون بجديد حين تثبطون

العزيمة الشابة المندفعة.

لاتأتون بأي جديد حين تغتالون التفاؤل بالشماتة من وجود مظاهر التسيب

واللامبالاة.

انتم بالوعة قذارة ترفه نفس المستنقع الكريه.. مستنقع الاستغلال والتطفل.

انتم احجار في بنيان التخلف والفكر الرجعي، تفعلون ما فعلته وما تفعله

الطبقات الرجعية المستغلة عبر التأريخ ولحد الآن.
انتم الكسالى الطفيليون تسدون الطريق بوجه غيركم. هذا امر معروف في
حركة تطور المجتمع. لكنكم لن تسدوا الطريق الى النهاية..
ان تيار النضال اقوى.

صوت

العدد (١١٤٢) الثلاثاء ١٩ ايلول ١٩٧٢

ارتداد نحو اخلاق الغاب في جنوب افريقيا

رواية -بلدي الحبيب- صورة حية نابضة عن الاضطهاد العنصري والطبقي اللذين يتعرض لهما السكان الاصليون في جنوب افريقيا -وفي كيب تاون بالذات- حيث التفسخ الاجتماعي والسياسي والخلفي جراء الاضطهاد السياسي وتدهور العلاقات العشائرية القديمة وهجرة الملايين من الريف الى المدن التي نمت فيها بؤر واسعة هي بيوت من صفائح عتيقة واسمال وكواني... يترعع فيها السراق والبغايا والمهربون ويتعاطى سكانها شتى الرذائل التي هي نتائج طبيعية لمثل هذا التفكك الاجتماعي..

وتكاد الرواية -التي هي عن مصير صبي يتشرد فيصير سارقاً ثم قاتلاً فيحكم بالأعدام- تكاد ان تقول ان السرقة امر عادي جداً وحرفة يلجأ اليها المشردون والجياع والعاطلون في بلد الذهب..

ونشرت الصحف مؤخراً صوراً عن تنفيذ عقوبات جديدة بحق السراق في بلد افريقي متخلف. والعقوبات تقضي بقطع احدى اذني السارق لدى سرقاته الاولى. وقطع الأخرى في المرة الثانية. وقطع يده في الثالثة.. وهكذا!!

ان انزال عقوبة صارمة بحق السارق لن يكون مشروعاً الا اذا بلغ المجتمع وضعاً متقدماً لا يحتاج فيه الفرد الى السرقة لأنه يكتفي بما يحصل عليه وغده مضمون ولايتعرض للتشرد والبطالة والتجوع والاضطهاد العنصري. وهذا ابعد ما هو عليه الآن لأن مجتمع جنوب افريقيا الذي تفضح الاحصائيات والوثائق ورواية -بلدي الحبيب- مدى تفسخه وتدهوره وانحطاط مستويات معيشة سكانه الاصليين الذين من بينهم يظهر سراق تقطع آذانهم وايديهم! بينما تنزع التشريعات الحديثة الى تخفيف العقوبات -من ضمنها تقليص احكام الأعدام وحصرها في اقل عدد ممكن من التهم- وجرى الغاء عقوبة الاعدام في كثير من البلدان.

اما في البلدان المتخلفة وتلك المبتلية بالعنصرية فانهم يعاقبون الجائع على نتأج جوعه. ويقطعون اذن المشرد عن ارضه بسبب استغلالهم له!.. واذا وجب التساوي في تطبيق القانون على الجميع لكان على السود ان يقطعوا آذان العنصريين وايديهم منذ زمن بعيد..

ان انه اذا كان على سارق علبة دهن ان تقطع اذنه فعلى سراق الاوطان ان تقطع السننتهم وقلوبهم.

صوت

العدد (١١٤٣) الاربعاء ٢٠ ايلول ١٩٧٢

رحلة فنان كوردي

- عشرون عاماً وأنا في صلاتي ووجدني.. في نضال استثنائي..
واضاف الفنان:

- عشرون عاماً من مجاهدة الروح للخلاص من الوحل الذي لطخوني به حتى
تظهرت فانصفتني الشعب.. لأنني احتفظت بحزمة من ضياء في هيكلي الذي
خدشته احجار كل من مر بطريقي. وهو غالباً لا يدري لماذا يرمي حجارته!^(١)
ارغموني على تجرع السم.. مسخوني وشوهوني.. فوجدتني فجأة وحيداً
رغمًا عني.. غريباً عن الناس ورفاق الامس، والذكريات المتوهجة.. وواجهني
امتحان عسير:

ان ابقى واحيا كما انا.. او ان لا ابقى واحيا كما يريدونني مسخاً.
فقررت ان اعيش شهيداً.. وبدأت من الصفر. من الموت الذي عدت منه عارياً
من كل شيء.. عدت في طريق شاقة طويلة الى ربيع ثقة الناس وحبهم!
وبعد عشرين عاماً كافأوني بتواضع. لكن اديباً شريفاً كافأني بأعظم ما
يتمنى ان يكافأ به الفنان.. كتب يعلق على -تقديرهم- لي:

- (هو بالكاد يوازي الجهد المضاعف الذي تبذلونه في أكثر من ميدان من
ميادين النشاط الفكري والفني والصحفي.. وسواء جاء -التقدير- في أوانه أو
تأخر فانه نوع من الاقرار بالكفاءة التي تشق طريقها رغم المصائب والمتاعب
وجور الايام والمصادفات.. ارجو ان يكون الغد اجمل واروع وأكثر اعترافاً بقيمة
العاملين والمناضلين من اجل اوطانهم).

(١) تورط الفنان في مشكلة سياسية حرجة صورها البعض "سقوطاً"، وهي التهمة التي
عانى منها الفنان عشرين عاماً، حتى التقيته.

ومضى الفنان يسرد بأنفعال مشوب بسرور غامر تفاصيل اخرى من كفاحه..
لكن كلمات الاديب تغني عن أية اشارة اخرى.
فبعض النظر عن أي اعتبار.. ارى ان تقدير الموهبة الفنية الاصيلية -أية
موهبة- هو شهادة الصحة والعافية في مناخنا الثقافي.. اما المناسبة التي
جعلتني انقل فقرات من رسالة الاديب فهي ان هذا الاديب لم يلتق بالفنان من
قبل بل تابع نشاطه من بعد. ومن انبل السجايا ان يقدر الانسان مواهب
الآخرين ويحفزها ويوفر لها جواً أفضل للتطور والنماء..

صوت

العدد (١١٤٤) الخميس ٢١ ايلول ١٩٧٢

الحلقة المفقودة

نحن (...) كلنا ندعو الى الخير..
كلنا نمشي في درب التقدم.. (كما تقول)
وكلنا نخدم الشعب.. نفس الشعب..
اما الخير والتقدم وخدمة الشعب، فتكون صادقة بالعمل الجماعي المنظم.
ونحن -العائلة التقدمية-
نختفي عن بعضنا خلف حيطان -ناصية-^(١)
تظهرون فتختفي. نظهر فتختفون..
فيا حبيبتي! قللي لهم. قللي لنا:
- هل تلعبون لعبة الغميضة؟^(٢) وأسألهم:
- متى تسوون (بالأرض) هذه الحيطان؟
متى تلتقون في عمل جماعي من اجل الخير والتقدم المنشودين؟ وأسألهم ،
حبيبتي،:

- متى تلبون نداء الشعب.. متى تعيدون الى الناس بعض حقوقهم عليكم؟
متى تعوضونهم بالطمأنينة والعمل عن بعض ساعات العمر النضرة التي
احتضرت^(٣) في لعبة الانتظار والغميضة؟

١- ناصية: منخفضة.

٢- الغميضة: لعبة صبيانبة يلعبها الاطفال في القرية وخاصةً في فصلي الصيف
والخريف. حيث يختفي فريق ويبحث عنه الفريق الآخر. وتجري اللعبة خاصةً في
الليالي المقمرة اما الاختفاء فهو في الاماكن المظلمة.

٣- احتضر الشيء: مات في ذروة نموه وتطوره. مثل ذبول الزهرة وهي في بداية
تفتحها. وموت الانسان في شبابه. واغتيال الثورة في مراحلها المبكرة.

الفصل الرابع
محاكمات ذاتية

صوت

العدد (١١٤٥) السبت ٢٣ ايلول ١٩٧٢

ستساقط حول الشجرة اوراق ذابلة

١

يقولون لك: لماذا لا تكتب شعراً؟
وانت لايهمك كيف تكتب سوى ان تنبض، فيما تكتب، دفقة من حياة.. سواء
لديك أكان شعراً أم نثراً.
وفي اي مدرسة صنفوه!

٢

والكسالى يقطعون الطريق على غيرهم!
ففي العمل الفكري -ايضاً- مثل كل عمل آخر
شريحة مضطهدة.
كثيرون ينتجون. ويكرز قليلون^(١)!

٣

الثورة العاصفة تزأر..
تهب على حقل الفكر..
وتتساقط حول الشجرة اوراق ذابلة^(٢).

(١) تعبيراً عنم يجني ثمار عمل الآخرين.

(٢) تعليقا على خاطرتي السابقة -انتم كسالى.. لاتأتون بجديد- والتي كانت رداً على رسالة من احدي محافظات كردستان قال احد الزملاء ان فيلسوفاً ثورياً معاصراً يمثل الحزب بشجرة تحمل اوراقاً نضرة واخرى ذابلة. اما الذابلات فتتساقط مع هبوب اول عاصفة!

وتفقس براعم جديدة
وتلتف حول الجذع اغصان اللبلاب
والكروم تتدلى منها عناقيد تتوهج
وتزدان شجرة المعرفة بثمرة شهية..
بالنبوءة.. بالحقيقة..
غذاء الفلاسفة والشهداء والانبياء

صوت

العدد (١١٤٦) الاحد ٢٤ ايلول ١٩٧٢

محاضر الاتهام لسرية!

١

محكمة..!

ويحتويك الققص..

لائحة الاتهام:

- انت زاهد في الحياة. سواء لديك.. ان تكون او لا تكون.

يضحكك كل شيء.. حتى طفلة مسروقة..

انت لاتبكي يا حجر صوان عثر عليه تحت تل قديم!

حتى سيارة النمامة اضحككتك يوم جمعت القمامة ثم راحت توزعها على

الجبسور والشوارع. والدابة المقطوعة الذيل وعليها كذاب صغير.

- مسخم الوجه! - يعرضونه مع اعلانات السينما..

وخيونس تستجدي الذل والهوان تبيع الحب لتشتري السل والرمد.

وانت تصلي في محرابك السري..

تزرع الى جسمك جناحين. فترحل..

تلبية لنداء قديم..

يجذبك وجه متوهج في دهليز منطفيء المصابيح، وعالمك الوردي يهتف:

ان حان صومك!

لاتعد الى التراب. لاتسجد للتراب.

كنت من نار. ابق من نار.. ابق ناراً!

لاتخدعك الروح الحبيسة في الطين.. فتسجد للعبودية!

والآن قل: هل انت مذنب أم بريء؟

- مذنب! انا عاق. عصيت على السجود للتراب.. للصنم! للخوف الزنيم الذي

تلد به الحياة سفاحاً!

صوت

العدد (١١٤٧) الاثنين ٢٥ ايلول ١٩٧٢

محاضر الاتهام لجلسة سرية!

١

لماذا الصمت؟ لماذا الحيرة!

ارهف السمع:

كل الاشياء رموز تتحدث اليك:

ضمادات الجرحى، والذباب حول صبية تبيع لحماً مشويماً!

كل الأشياء رموز تغني لك:

أوعية طباخ جائع

ولنيام على الرصيف فجراً بانتظار سيارة تحملهم الى عمل..

عمل ما.. في زاوية ما..

وانت في المدينة مطلق اليدين، تفتح النيوت لك شبابيكها وابوابها الخلفية

فتمد يديك لتعرض على ضفاف دجلة

تركات عشرين قرناً -لم تر شمساً!- وعشرين قرناً قبله..

تعرضها للشمس.. تتعقم!

قبل ان يحل عصر جليدي آخر. ويفتح قلبك شذقيه. يسع الناس. كل الناس..

حتى الكسالى. حتى الطفيليين.. حتى اعلى الطغاة..

تود لو تجمعهم في حديقة.

توفر لهم التسلية والعمل..

ليصير بينهم بستانياً من يصير! حتى الذين يشتمونك. بقذفونك بألف حجارة.

حتى الذين يتمنون لو يمزقون اوعيتك الدموية.. وعاء وعاء..

حتى هؤلاء ترجو لهم ان يغتسلوا في دجلة الحلاج!

انت -يا هذا- لم تولد في عصرك!

صوت

العدد (١١٤٨) الثلاثاء ٢٦ ايلول ١٩٧٢

محاضر الاتهام لجلسة سرية!

٣

- الطبل جلد مدبوغ لحيوان ذبيح
وصوت الطبل يطرب من بعيد
صوت الطبل يطرب من بعيد
رفاقي!
اطلوا برؤوسكم، براياتكم
من كل كهف.. من كل بيدر
من كل منزل طيني
مدوا ايديكم.. وانزلوني من محفة المشنقة!
- في ضوء القمر..
وهي جالسة هناك تفكر فيك
تتشهاك الحرية
تحن الى ساعديك لأنتشالها من الوحدة
ايها النبي!
انت الآن تبجر..
تغوص.. تغوص..
وتعود الى المدار الاول
تسري في معراج جديد
ايها النبي الشهيد..
عائد انا الى المرفأ..

-شراعي عريض مهما ..
انا الحق!
- تشتاق الحرية الى صدرك المشعر
الى عينيك ايها النبي البحار!

صوت

العدد (١١٤٩) الاربعاء ٢٧ ايلول ١٩٧٢

محاضر الاتهام لجلسة سرية!

٤

افتح قبضتيك للريح
انشر ذراعيك للفضاء..
انت غني على الارض.. اغني من كل الاغنياء!
اغمس يديك في الهواء..
في الماء..
في الغبار والشجر.. والضوء
وجرائد الشعوب الفقيرة
رموز تعترف لك بشوق..
- ايها الكاهن في العراء بلا ناقوس وكروسي-
فلماذا تستجدي الأفكار
من رؤوس منخورة بانفاق معتمة..
ودهاليز تحوي كل بقايا العصور
كل عهر الفجور..
وزنانات الطغاة ومتاحف الضغائن والحروب والذسائس والشماتة والحسد
والغرور.
ايها البحار!
عاد الطير من بلاد الثلج واللهيب..
تقول الرسالة:
رسالة قاريء تخلص من الأمية قبل سنة:

- اليس عاراً أن تثار العصبية القبلية
في عصر التضامن الأممي للبشرية؟
وتندثر أخلاق الجيرة والصدقة البريئة!
وتنكمش القنافذ..
تجيب على العصر باشواكها.
هي لاتملك سوى الأنكماش!

صوت

العدد (١١٥٠) الخميس ٢٨ ايلول ١٩٧٢

محاضر الاتهام لجلسة سرية!

٥

المرفأ يشع

وانت تبجر

شراعلك حب مجنون.

على ظهرك تحمل هموم البشرية

منذ فجر الخليفة.

تصلب نفسك الف مرة..

تجلد ضميرك. تحاسب على آثام كل الطغاة.

- ايها الحب المجنون

على موجك الأزرق يبجر عاشق

يحمل على ظهره حتى الانانيين الصغار

يود لو يطرحهم في جزيرة خالية من هموم الانانية

ريثما يصل السندباد.

- ايها النبي الشهيد!

تعبوا منك.

منها مطالبك التي لاتحصى.

ولأنك لاتطلب شيئاً.. أي شيء!

يريدون خنقك بمطالب

ومطالب لاتحصى!

- ماذا؟ هل لابد ان تكون للانسان قيود؟

كي يستحق حمل هوية في جيبه
ليجتاز نقاط السيطرة
في الطريق الى جزيرة الخلاص!
- هل انت مذنب ام بريء؟
- مذنب! سادتي القضاة.
ولأنني لا اطلب شيئاً لنفسى يحسبونني اطلب كل شيء.
وهذا ذنبي.

صوت

العدد (١١٥١) السبت ٣٠ ايلول ١٩٧٢

محاضر الاتهام لجلسة سرية!

الاتهام العاشر:

- انت تثير الفضيحة!

- فينوس تستجدي.

جميلة عمياء على ذراعها طفل.

الحب يستجدي.

الجمال يستجدي.

الانسان يستجدي.

يستجدي اخاه الانسان.

يستجدي الذل والهوان!

- انت توقظ الأحلام القديمة؟

- يا شرق.. يا شرق^(١)

ابث الى رحابك

تحايا احلامي

وصوتي الحر

اهيم بشعرائك

منذ نعومة اظفاري

فليرفرف السلام على ربوعهم

ولينهمر المطر وضوء الشمس في حدائقهم.

- انت تثير الشغب!

(١) مقطع من شعر للشاعر الجورجي ارألي أباشيدزه.

- من كوة صغيرة اطل على الدنيا
ارنو الى حزمة ضياء.
انتظر شهقة من ريح نقية!

صوت

العدد (١٢٠١) السبت ٢ كانون الاول ١٩٧٢

في الطريق الى ميديا^(١)

(يمشيان في البرية. ويصلان سفح الجبل. يصعدان نحو كهف ميديا والشمس مشرقة).

سقراط: ماذا بك؟ تعرج أم تقفز؟

ديوجين: اقفز.

سقراط: انعشك الطقس الجلي واطربك فترقص؟

ديوجين: لا! يا سقراط.. اقفز فوق النمل.. اخشى أن ادهسه فيموت النمل

قبل ان يوصل حبة القمح الى قريته.

سقراط: نمل؟! اتخشى قتل النمل؟!

ديوجين: الم تعرف نفسك بعد يا سقراط؟ القتل قتل مهما تشعبت المبررات..

سقراط: ديوجين!!

ديوجين: نعم يا صاحبي.

سقراط: انت تطبق في الارض شريعة السماء!

ديوجين: شريعة السماء، أم شريعة الانسان الانسان التقى؟!

سقراط: احذر يا صاحبي! بلغنا صخوراً ناتئة، ستجرحك. اقفز عليها.

ديوجين: جرح الصخور الناتئة ارفق بي من انباء الحروب القذرة والاضطهاد

والمجاعة.

سقراط: ادركني التعب والطريق يطول بنا ويطول..

(١) دولة ميديا المعروفة في التاريخ، وهذه القصة رمزية خيالية. ويذكر مؤرخو اليونان

ان فلاسفتهم امثال سقراط وأفلاطون وفيثاغورس وغيرهم كانوا مطلعين على ثقافة

وحضارة ميديا التي تعتبر أهم موطن قديم للكورد...

ديوجين: الطريق الى ميديا طويلة. والكهف يبعد مسيرة يوم آخر..
سقراط: لنجلس قليلاً. ما اجمل الشمس من هنا!
ديوجين: الشمس هي الشمس ذاتها في كل مكان. والجميل هو من يتدفأ بها
كما يتدفأ بالثقة والطمأنينة والصداقة الحميمة المنزهة عن الاستعباد والتذلل.
والشمس يا سقراط تحب الحرية وعشاق الحرية، وتشرق لأنها حرة. الم تفهم
نفسك بعد يا سقراط؟ اليس الشروق معناه ان تتحرر الطاقات العظيمة لتصير
ضياءً وحرارةً والواناً ورقصاً؟

الفصل الخامس
محاكمة ديوجين

صوت

العدد (١٢٠٢) الاحد ٣ كانون الاول ١٩٧٢

في كهف ميديا

خانزاد، كاوة، ميديا، (سقراط، والموقد الحجري بيت الدفاء فيصفق ديوجين).
سقراط: ميديا! انت تستحق مكافأة. منذ كم وانا ارى ديوجين كئيباً؟ بينما
هو اليوم يصفق طرباً.

ميديا: لا اظنه يصفق طرباً أو يحسب كهفي برمياً^(١) من براميله!
ديوجين: تعساً! تعساً!

سقراط: ماذا يا صاحبي؟ حسبتك طرباً.

خانزاد: ديوجين يرتجف الماء.

ديوجين: خانزاد! يا شقيقتي المنفية بلا مرسوم نفي! أية تعاسة ابلغ من
اختباء الانسان في الكهوف والاحراش اتقاءً من شرور اخيه؟

ميديا: الكهف رحيم بنا يا ضيفي العزيز ديوجين! السنا محظوظين؟ اليس في
الارض عراة لايدون حتى اوجار الذئاب يلتجئون اليها؟

كاوه: لولا الحنان على غيرنا لما كنا في منفانا.

خانزاد: حنان أم واجب يا ولدي؟ كيف تذكر ذلك بلهجة (التمنن)؟ نحن هنا يا

سقراط لأن الواجب يضعنا هنا ولا جزء في ذلك او شكورا!

ميديا: جدران الكهف تذكرني بكل الذين حفروه والتجأوا اليه.. وبكل الذين
يلتجئون الى الكهوف في اي منفى على الارض، خوفاً من المطر والسهام والبرد
والضواري.

سقراط (لنفسه): هنا انسان اسمى من نفسه.. اسمى من وجوده!

(١) يقال ان ديوجين الفيلسوف كان يفضل العيش داخل برميل أو مايشبه البرميل،
ويفضله على كل شيء، شريطة ان يتركوه هادئاً صامتاً متاملاً الى ما يشاء.

ديوجين: أه يا سقراط ألم تعرف نفسك بعد؟ اليس على الارض من يولد قبل عصره؟ ومن يخترق الحاضر الى مستقبل ابعده؟^(٢)

(٢) اسماء خانزاد، ميديا، وكاوه ... رمزية، اشارة إلى سكان قارة مجهولة حتى الآن هي كوردستان التي كانت يوماً تسمى (ميدي)... وهي أول دولة، عاصمتها همدان (الكباتان أو همكتان) حسب المصادر التاريخية.

صوت

العدد (١٢٠٣) الاثنين ٤ كانون الاول ١٩٧٢

الوراثة

سقراط يتأمل في زرقة السماء. وديوجين يحدق في قمة ثلجية كأنه يصلي

سقراط: ما الذي يرثه ابنك منك؟

ديوجين: يرث مني كل شيء ولا يرث شيئاً..

سقراط: كيف؟ كيف!

ديوجين: يرث مني الانسان. انا خلاصة الحياة الواعية الجميلة في الطبيعة. هذا هو كل شيء. اذا كان ابني يصير انساناً. لا يرث مني أي شيء من ملكيتي الخاصة لأنني لا املك شيئاً.

سقراط: افهم من ذلك انك تنبذ الملكية الخاصة.

ديوجين: بلى! انا افعل ذلك.

سقراط: التحرر من الملكية الخاصة يعني تحريك من الانانية والتعقيد في

العلاقات الاجتماعية فتصير علاقات طبيعية بلا قيود.

ديوجين: اذ يعني ذلك فعلاً.

سقراط: ولما كانت الملكية قيدياً فوراثة الملكية ايضاً قيدياً.

ديوجين: وعمري انه لكذلك.

سقراط: افهم من ذلك انك ضد الوراثة.

ديوجين: وراثة المال واللقب والمركز. انا اعيش حياتي كما انا. ويعيش ابني

حياته كما هو. نحن يا سقراط نشوه ابناءنا حين نكيفهم لطقوس الوراثة

ونهيؤهم فقط للذي يرثونه منا. ومن يضمن صحة ما نورثه؟

صوت

العدد (١٢٠٤) الثلاثاء ٥ كانون الاول ١٩٧٢

صورة على عتبة الكهف

ديوجين يتحدث مع الصخور والثلج و... وميديا يستمع بخشوع متواضع:
ديوجين: هل اخبر الناس عن رجل يكره جميع الالقاب ويفرح بأسمه المجرد
البيسط -...-

وهل اخبر الناس عن رجل يكره من يمدحه، ويحب من يخاطبه مباشرةً من
قلب لقلب. كما هو من انسان لأنسان؟
لايحمل أي وسام مما منح أو قد يمنح؟
ويعرض عن جميع المظاهر التي يلهث وراءها الآخرون؟. ويبيعون دونها -ماء
الوجه-؟

هل اخبر الناس عن هذا الرجل.. الرجل؟
سقراط: انه يصلي...
ميديا...

ديوجين: وهل انشر في الناس قصيدة عن حبك للأطفال وعن حب الاطفال لك،
وعن اجمل لقب يمنحك الاطفال الكورد حينما ينادونك:
-...-؟

سقراط: يتأمل ويصلي.
ميديا:..

ديوجين: انه انت (ميديا) الوالد الكبير..

صوت

العدد (١٢٠٥) الاربعاء ٦ كانون الاول ١٩٧٢

صورة على عتبة الكهف

٢

ديوجين يهمس للطبيعة الصامتة.. والجميع صامتون، سوى اصداء الكلمات
المترنمة..

ديوجين: سأبلي رغبتك ولن اذكر شيئاً.
من امجادك التي تعرض عنها في اباء.
وانسى كل ما حولك الآن، ايضاً، فانت لاتريد ان تملك شيئاً لأنك تريد الا
يملكك شيء سوى حبك للناس..

ميديا!

ساخاطبك كما انت.. انت! وكما انا.. انا!
واستعيد صورتك وانت راع صغير في صباك
واتذكر قصة العجوز الكوردية التي صفعتك بسبب عنزتها الضائعة.

ميديا!

ايها الراعي الذي لا يريد ان ينام الا في العراء..
بصمتك، ووحدتك، وهدوء كهفك،
بأيام الملاحقة، والغربة، والقتال، والفجيرة،
ويحبك يا ميديا!

بحبك تعلمني كم هو عظيم هذا الانسان المخلوق من لحم ودم.
وكم هي غنية اعماقه المكتنزة بالحب والايامن
فانت تمتعض حتى اذا ناديتك - (ايها الرجل - الاسطورة) - لأنك رجل حي
خالق، كما ينبغي ان يكون الانسان، ولأنك خالق اسطورة، وليس اسطورة!
هل اعلن للناس من انت؟
انه انت - ميديا - الوالد الطيب.

صوت

العدد (١٢٠٦) الخميس ٧ كانون الاول ١٩٧٢

صورة على عتبة الكهف

٣

(ديوجين يصلي. ميديا يتأمل. سقراط واجم. كاوه يخرج للصيد):

سقراط: ديوجين! الم تستيقظ من الوجد؟

ميديا: وجد عميق!

خانزاد: غيبوية مذهلة!

ديوجين: وهل افصح للناس عشق رجل مغرم بوطنه،

عاش بعيداً عنه -عقداً من الحنين

فلم تند منه حسرة او شكوى

وظل يحترق في صمت

الى ان عاد من بلاد الثلج على بساط من اللهث الوردية. عبر ثلج كوردستان؟

هل اقول للناس من هو الرجل الذي عاش منعزلاً -حيناً- ليس حوله احد.

ثم عاش مغموراً بالتأييد يحيط به ملايين الناس، فلم يبأس في عزلته

ولم يغتر في ذروة الانتصار..

لم ييال لا هنا.. ولا هناك.. وظل رجلاً انساناً؟

انه انت -ميديا- الوالد العظيم..

سقراط: يا للانسان! يا للحياة الجميلة!

ميديا: كفاني عذاباً يا ديوجين!

صوت

العدد (١٢٠٧) الخميس ٧ كانون الاول ١٩٧٢

صورة على عتبة الكهف

٥

سقراط: ارتفعت الشمس فاستيقظ من الوجد يا ديوجين!

خانزاد: عاد كاوه بصيد ثمين..

ديوجين: (مازال يصلي): هل اعرف الناس برجل خاض معارك بشرية دامية،
واجتاز انهار اللهب

وتعذب وهو يرى مصرع ربع مليون كوردي

يذبحون بامتداد درب النضال القرمزي

وعاصر متألاً محنة (...) الشهيدة

ثم -بعد ذلك- ظل ينبوع وجدانه صافياً؟

لم يتشوه، ولم يتلوث بحقد أو كره، وظل -بعد الأعراس الدامية في مروج

كوردستان!-

من أكثر الناس وداعةً وتواضعاً وحباً للسلام؟

فهل اعرف الناس بخالق هذه التجربة الانسانية الحية التي لم تزل ساخنة..

ساخنة.. ساخنة

تقول للبشرية -عن لسان الكورد هذه المرة- ان روعة الحياة وقوتها واسباس

الانسان وحقيقتها هي الحب والخير والطيبة والسلام؟

فهل اعرف الشعوب بهذا المواطن المخلص البسيط من كوردستان؟

انه انت -ميديا- الاخ الكبير الحكيم.

صوت

العدد (١٢٠٩) الاثني ١١ كانون الاول ١٩٧٢

عودة الى البداية

سقراط يتابع ديوجين وهما يهبطان عبر الشعاب الجبلية بعد ان انتهت زيارتهما للكهف وودعهما -ميديا- واصحابه وجهزوهما بالزبيب والتين والجوز وخبز الرقاق.

اثار الثلج الذي يكسو الجبال وشعابها فضول ديوجين فانزلق مراراً وهو يضحك مما آثر هلع سقراط.

سقراط: ديوجين! هل عدت صبيهاً؟

ديوجين: الثلج يا سقراط! الثلج. انظر.. كم هو نظيف ونقي وابيض!

سقراط: هل النقاء يحب الموت اليك؟ انت تغازل الفناء بالعابك الصببانية يا

ديوجين!

ديوجين: اليس حب الحقيقة والاخلاص والنقاء هو الذي جرعت السم؟

سقراط: تجرعته، ايضاً، امتثالاً للقانون.

ديوجين: اجل! القانون. قانون العلاقات بين البشر. وانا الآن أمتثل للمرح

امتثالاً لقانون آخر.. قانون علاقاتنا السافرة العارية مع الطبيعة..

سقراط: وأية حقيقة، وأي اخلاص للحقيقة في ذلك؟

ديوجين: دعني الهوا يا سقراط! نقاء الثلج يذكرني بتواضع -ميديا- دعني

اتحسس جمال الطبيعة التي منحت ميديا ذلك الاخلاص الفريد لهذه الصخور

والبشر والسماء والهواء في هذه الديار.

سقراط: انت لست ديوجين الذي اعرف. اسمعك اليوم تذوب في غرام جديد.

ديوجين: غرام! عشق! وجد: سمه ما شئت. بل اصارك يا خليلي.. انني

اليوم تلج. انا صخر. انا شجر. زبيب. طير. سماء. نسمة. عجباً! الا تتحسس

بهذه الخفة والانطلاق؟ اقترب. المس البرودة اللذيذة التي تخدرني. ما ارق

احساسى بالحياة الآن.. اتدري يا سقراط من هو ميديا؟
سقراط: ادري! انه رجل حكيم يحب شعبه.
ديوجين: بل وادرك الآن انه متصوف غريب مغرم بالطبيعة ايضاً. والآن افهم
لماذا كان يخلو الى نفسه مع الينابيع والوديان الصامتة.

صوت

العدد (١٢١٠) الثلاثاء ١٢ كانون الاول ١٩٧٢

محاكمة ديوجين

١

وهما اذ يسافران.. باتا ليلة في جوف شجرة بلوط معمرة وتعشيا مساءً بالخيز والجوز وظلا يتسامران على دوي الزوابع وهدير الشلالات والغيوم تنحدر الى الوديان.

انحدرا في اليوم التالي الى ضفة نهر بحثا عن جسر أو أي معبر آخر.. فداهما شلة من سكان الأرض السفلى وانزلتهما الى اعماق سراديب ملتوية تشعبت الى كهوف صغيرة اودع كل منهما في واحد منها بمفرده، لايعرفان شيئاً عما يجري.. وسمعا اصوات قديمة جداً تتناهى عبر المعابر الجوفية..

اصوات -انكيود- وجلجامش.. وكوردو.. وأشور بانيبال.. وسرجون.. وعبدة النار في وادي بابرر.. واصوات شتى تختلط ببعضها فيما يشبه الطنين.

علقوا ديوجين الى السقف من يده اليمنى. اما يده اليسرى الطليقة فتحركت ترسم في الهواء صوراً اقترب منه السجان الذي نصفه الاعلى انسان ونصفه الأسفل ثور، وتساءل:

- ماذا ترسم؟

ديوجين: احدث الهواء بأصابعي.

السجان: الكلام ممنوع حتى..

ديوجين: الهواء عدة عناصر..

السجان: ممنوع عليك الكلام. الم تسمع؟

ديوجين: الهواء من ذرات..

السجان: اسكت!

ديوجين: الهواء يملأ الكهف.

السجان: احرص!

ديوجين: الهواء يملأ رئتني.

السجان: خذ...

وانهال على عنق ديوجين بقبضة قوية ثقيلة فتدلى فاقد الوعي يسيل اللعاب

من فمه على صدره.

صوت

العدد (١٢١١) الاربعاء ١٣ كانون الاول ١٩٧٢

محاكمة ديوجين

٢

اقتيد ديوجين في اليوم التالي الى غرفة فسيحة يتصدرها -حمورابي- ويحيط به حكماء من شتى العصور..

حكماء اوائل لم يعرف التاريخ المدون عن بعضهم شيئاً بعد .

محكمة..! ويتقدم ديوجين بخشوع. يجلس على كنبه حجرية مقابل المجلس.

حمورابي: اسمك؟

ديوجين: ديوجين!

حمورابي: شغلك؟

ديوجين: الوجد. الوجد بالحياة.. ببقاء الانسان.. بالطبيعة.

حمورابي: سكناك؟

ديوجين: حيث تراني، يا سيدي.

حمورابي: انت تمشي في الارض بلا هوية وبلا جواز سفر!

ديوجين: اعترف بذلك، سيدي. اما هويتي فهي الصداقة والثقة بطيبة البشر.

وجواز سفري هو مصباحي الذي تراه معلقاً في عنقي.

حمورابي: رأوك يوماً تسير حاملاً مصباحك المشتعل والشمس طالعة!

ديوجين: اعترف بذلك ايضاً، سيدي. كنت ابحت عن بيضة مخصبة!

حمورابي: الم تنشأ في عائلة معدمة شقية؟

ديوجين: بلى، سيدي.

حمورابي: ما الذي قدمته لها للخلاص من الشقاء.

ديوجين: لم افعل شيئاً، سيدي، سوى البحث عنم يفعل ذلك.

حمورابي: هذا هو الاتهام الاول يا ديوجين. انت مذنب لأنك لم تتحرك ذاتياً
والناس امام بصرك يجوعون ويتعذبون.
-ترفع الجلسة-

صوت

العدد (١٢١٢) الخميس ١٤ كانون الاول ١٩٧٢

شاهد يدلي بأفادته

عزيزي العقل ديوجين
يا له من اصل للصورة على الكهف
لن يأخذه الغرور الوطني
ولن يجرفه تيار الدنيا
كان في انفاس المقاتلين في مسيرة الصين البطولية
وفي بارود لينينغراد لصد الفاشية
وكان يغني للمجد في كوخ العم هوشي منه
زهدي في الدنيا فكان في ابتهالاته مع الحلاج
ابتسم من خلال دموعه المكبوتة
وبكى من خلال فرحته الصادقة
وكان شعاره الحياة
نزع اوسمة الرجال تقديراً للرجال
لن يتنكر لخنجره رغم تطور الاسلحة
وكان الصوفي المقاتل وكانت فلسفته
(عاشر الاغنياء بالتعزز والفقراء بالتذلل)
لذلك عاش في قلب كل حر وبعد يا عقل يا ديوجين.. لن تعرف اصل الصورة
وحدك
واني ليربطني بأصل صورتك شيئان عظيمان هما الدين والانسانية
وحكمة تقول: (رأيت سنابل القمح المملوءة محنية الرأس ورأيت سنابل القمح
الفارغة رافعة الرأس).

صوت

العدد (١٢١٣) السبت ١٦ كانون الاول ١٩٧٢

محاكمة ديوجين

٣

الجلسة الثانية، الكلام لديوجين بناءً على طلب منه.
ديوجين: اسجل اعتراضي على مداهمتي واعتقالي. ثم على تسليقي من يدي
في الليلة الاولى وضربي من قبل السجان بقبضته.
حمورابي: السجان! -يتقدم السجان ويقف في صف المتهم-. اصدق القول
ايها السجان هل علقتم هذا الرجل من يده وهل تلقى ضربة من قبضة اليد؟
السجان: نعم، سيدي. كان يتكلم، كان يتهمنا طوال الوقت ولايطيع قوانين
السجن.

حمورابي: ومن قال ان الكلام ممنوع عليه؟

السجان: هم، سيدي.

حمورابي: من هم؟

السجان: الذين جاؤوا به.

حمورابي: يتوجه الى المجلس، هل تشاهدون هذا السجان الذي نصفه الاعلى
انسان ونصفه الاسفل ثور؟

الجميع: انه كذلك فعلاً.

ديوجين: من أي عصر هو؟!

حمورابي: انه من هذا العصر.. هو ذكرى العصور السابقة لهذا العصر..
وانت يا ديوجين.. لك الحق في الاعتراض. لكن الا تعرف ان الانسان الكامل لن
يصير سجاناً لأخيه؟! انت تعترض لأنك تلاحظ تناقضاً بين طريقة السجن وبين
حرية الحوار في المحكمة. هذا صحيح. لكن السجان يظل سجاناً مادام هناك

سجن. وليس للسجان بحد ذاته ذنب كبير يذكر.
فالشلة التي تمارس المداهمة والاعتقال والسجن لا تقبل بأي انسان في
خدمتها الا بعد مسخه مسخاً تاماً وجعله نصف انسان نصف حيوان.
ديوجين: المسخ! اذن انا ايضاً اتهم. اتهم عملية المسخ.
حمورابي: اتهاكم مشروع. سننظر فيه في حينه، والآن لنواصل محاكمتك.
كلنا سنحاكم. وقد تجلس هنا يوماً لتحاكمني. سنحاكم بعضنا بعضاً الى ان
نصفي الحسابات.. كلنا متهمون!

صوت

العدد (١٢١٤) الاحد ١٧ كانون الاول ١٩٧٢

محاكمة ديوجين

٤

(تبدأ الجلسة بتلاوة ادلة الاتهام وديوجين على كنبه الاتهام جالس).
حمورابي: ديوجين! شاهدوك تتسلل الى حدائق الاثرياء!
ديوجين: اعترف بذلك، سيدي، وبعد التسلل خطر لي ان اصير بستانياً فيها،
ففعلت.

حمورابي: لماذا تعمل فيها وانت تكره الاثرياء؟
ديوجين: كنت مدفوعاً بفكرة الانتقام سيدي. لما سحقني العسف والجور
والعبودية حتى كادت معالم انسانيتي تنمحي قررت ان اعمل في هذه الحدائق
بستانياً كي اخرجها بحرية!
حمورابي: هذا اتهام آخر. التخريب بقصد الانتقام.

ديوجين: نعم، سيدي. بعد ان يُست من البقاء حياً بوسيلة مشروعة رحمت
اخرت كل ما يمكن تخريبه من ممتلكات هؤلاء واشيائهم قبيحة كانت أم جميلة.
ورحمت اهدم عاداتهم واخلاقهم ايضاً..

حمورابي: هدم؟! هذا اتهام آخر. هدم الاخلاق.
ديوجين: نعم، سيدي. حين لاحظت بأن لهؤلاء الناس
اخلاق الغاب تجاهي واخلاق القطيع تجاه بعضهم، -ياكل بعضهم بعضاً
ويحطم رقابهم- فقد قررت ان انتقم منهم جميعاً بهدم المزيد من عاداتهم ومثلهم
واخلاقهم التي لا اعترف بها اصلاً.

حمورابي: وماذا كنت ستقيم محل ما تهدم؟
ديوجين: هذا هو تقصيري بالذات، سيدي، هدمت أكثر مما ابني.. حتى
رأيتني غالباً اقتلع جذور الشجرة التي اقطف منها التفاح.
حمورابي: وهذا اتهام آخر. الاعتراف بالتقصير والاهمال في البناء.

صوت

العدد (١٢١٥) الاثنين ١٨ كانون الاول ١٩٧٢

محاكمة ديوجين

٥

(شهود الدفاع يتبرعون للأدلاء بشهاداتهم دفاعاً عن ديوجين).
حمورابي: ديوجين! أنت ساكت أزاء الدفاع عن نفسك، تكلم. هل أنت مقصر في البناء أم لا؟
ديوجين:
حمورابي: الشهود!!

الشاهد الاول: سمعت هذا الرجل، ديوجين يعلق على تزامم الناس حول حوانيت الجبن والطيب والبيض قائلاً انهم لا يعرفون التنظيم. والمجتمع غير المنظم دليل وجود الاستغلال فيه لأن الحاجة هي سبب الفوضى والازدحام غير المنتظم. ان عدم تلبية حاجات الناس بصورة منظمة تدفعهم الى خرق الانظمة.
الشاهد الثاني: قالوا انه تكلم عن وجود احياء فقيرة موحلة حول المدينة لا تربطها بالمدن العصرية سوى الاسلاك الكهربائية، وعن وجود احياء أخرى تعيش مرفهة وتمارس حتى تنظيف سياراتها من الطين والوحل في حين ان الاحياء الفقيرة لاتستطيع حتى تنظيف شوارعها، بل أحذية ابنائها وتلاميذها!
الشاهد الثالث: سمعته يقول لاحدى البغايا: انت أشرف من الذي دفعك الى البغي!

الشاهد الرابع: يتدخل في جميع الامور وينتقد بلا رحمة.
الشاهد الثاني: يعتبر نفسه مسؤولاً عن كل صغيرة وكبيرة..
الشاهد الاول: شاهد احد الابهاء الفقراء وهو يحمل على ظهره ابنه المريض ذا الاربعة عشر عاماً فعلق على ذلك قائلاً: ان كل اب فقير هو بمثابة سيارة اسعاف ونقالة ومصعد كهربائي وممرضة ودار راحة لأطفاله المرضى. ثم اقترب

من الاب وهمس في اذنه بحديث ممنوع!
الشاهد الثالث: رأيته يمشي مرفوع الرأس بلا خوف من البلل.
حمورابي: هذا الدفاع ليس كافياً. ترفع الجلسة الى غد.

صوت

العدد (١٢١٦) الثلاثاء ١٩ كانون الاول ١٩٧٢

محاكمة ديوجين

٦

حوكم سقراط، وأُفرج عنه لقوله:

- لم اعرف نفسي بعد.

٧

امتثل سقراط امام -حمورابي- للأدلاء بشهادته دفاعاً عن ديوجين الذي ظل يرفض الدفاع عن نفسه ومصر على قوله:

- انا متهم. انا مذنب واليرميل سجنني.

٨

سقراط: لم اعرف نفسي بعد يا سادتي القضاة. وهذا الرجل، ديوجين، الذي يتهم نفسه كان ما يزال نائماً في برميله حين ايقظته من الحلم ليرافقني في هذه الرحلة لعلني اكتشف نفسي خلالها. وطاف بي ديوجين في كهوف واحراش ومعابد الشرق البعيد والقريب حتى استقر بنا المطاف في كهف -ميديا- الذي علمنا درساً اُكتشف به ديوجين نفسه بينما بقيت انا اعمى! فلا تصدقوا اعترافاته سادتي القضاة. فهو لم يتسلل الى حدائق الاثرياء ليخرب وينتقم ولم يهدم اخلاق الناس وعاداتهم لأنه رجل اسمى من الانتقام والحقد. بل اكتفى معي بالبحث عن الرجل الذي يمسح عن جباه الناس غبار العبودية والذل ويبني اخلاقاً وعادات اسمى واجمل. وان من سجايا -ديوجين- يا سادتي هي تنسيب آثام غيره الى نفسه وتحميل ذاته اوزار الاستعباد والاهانة والطغيان ومعاناة مشاعر السجن والسجين حتى ليخجل من نفسه حين يعذب انسان اخاه فيخنتفي في برميله خوفاً من ان تشهد الشمس على وجوده على ارض يتألم فيها

انسان على يد انسان.

حمورابي: قلت يا سقراط ان ميديا علمكما درساً.

سقراط: نعم سيدي، واصبح الدرس وثيقة وقعتها ديوجين.

حمورابي: يقرأها ديوجين بنفسه.

ديوجين: اعترف يا ميديا بأنني ما ازال بعضه سجناء وبعضه سجانون. بعضه عبيد وبعضه سادة فليس امامي سوى أن اصير سيدياً على غيري او عبداً لغيري. ولما كنت ارفض ان اصير سيدياً فانا عبد. وكبي اصير انساناً سيدياً على الطبيعة فحسب اعلن انتسابي اليكم الى اصحابكم في اي كهف، في اية مدينة جميلة في اي حرش على الارض. وسأعود للبدء بالعمل على تحرير نفسي من عبودية البرميل ومن اجله اشعل مصباحي هذه المرة. وها هو توقيعي.

حمورابي: يفرج عن ديوجين.

صوت

العدد (١٢١٧) الاربعاء ٢٠ كانون الاول ١٩٧٢

ديوجين يبرق الى ميديا

وتقول الانبياء ان ديوجين وسقراط خرجا الى الارض بعد الافراج عنهما حيث اشعل ديوجين مصباحه، وقرر التوجه نحو كهوف فلسطين حيث يتسلل سقراط الى القدس ثم يعيش آلام المسيح -كيف يصلب؟ وكيف يتعذب؟- لعله يعرف نفسه هناك.

وحين هما بالرحيل ابرق ديوجين الى -ميديا- ببرقية وداعية:

- ميديا! هل اخبر الناس عن رجل يحب شعبه والبشرية جمعا، بحيث لم يعد يتسع قلبه لكرهية احد، ولم يعد يعرف كيف يكره ابناء شعبه العاقين؟ ولا كيف يكره اعداءه؟

فهل اخبر المحبين الصادقين عن مثل هذا الحب العظيم الذي غفر لجميع الاطفال الطائشين هفواتهم؟ ميديا! أه يا ميديا!

هل اعلن للناس عن رجل يضحى في صمت، ولا يريد ان يسمع الهتاف بأسمه يصنع للناس ألف حفلة غنائية ثم لا يحضر واحدة منها؟

يكره العيش في دخان القصور، يكره اضواء النيون الساطعة، يكره كلمات الشكر الثقيلة، ويعشق الوحدة مع حقيقته في منسكه الثلجي،

يعشق الثلج والصيد ونضارة كوردستان،

يققات بسعادة التضحية الصامتة، يبني ويزرع غير طامع في الراحة او في

الثمر؟

فهل رأى الناس رجلاً ينام وخنجره ونصف قرن من النضال.

ثم حين يستيقظ يرفض ان يلقب بالقائد؟

انه انت -ميديا- الوالد الحكيم.

انه انت -ميديا- الوالد الطيب.

الفصل السادس

محاضرات الأتّهام لجلسة سرّية

صوت

العدد (١٢١٨) الخميس ٢١ كانون الاول ١٩٧٢

شيرين وفرهاد

١

شيرين- فرهاد:

حقلي مجذب..

حقلي يشكو جفاف الحرمان

يشكو الظمأ والجراد

حقلي العطشان..

رماد..

حقلي في انتظار جدول جبك يا فرهاد!

فرهاد: قهرت (بيستون) يا شيريني!

انجس الماء من الصخر..

تجيتك البشارة مع الفجر.

شيرين: فرهاد!

حقلي الطفل يبكي

عطشان..

لم يصلني الماء..

الحنان..

المراد..

الماء. الماء. يا فرهاد!

فرهاد: جئت بالماء يا شيريني!

ولما سمعت في الوديان، فلاحاً يدعو الغيوم:

- ان امطري يا سماء!
اطلقت الماء في حقله، يسقي زرعه العطشان..
يملاً بيته قمحاً ورماناً!

صوت

العدد (١٢١٩) السبت ٢٣ كانون الاول ١٩٧٢

شيرين وفرهاد

٢

شيرين - فرهاد:

حملي العشق يحلم،

عريان

يحلم.. جوعان،

متى يصب في حبي الماء؟

متى يحين لحبي ميلاد.. يا فرهاد؟

فرهاد: عدت الى التبع وجئت بالماء،

يا شيرين!

وسمعت في الدجى،

نسوة واطفالاً وشيوخاً وشباباً.. يلقي بهم في العراء، عطاشى،

تفرغ منهم سيارات الحمولة، جياً،

تشردهم الحروب، والمجاعة، والزلازل..

وشاهدت في وحشة الليل، صبايا، ذابلات، الآمال..

لا يهمسن لحب.. لا يبحثن عن مرايا..

لا ينتظرن اجراس المدارس، ولا تذاكر السينما..

كن فقط - يا شيرين - يطلبن مأوى، ودفناً، وخبزاً، وماءً، وأماناً..

في كل هذا الفضاء العميق،

في كل هذه الارض الواسعة..

لم يطلبن سوى مأوى ودفناً وخبزاً وماءً وأماناً..

ولم يكن عندي سوى الماء..
فقلت: اليكن بالماء!
وانت -ياشيرين- تلحين في السؤال:
اين الماء؟ اين الماء؟

صوت

العدد (١٢٢٠) الاحد ٢٤ كانون الاول ١٩٧٢

شيرين وفرهاد

٣

شيرين: فرهاد: كم طال البعاد!
في حقلي تموت حتى الجردان والهوام والجراد..
متى يبلغ حقلي الماء؟
متى؟ متى.. يا فرهاد؟!
فرهاد: عدت الى النبع اسأل.
(بيستون): هل من مزيد؟ بكى الصخر صامتاً.. صامتاً.. صامتاً..
وجئت بالماء مسرعاً.. اسرع من الغيم،
وكان الماء يعرف الجدول الى حقلك يا شيريني!
ولما وصلت ضفاف (سيروان).. ناداني -ميديا- من فوق:
فرهاد! يا ولدي! أمك عطشى..
فرهاد! اخوتك يمصون اثناء نضبت في عروقها الحياة.
امك العطشى اولى بالماء يا ولدي.. فرهاد!
والتفت نحو امي. كانت، يا شيرين، مشقوقة الشفتين.. وتتوسل: ماء!
الصخر والتفاح والزرع والضرع والجرحى يصبحون: ماء!
والقرى المحاصرة مقطوع عنها الماء..
فدفعت بالجدول الجاري الى اشدق أمي العطشى..
شربت أمي الجدول كله..
عدت الى النبع وجئت بجدول آخر.. فشربت أمي الماء كله.. -كانت عطشى يا
شيرين-.

وعدت في اليوم الثالث بجدول آخر.. فشربته كله..
وفي اليوم الرابع، شربته..
في اليوم الخامس، شربته..
في اليوم المائة، شربته..
في اليوم الالف، شربته..
ولاتزال تشرب الماء الذي اגיע به -ولاتزال عطشى- أمنا.. أمنا -يا
شيرين..
امنا الحنون اولى بجدول حبنا، فاهجري حقلك الصغير.. اهجري حلمك..
تعالى نكسب الرهان.. نكسب الحب..
نملاً حُضن أمنا جنان!

صوت

العدد (١١٥٢) الاثنين ١ تشرين الاول ١٩٧٢

محاضر الاتهام لجلسة سرية!

١

قالوا: من انت؟ لاتبك.

لاتحزن. لاتضحك. لاتفرح. لاتتألم.

من انت؟ لاتطمح. لاتقاتل. لاتستسلم.

من انت؟ من؟ تمشي بقوانين مرور من غير هذا العصر.. فمن انت؟

لاتريد سوى اتمشى.

تمشي فحسب.. تمشي، تكلم نفسك، فمن انت؟

قال: ماذا تفعلون بصورتني؟ انا صوت. صوت ينبعث من الطين والطحالب

والماء والهواء.

قالوا: من اين جئت؟

قال: من النار. من الشمس. من صلب حركة حية متوقدة؟

قالوا: ماذا تشتهي؟

قال: ان امشي وامشي وأمشي؟

قالوا: الى أين؟

قال: الى حيث تطير هذه الفراشة. وتلك القشة التي يحملها الموج. هذه الغيمة
الراحلة الى كوردستان. وتلك الأغنية القادمة من يريفان..

امشي، قبلتي الشمس والبحر والنار.

قالوا: لماذا يزاحمونك؟

قال: سجانون!

قالوا: انت مشتاق الى السجن.
قال: لحن الى سجن الحلاج^(١).

(١) قبل أكثر من الف عام سجنوا الحلاج وأنضمت اليه والدة الخليفة ومعظم السجنائين
... ثم حاكموه وصلبوه.

صوت

العدد (١١٥٣) الثلاثاء ٢ تشرين الاول ١٩٧٢

محاضر الاتهام لجلسة سرية!

٢

الاتهام العشرون:

قالوا: انت تمشي عارياً.. عارياً.. وتعشق السباحة في أتون الشمس!

قال: يا الهي! زدني احتراقاً!

قالوا: موقدك المتلظى يشعل النار في السحر!

قال: يا الهي! زدني اشتعلاً!

قالوا: تحت لسانك تختفي ترنيمة وجد سرية تهجو العبيد والسادة!

قال: يا الهي زدني وجدا!

قالوا: تنفخ في جناحك ريح وردية فتعرج بك الى عتبة ما لايجوز اجتيازها!

قال: انا الحق!^(١)

قالوا: انت تتورز^(٢) في الخريف ايها الغريب على عتبة نوروز!

قال: النار النار!

قالوا: لاتريد شيئاً. تصادق العالم وتعاديه!

تعشقه وتتخطاه.

قال: النار النار! تحيا شيخوخة الانسان في شبابه.

النار النار!

لايلهيك اي ملهى. لايطربك أي غناء.

(١) أنا الحق! تعبير نسبوه الى الحلاج فقتلوه بسببه.

(٢) تتورز: من نوروز. ورد هذا الفعل في شعر المتصوفة كناية عن الوجد!

وتعشق ملاهي جميع الناس وتحب لو تملأ حجرات الجيع والمعذبين باعذب
الاعاني.

رد قائلاً: النار النار!

قالوا: ايها الغائب الحاضر.. استيقظ. اعترف.

هل انت مذنب أم بريء؟

- النار النار!

صوت

العدد (١١٥٤) الاربعاء ٣ تشرين الاول ١٩٧٢

محاضر الاتهام لجلسة سرية!

٣

قالوا: تحب الناس ولا تعلن لهم ذلك.
تجاهر بالعداء وانت في الصميم تسالم.
تنتقد بعنف وأنت في الحقيقة تود لو تحتضن من تنتقده وتقبله على جبينه.
فمن انت؟

قال: عشت غريباً في سجنك. غريباً في منفاك.
قالوا: تعود اليوم الى السجن. الى المنفى،
مشيعاً بنظرات الاستنكار والدهشة والكراهية والشماتة والحب..
يحبسون زهدك ضعفاً!

وسموك الجنوني عجرفة!
وحبك العنيف نفاقاً!
وعشقتك اللانهائي تملقاً!
وانت تأبى أن تدافع عن نفسك. تكلم. من انت؟

ما انت؟ بريء أم مذنب؟
أجاب قائلاً: مذنب يا الهي! وارحم أحبتي! قصمت قيودهم ظهورهم.
ضللتهم الشجارات اليومية الخانقة.
فلا يطيقون حباً وعشقاً وزهداً.. وسموا..
اما الحب.. حب الحقيقة لأنها حقيقة..

فطفل لقيط منبؤذ على الرصيف المهجور في السحر.
قالوا: تكلم.. من انت؟

- ...!

صوت

العدد (١١٥٥) الخميس ٤ تشرين الاول ١٩٧٢

محاضر الاتهام لجلسة سرية!

٤

قالوا: تشفق عليهم

تود لو تأخذ بيد كل منهم ليعبر بأمان..

تود لو تتجول ليلاً

في السحر وتمسح جباههم كلهم لينعموا في نوم مطمئن..

انت تحبهم..

وتستنكر على نفسك أن تلقنهم أية وصايا.

فانت ضد الوصاية على الحياة.

ضد كل قيد..

حتى من نفسك على نفسك..

ومن نفسك على الآخرين..

فمن انت؟ ماذا تريد؟ تكلم..

— ...

قالوا: ايها الحكيم الشهيد! كم مرة هممت بالرحيل.

رحيلاً ابدياً نحو شاطيء مجهول.. بلا قارب.

بلا شراع..

بلا بوصلة..

انما فرض الإقامة عليك نداء غامض عميق من الكهف:

لن تبكيك الطبيعة. وستبقى تحيا كما هي من دونك ومن دون آلاف الرحل

قبلك!

والأم التي حملت بك تناديك: ابق يا بني! ليسعدني مرآك!
قال: ليتها الحياة! ليتها الحياة! لو لم تكوني امأ!
ولو لم أكن رضيعك!

صوت

العدد (١١٥٦) السبت ٦ تشرين الاول ١٩٧٢

حين يحاسب العامل ادبياً

عامل نقابي من اربيل.. قائد عمالي ضمني واخوة عمال آخرين لقاء سعيد بعد أجتتماع طويل. وكان في ذلك اليوم يقرأ الفقرة من -محاضر الاتهام لجلسة سرية- المنشورة في هذا الحقل فقال:

- ومادمت معنا الآن.. ارجو الرد على مايلي. قلت: نعم.

قال: لا افهمك احياناً. قلت: كيف؟ قال: لنبدأ من البداية.

فبدأ من عنوان الحقل. وسأل: لماذا هذا العنوان؟ صوت. ثم ما معنى -أ- وما معنى -برشك^(١)-؟ ويعد ذلك جاء على عنوان الموضوع ودخل صلب الموضوع مباشرةً مستوضحاً كلمة فكلمة وجملة فجملة.. مستفسراً حتى عن اسباب الفواصل والعلامات.. وانا ارد عليه بهدوء وصبر وبنفس الصراحة. وعن معنى الصوت المنبعث من الطين والطحالب والماء قلت انه يعني خلق الحياة من مواد اولية بسيطة على ضفاف المياه.. وعن مجيئي من النار ومن الحركة الحية المتوقدة فانها اشارة الى الدور الرئيس للشمس في وجود حياتنا والطاقة العظيمة التي تمنحها الارض. فالحياة هي حركة.. حركة المادة في اشكال الاحياء نباتات وحيوانات. واما عن المشي المستمر والرغبة الجامحة فيه فكناية عن ان الحياة خالدة بخلود الحركة حركة المادة وحركة الطاقة في التحول من شكل الى شكل. واما المزاحمة فتأتي من علاقات الاستغلال والعبودية هذه العلاقات التي تشبه قضبان السجن. فالزاحمون سجانون. استوعب العامل ذلك كله وظل -مع ذلك- يلح على معرفة المزيد. فقال بصراحة:

- ماتزال غامضاً. لانعرفك. فتحدث رجاءً عن حياتك!

(١) عنوان الحقل الصحفي اليومي هو (صوت) بتوقيع مستعار (أ. برشك).

وكان يعني بالضبط ما يقول. فاوجزت له حياتي منذ منشأ طفولتي الريفية
واعوام الدراسة والنضال والنكسات والنهوض ثانيةً ومواصلة النضال اصلب
واقوى.. وهكذا فليست في حياتي أية بطولة تذكر.
هز رأسه باسماء. كانت عيناه تشيان بأنه مازال يلح في معرفة المزيد ثم
المزيد.. كي يفهم الكلمة أية كلمة. وشاركه الآخرون موقفه. ولعلها مجاملة مرحة
قال في النهاية: اسعدتنا باجوبتك.
شكراً.

صوت

العدد (١١٥٩) الثلاثاء ٩ تشرين الاول ١٩٧٢

- خطية - في مفهوم طفلة

-خطية.. كلمة عامية تطلق شفقة وتأثراً. اما أبنتي التي دخلت عامها السابع قبل اسابيع فتستعملها بطريقتها الخاصة تعبيراً عن موقفها من الحياة.. وهذه بعض استعمالاتها.

١

كنا -هي وانا- في الطابق الاول من الباص.. وهي تحدثني عن المدينة. وشاهدنا حملاً يجر عربة. قالت: خطية. يتعب تحت العربة! ومضى الباص وهي تشرح لي العالم بمفهومها. قالت عن حديقة:
- جميلة! قلت: ماهو جمالها؟ قالت: نظيفة!

٢

وشاهدنا رجلاً اسود البشرة رث الملابس يحمل عدة -فرارات^(١)-. قلت لها: انظري! هذا الرجل القبيح يحمل فرارات جميلة!
قالت فوراً رداً على استفزازي: لا.. هذا خطية! يبيع الفرارات ليشتري لأطفاله ملابس جميلة!

٣

وهي تحاجني بالدرس الاول الذي علمتها اياه. قلت لها حين رأيته تشمئز من الاطفال الحفاة الوسخين. قلت: لو كان لهم مال كاف! لو كان وضع آبائهم جيداً لأشتروا لهم الاحذية والملابس الجميلة.
فقد جلسنا معاً قرب احد السجناء وحوله عائلته. قالت الزوجة لزوجها

(١) فرارات صغيرة للأطفال يتلاعب بها الهواء.

السجين: قل! بماذا اطعم الاطفال؟ يقول الجيران: ضعهم في ميتم! فبكى
الرجل وهو يقول: يوضع الاطفال في ميتم وانا حي؟
لما سمعت الطفلة ذلك قالت: خطية! ثم وزعت على الاطفال ما لديها من
حلويات. وما تزال تحاججني بالقول: لو كان لديهم مال!
ومررنا اليوم ونحن في الباص باكواخ طينية، قالت: خطية! قلت: ماذا؟ قالت:
يعيشون في اكواخ طينية. ولما قلت اننا لانملك حتى مثل هذه الاكواخ. سكتت
برهة حزينة حزن الحقيقة. ولما نزلنا من الباص اشترت كماناً من لَاسْتِيك
بعشرين فلساً. ثم علقت بنفسها: يصنعون هذه اللعابات لخدع الاطفال. قلت:
كيف؟ قالت: ليس لهم مال ليشتروا ملابس جميلة فيصنعون فلوساً يشترون بها
الملابس.

قلت: اذا كان ذلك خداعاً فلماذا تشترينها؟ قالت: خطية!

الفصل السابع
أصوات مبهمه

عنزة هياس خاس

* وزع السلطان^(١) في البلاد آلاف العنزات وعلن عن منح جائزة ثمينة لكل من يعيد عنزته الى السلطان -بعد عام- وهي نفس الوزن دون زيادة أو نقصان.

وكان -هياس خاس-^(٢) يعمل متخفياً في طاحونة مائية في زي درويش.. ولما سمع بالرهان اوصى الطحان باستلام احدى العنزات. ثم اصطاد جروذئب وصار كلما اطعم العنزة فك الجرو المقترس واطلقه عليها فيرعها مما يجعلها تفقد كمية من الطاقة توازي تقريباً ما اكتسبته من العلف. وهكذا الى ان دار عام كامل والعنزة مربوطة امام جرو الذئب الذي كبر.. فلم تزد ولم تنقص وزناً.. ولما اعاد الطحان عنزته الى قصر السلطان فاز بجائزته الثمينة ولكن السلطان اكتشف بذلك مخبأ -هياس خاس- وزيره الحكيم فاعاده الى البلاط. لأنه علم ان احداً غيره لايمك مثل هذه الحكمة. فقد أدرك السلطان ان هياس يختفي في الطاحونة.

* ضحك صاحبي طويلاً وهو يسمع الحكاية بعد ان قلت له عن سؤاله عن حالي، ان حالي مثل حال عنزة هياس خاس..

* وحديثي بصيغة (الأنا) رمزي أعتباري... اذ اتقمص شخصية اولئك المسحوقين -المرودين- الذين يعيشون على الكفاف.. وعلى ما هو ادنى من الكفاف.. فلا يحصلون الا على ما يقيهم احياء فحسب.

(١) و(٢) السلطان وهياس خاس (أو خاص) وغيرهما يرد ذكرهم في حكايات فولكلورية في بعض مناطق ريف كردستان. ويتصف هياس خاس عادةً بالحكمة والتعقل والتأمل. وقد اختفى مرة ساعطاً على السلطان الذي اعلن عن ذلك الرهان كوسيلة لأكتشافه!

صوت

العدد (١١٦٢) السبت ١٣ تشرين الاول ١٩٧٢

صحفي بلغاري يثني على الطلبة الكورد في بلغاريا

* قال: جيدين. هم جيدين. مفهوم؟

قلت: نعم.

قال: انت يعرف انكلش؟

قلت: قليلاً!

قال: الستيوذنت^(١) الكورد في بلغاريا كثيرين. هم جيدين. (جيدون) اذكيا.

مفهوم؟

* ابتمست للزميل البلغاري الذي ترجم لي صديق بلغاري آخر بقية حديثه. فكان الزميل يريد القول ان الطلبة الكورد في بلغاريا كثيرين. وهم يواصلون الدراسة بجد ونشاط. ومتقدمون في الدراسة. هم اذكيا. ونحن مرتاحون منهم.
* سرنى هذا الثناء على طلبتنا من هذا الزميل الذي يزور العراق - للمرة الثانية- وكان هذه المرة مع وفد الحزب الشيوعي البلغاري.

* قال الصديق الآخر: كوردستان تشبه بلغاريا في جمال الطبيعة. قلت: لكن شاعراً كوردياً معاصراً هو -وران- وهو من جيل ناظم حكمت واراغون وبابلو نيرودا وغيرهم من شعراء العصر.. هذا الشاعر يخاطب كوردستان في قصيدة له ويقول: انك جميلة. واذا التقى جمال حياة الانسان فيك بجمالك فحينذاك يا كوردستان.. كوردستان الجميلة. مني الرقص ومن الحياة الغناء.

* انطلق الزميل البلغاري يتحدث عن أمنيته في زيارة كوردستان في زيارته المقبلة^(٢) وقال بتأثر: نحن اقرباء! حين حدثته عن الجبل وسقوط الثلج والقيح والاعراس القروية وعن خبز -الرقاق- الذي تشتهر به الكوردستانيات..

(١) الستيوذنت -بالانجليزية- الطلبة.

(٢) هذا اللقاء جرى في بغداد.

* واندھش الزمیل وصدیقه حین اکتشفنا معی تشابھ عدید من المفردات
البلغاریة والکوردیة مثل:
-بہ نجہ رہ -الشباک.
- کوزہ -الخروف بالبلغاریة -وحظیرة الخرفان- بالکوردیة.
- جوخہ -القماش- او نوع من القماش. تصنع منه الملابس الکوردیة
الرجالیة.. وغیرها من المفردات..

صوت

العدد (١١٦٣) الاحد ١٤ تشرين الاول ١٩٧٢

فلاح يحكم على نفسه بالاستغلال

واما هذا الصوت فهو لشاب كوردي^(١) يتميز باسلوبه المركز وتفكيره النقدي الواضح. وسبق ان نشرت له الصفحة الاخيرة خاطرة اخرى. واما في هذه الخاطرة فيغلى غضباً على التخلف الفكري في كوردستان. وهذا هو نص ما كتب:

- اتاني وهو ينفذ غبار العمل اليومي عن كتفيه وفي عينيه الغائرتين الف حكاية دأب وكفاح من اجل الخير. وكدت اقرأ عمره في وجهه فالسنين بكل ما فيها من آلام مرسومة فيه. ذلك هو فلاح كوردي يعيش الفقر. هو كادح نقي نقاء الماء لم ينبع من قلبه سوى الحب.

ولكن ماذا يفعل فهو كما يقول: لم يرزقني الله ورماني الدهر بكل حقه. وحين أسأله -ولكنك تكدح من اجل الآغا^(٢) وتضحى بالأعز في سبيله. اليس اذن هو سبب فقرك؟ فيقول لي وقد غمره الحزن- لقد رزقه الله.

فأقول له: ولكنه يستغلك فكيف لا تتحامل عليه؟ يقول: هو السيد وانا البعد. هو النقي وانا المغضوب عليه. هو يستحق كل شيء وانا نفاية.

فتركته يجر نفسه بخطواته الثقيلة. ورجعت وقلبي حزين على الفلاح الكوردي الذي لم يشعر لحد الآن انه حاكم نفسه وارضه. وقلت في نفسي مادامت الثورة رفضاً لكل انقراض الماضي اذن لماذا لا نسلح العقول اولاً بفكرة الرفض وحينها يكون الفلاح الشرارة الأولى على الأسغلال..

(١) في وردت رسالته الى حقل (صوت)، فمحتته الفرصة ليتحدث من خلال الحقل.

(٢) بعض مناطق كوردستان يطلق -الآغا- على الملك او رئيس العشيرة.

صوت

العدد (١١٦٤) الاثنين ١٥ تشرين الاول ١٩٧٢

صوت يخاطب صوتاً

* عزيزي صوت^(١)! هل تعلم ماذا اريد؟

اريد وظيفة بثلاثين ديناراً..

كما اريد عروساً جميلة من كردستان..

كما اريدك ان لاتدعوني بالغريب لأننا جميعاً غرباء على هذا المسرح!

كما اريدك ان لاتدعوني بالنبي الشهيد فأنا لست نبياً ولا شهيداً واعلم انني

رهن الاشارة للدفاع عن جبالنا عن سهولنا عن قريتنا.

والا فاتركني وشأني فقد بدأت احبك وكما تعلم انني كلما أحب شيئاً افقده

وهذه المرة تعجبت لانني وجدت صوتاً كلما اهرب منه يلحقني.

اخوك صوت^(٢):

* هذا تقريباً نص رسالة مجهولة موجهة الى - صوت -.. فاذا كان الاخ -

كاتب العريضة- يحب صوتاً فلماذا يهرب منه؟ هل لكي يبرر احباطه الازلي

بفقدان الحبيب؟

واذا كان قد فقد الوظيفة والعروس واتهم بالغبية كما يبدو من منطقه حيث

يفقد عادةً ما يحب - وهو يحب ما اراد-.. فكيف لا ادعوه بالشهيد؟

ومفهوم الشهادة واسع لا يقتصر على الموت. وفي بعض مناطق كردستان

يطلق الفلاحون الكورد كلمة -الشهيد- كناية عن الحرمان الشديد واللهفة

المحرقة الى الشيء. فيقال ان فلاناً شهيد الراحة. ويعني ان هذا الفلان تشرد

وطورد وتعب من الحل والترحال حتى صار شوقه الى الراحة والاستقرار في

مستوى الشهادة. واما هذه الشهادة فتعني الرغبة الذاتية العارمة للأستشهاد..

(١) يقصد: كاتب حقل (صوت) اليومي.

(٢) هذا القاريء سمي نفسه أيضاً (صوت).

اي للفناء في الشيء والذوبان في المراد.
وهذا تعبير آخر عن الوجد. فالوجد شهادة. والتفاؤل الراسخ شهادة.
والاخلاص اللانهائي للحقيقة شهادة. والتمسك الحازم بالنضال في سبيل
الشعب والوطن شهادة. فالشهادة الحقيقية تبدأ في الحياة ومن الحياة ولا تبدأ
من الموت او بعد الموت او مع الموت كما هو شائع في الفهم التقليدي للشهادة.

صوت

العدد (١١٦٧) الخميس ١٨ تشرين الاول ١٩٧٢

اصوات مبهمه

كتب ك. دلسوز^(١) هذه الاصوات التي يصفها بالمبهمه والثائرة في آن واحد ويلاحظ في البداية التناقضات التي تملأ ساحة الفكر:

- من اقصى الميامن الى اقصى المياسر.

والانطوائية والتحفظات.. والتفكير الميتافيزيقي الجامد العقيم الى النهج الديالكتيكي المرن السليم. من الظاهرات الاكبرية والاساليب النازية والنزاعات الشوفينية الى اعالي الضروب المثالية والقيم الرفيعة ومن الجدل الحامي الوطيس في ما اذا كانت المادة تسبق الفكر أم بالعكس الى الصيحات الوجودية متوجة بظاهرة الكوجيتو^(٢) والتخبطات والفوضى والدوكماتية والارتجالية والزيف والغوغائية.. كلها تبعث بأعالي قدراتها الكامنة متفجرة في عالم متشابك ومتصارع. وقد يصدق من ادعى بحقيقة سر افلاكه وهو جوهر -الهيولية- الذي يتشامخ مقامه ردهاً على رده.

- وبالمقابل قد يصيب الصوت المنبعث من الطين والطحالب والماء، الذي يحاول ان يضعنا امام حقيقة وجودنا وحركتنا التي هي الحياة وسرها (جوهر الهيولي) ذلك الجوهر البسيط من المادة الأولية (البروتوزوا)، فقد كان التقاء الاصوات المبهمه في فرع من شجون الكلام مع صوت أبرشنتك.. وكل صوت يعرض فكره في اثبات مسيرة الحياة على حركة المادة الديالكتيكية.

- فأسمعوا يا من تتصفون بالفينومينولوجيا واصفوا ملياً وتععمقوا أكثر لتروا ايأ من هذه الأصوات -المبهمه- يعرض الحقيقة. لأنكم انتم -حقيقة- جزء منها

(١) ك. دلسوز كاتب شاب آخر كتب لي رسالة تتضمن اشارات سريعة متداخلة سماها بأصوات مبهمه.

(٢) الكوجيتو: اشارة الى فلسفة انا افكر اذن فانا موجود.

لايتجزأ. فلا تستسلموا للخيال والطوباوية اليائسة يا من جاب منكم في الخيال
والخداع راقعاً! ويجوب اليوم بلا وعي ولكن بقلق وخوف وتردد وارهاب.. فنحن
نريد ان نلمس -الصوت الحقيقي- لنضعه في ثنايا الواقع المر الذي نتحملة رغم
ثقله في كل دقة جرس لدوار الوقت والزمن! فهيا ارجعوا لوعيكم فقد حان الأوان
فنحن بالركب متأخرون فقد يفوت القطار وعندها تفنى اجيادنا وامانينا وآمالنا
في اليأس والفشل وهو ادنى المصائر فلا نريدها. لنرفضها!

صوت

العدد (١١٦٨) السبت ٢٠ تشرين الاول ١٩٧٢

عن الاصوات المبهمة

والاصوات المبهمة ليست مبهمة^(١)، والاصوات المتناقضة داخل نفس ساحة الفكر تعبير عن تناقضات حادة في الواقع الاقتصادي والاجتماعي.. وفي البلدان النامية يسود فكر متخلف موروث تتشابك الاصوات تشابكاً متناقضاً معقداً حيث يواجه الفكر الاشد عصرياً وعلمياً الفكر الاشد بدائياً ووهمياً..

وخلال هذا الوضع المبهم ينبغي البحث عن الحلقة المركزية في النضال. ودعوة -دلسوز- الى التمسك بالصوت الحقيقي كما جاء في خاطره المنشورة امس يمكن ان تضعنا امام سؤال آخر مشروع: ما هو الصوت الحقيقي؟ ومن أين يأتي؟ ولكي نحدد الاجابة بشكل ملموس نقول ان الصوت الفكري الاصيل -في واقعنا الراهن- يأتي من المثقفين الثوريين الذين يعملون بصمت وتواضع -كما كتبنا امس.

ومثل هذا الصوت يتميز بالوضوح والصراحة والبحث الجاد عن الحقيقة وفضح الاستغلال الطبقي والقومي والتنديد بقروح الاستبداد الفكري والسياسي.. والنضال من اجل حرية الفكر واشاعة الديمقراطية في الحياة الاجتماعية واطلاق المبادرات الخلاقة للجماهير.

اما البحث عن سر الحياة -أو جوهرها كما يقول دلسوز- فلم يعد مهمة الفلسفة بل مهمة العلم. واما الموقف من العالم أو مفهوم الانسان عن العالم فأمر يختلف عن بحثه عن اكتشاف اسرار المادة والطاقة والحياة.

(١) هنا أو اصل تعليقي على رسالة ك. دلسوز التي نشرتها سابقاً.

ان الفلسفة هي مفهوم الانسان عن العالم. والاكتشافات العلمية تغني هذا المفهوم باستمرار فتتعمق النظرة الفلسفية. ويساعده هذا الفهم -بالتالي- على توسيع اكتشافاته. وانا حين أؤكد على كوني -بصفتي كائناً بيولوجياً- جزءاً من الطبيعة وامتداداً لحركة المادة بشكل اعلى واجمل.. فانما اعبر عن حقيقة علمية بسيطة تفسر منشأ الحياة ومن ثم الانسان.

الا ان هناك حقيقة هامة ينبغي التأكيد عليها وهي وحدة مفهوم الانسان وشموليته ازاء ابسط المسائل واشدها تعقيداً. وهذا يعني ان ننطلق من موقفنا ازاء ايجارات السكن وازاء قضية الديمقراطية وازاء مستقبل البشرية من مفهوم واحد شامل لا من مفاهيم متناقضة متعددة. ومثل هذه المفاهيم هي الأصوات المبهمة حقاً^(٢).

(٢) أظن ان تعقيبي على رسالة ك. دلسوز جاء هو الآخر مبهماً ... فالحياة مبهمة يصعب الفكك من غموضها.

صوت

العدد (١١٦٩) الاحد ٢١ تشرين الاول ١٩٧٢

رايات مختلفة الألوان ترفرف معاً

لأيام طويلة..

رُفِرت معاً رايات مختلفة الألوان امام واجهة معرض بغداد الدولي^(١). رُفِرت في علو واحد..

ولسبب ما وبصورة لا شعورية قمت بتعرية اقسام المعرض.. تعرية معارض الدول المختلفة من اللباس الرسمي^(٢)..

وتصورت العمال والفلاحين والفنيين والعلماء الذين ابتكروا وصنعوا وانتجوا المعروضات.. تصورت اياديهم وهي تعمل.. هاهي منتجاتهم متشابهة.. ملاعق وحاصدات.. غسالات ومطاحن.. أواني واقلام واحذية ومكائن وآلات... فالأشياء التي تقرب الشعوب الى بعضها أكثر من الأشياء التي تبعد. بل ان الشعوب متقاربة في الأشياء الضرورية للحياة اليومية..

هذا هو ما يقوله المعرض.. والذي لم يكتب على أية راية..

ويقول المعرض اشياء اخرى:

ان الناس يمكن ان يتعايشوا معاً بسلام اذا ازيلت قوى الحرب والعدوان.. فبعيداً عن الاستغلال الطبقي والعنصري يعيش الناس في وئام وسعادة^(٣).

فما اجمل مختلف الرايات بمختلف الألوان وهي ترفرف معاً وفي علو واحد!

(١) بمناسبة انتهاء معرض بغداد الدولي.

(٢) بمعنى أنني حاولت ان اشاهد المعروضات كما هي بدون تنسيبها (الرسمي) الى هذه الدولة أو تلك... بل اعتبارها أشياء للناس فحسب بغض النظر عن انتماءاتهم الجغرافية أو العرقية أو اللغوية... الخ!

(٣) ربما ان كل معرض يقول هذا الشيء، وهي الحكمة من اقامة المعارض المشتركة الكبيرة.

صوت

العدد (١١٧٠) الاثنين ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٢

رسالة الى ميديا

١

هل اشكو؟

لن اشكو.. انما اقرر حالة.. يا ميديا!

البريد المنقل بالشكاوي امام باب الجريدة

يرتجف برداً..

يئن.. يتوجع..

يتمرد..

يا ميديا..

في الدرج تشكو الشكوى

الشكاوي..

ويشكو الألم..

الشكاوي تشكو بعضها..

الأسماء الصريحة تواسي الأسماء المستعارة..^(١)

والبريد يرتعد خوفاً..

والمطبعة تذرف شكاوي سوداء..

(١) كنت في هذه الفترة أتلقى مئات الرسائل أسبوعياً حيث أصبحت مسؤولاً عن تحرير زاوية مشاكل المواطنين، وهي رغم الأرهاق كانت ممتعة أيضاً، إذ وجدت رسائل كثيرة طريقها الى جهات معنية للبحث عن حلول، أو تلقت دعماً وتأييداً من مواطنين آخرين بتشكيل رأي عام حول بعض المشاكل، وذلك رغم صعوبة الأوضاع وغياب الديمقراطية آنذاك، فالحقيقة تقال.

ابتهالات. امنيات. نداءات.
وفي الدرج تنام ادعية. واحلام. وثورة..

٢

آه! يا ميديا..
في الدرج شرارة تحرق بقية الورق..
والبريد المثقل بشكاوي الحالمين الراضين الخالعين المتمردين..
يرتجف حنقاً وسخطاً..

صوت

العدد (١١٧٨) الثلاثاء ٢٣ تشرين الاول ١٩٧٢

المقص في التأريخ

المقص آلة عمياء تنفذ مشيئة حاملها.

هو اداة شذب وتجميل بيد البستاني. واداة تخفيف وتزيين بيد الحلاق. واداة تصميم بيد الخياط..

كان سكان العراق الاقدمون يربطون ارجل النعاج ليجزوا اصوافها بمقص كبير خاص. فالمقص ذو تأريخ قديم يتصل بعيد جز الصوف. اما المقصلة فهي انحراف دموي في تأريخ المقص. وكانت اداة بأيدي الملوك. ثم تغير استعمالها فاصبحت اداة بأيدي الثوار الفرنسيين بعد ثورة ١٤ تموز الشهيرة. واستحالت بعد ذلك الى اداة ارهابية بيد رويسبيرر.. وهكذا! للمقص اشكال واحجام شتى منها صغيرة لقص الشوارب واخرى لطق شعر الرأس وغيرها لجز الصوف او لقطع الاعناق. ومهما تعددت استعمالات المقص فان ثمة حقيقة ثابتة وهي ذلك العداء المستحكم بين المقص والشعر. وقد صنع الانسان المقص اساساً كي يقصر الطويل.

ففي السجن يلقون شعر المحكوم لدى دخوله السجن -مباشرةً. واذ ما خالف انظمة السجن يعاقب ثانيةً بخلق شعره. فالحلق قد يكون اهانة وقد يكون تجميلاً.

رحمك الله يا انشتاين حين جعلتنا نفلسف الامور -نسبياً!- فلكل شيء اوانه. وتأريخنا حافل بالحي. هذا هو آشور باتيبال، وحمورابي، وسرجون الأكدي، والفارابي.. والخلفاء والشعراء والعلماء.. بلحاهم وشعورهم الطويلة يرقدون في المتاحف.

واخيراً.. انتبهنا الى خطر الشعر الطويل! وتحول المقص بل انحراف مرة اخرى عن مهمته النبيلة مهمة التجميل والتخفيف فأصبح اداة اهانة وملاحقة.

ولا اقصد به مقص الرقيب الذي يجري العمليات الجراحية في بطون المطبوعات الخارجية وشرائط الافلام. بل اقصد -مقص الحلاق- بالذات.. هذا الذي غدا يلاحق الزلوف والشعور الطويلة في البلد المشهور -بقصايب رجاله ونسائه!^(١)..
ان تأريخ المقص ليس مشرفاً كله!

(١) اعلنت السلطات في بغداد، في هذه الفترة، عن منع الزلوف التي اعتاد الشباب تطويلها تشبهاً بالهيبيين الذين أنتشر نمط حياتهم في العالم. وممن حلقوا شعره رغماً عنه، أمام محافظة بغداد، فهو زميلنا الكاتب جعفر ياسين، الذي كتب في جريدة التآخي عن هذه الحلاقة القسرية كلمة معبرة، وقد طورد بعد ٢٠٠٣ أيضاً ولجأ إلى لندن فيما بعد.

صوت

العدد (١١٧٢) الاربعاء ٢٤ تشرين الاول ١٩٧٢

ميديا يرد

صبرك.. يا بني!
قد بلغتني شكواك التي تشكو من ثقلها.
قل لهم:
مزقوا ظروف الشكاوي..
احرقوا العرائض والاسترحامات..
مزقوا بيارق الامل..
تعلموا اليأس من الشكوى..
وارفعوا رايات العمل..
حلمك.. يا بني!
قد بلغتني شكواك..
قل لهم: حطموا صندوق البريد في الشارع..
وزعوا رسائله..
الصقوها على الحيطان
على الاشجار
على الصخور
ثم هات يدك واصعد.
حزمك.. يا ولدي!
هيا. اصعد.
الرجال في التراب مغروسون.. لايشكون. لايسترحمون. لايستدعون.
قل للشاكين.. للمسترحمين:

هيا اصعدوا . واطلقوا شكاواكم المهملة للريح العلوية في الدرج ..

اصعدوا .

اصعدوا .

اصعدوا .

الرجال في الشفق مغروسون .

وعلى التخوم القرمزية زنود معشوشبة ..

صوت

العدد (١١٧٤) السبت ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٢

كي نهين الاهانة

يقول المثل الكوردي عن الساخط المتبرم حنقا:

- لو طعنته بخنجر لما سال منه دم!

فما هو الشيء الذي يتخثر أزاءه دم الانسان فلا يسيل حتى لطعنة الخنجر؟

الجواب عند سائق من سواق- التاكسي-.

يقول: انها الاهانة!

جلس يشكو بعنف وغضب مهموسين.. لكن لماذا الهمس؟

قال: اتهموني بمخالفة بسيطة عادية جداً للمرور. لكنهم اهانوني بكلام مشين.

لماذا الاهانة؟ لم اتهرب من الامتثال لما تفرضه العقوبة.. فما معنى الاهانة؟ قل:

هل تقبل بالاهانة؟ هل تسكتون عن الاهانة؟

كانت شفاته المخلجتان تنطقان بأسم كل المهانين على الأرض. ولم يطلب

شيئاً. بل حتى لم يطلب اثبات براعته من المخالفة. طلب فقط ان اكتب عن

الاهانة. أن أهين الاهانة. وذهب.

اجل! لماذا الاهانة؟ انذكر انني قلت له لتهدئة سورة سخطه:

- نحن ضد الاهانة. وللأهانة اشكال كثيرة جداً تبدأ من الاستغلال الطبقي

والقومي وتنتهي بالشتيمة والتحيز والانتقاص من الناس والطعن في الكرامة

الشخصية وفي المعتد والعداات والتقاليد التي لاتقلل من الانتاج ولا تزيد. لاتهدد

الاستقلال الوطني ولا ترسخه!

فالاهانة سلوك اجتماعي. أو بعبارة ادق هي موقف طبقي ومن نفايات

الاخلاق المتوارثة عن الطبقات السائدة المالكة التي تهين الخدم والرعاا!

وتستصغر المنتجين والنساء! وليست هناك اهانة كبيرة واخرى صغيرة. فالاهانة

اهانة سواء كانت ضد كرامة ومشاعر شخص ما أو كرامة ومشاعر شعب ما.

أن زعزعة ثقة الجماهير باهانة مشاعرها واستصغار قدرتها على تنظيم قواها في ظل الحريات الديمقراطية هي شكل من اشكال الأهانة. كما ان تحطيم امل الطالب الكوردستاني في التدريس بلغته القومية هو شكل آخر لها..

فلما كانت الجذور العميقة للأهانة تمتد الى اعماق مجتمع الاستغلال والتخلف والبؤس فان اعظم اهانة يمكن ان نوجهها للأهانة هي ان نناضل نضالاً من اجل استكمال مهام مرحلتنا للانتقال الى مجتمع افضل لايهان فيه أي انسان وأي شعب.

الفصل الثامن

صراع من أجل التوازن

صوت

العدد (١١٧٥) الاحد ٢٨ تشرين الاول ١٩٧٢

١

أخرس يفسر العالم بيديه

كنا -كلانا- ننتظر في موقف الباص. مر صبي شحاذ. ولم نعطه شيئاً. التفت نحوي صاحبي المجهول -صديقي في الانتظار الطويل- ورسم على وجهه علامة استياء كبيرة. ثم نطقت يداه.

وأشار الى كفيه ثم الى الجدار القريب والى آلات البناء.

وشرح لي الأخرس المجهول بيديه انه عامل بناء. فاذا عطل عن ذلك فهو حداد. والا فهو صباغ وبائع متجول.. ويعيش مع امه يعيلها. ولا ينتظر معونة اخوته الذين كبروا وتزوجوا واهملوا امهم. احدهم ضابط والأخر مهندس والثالث لم افهم ما يعمل. ويحتمل انه بزان فقد اشار الى ذراعه وقميصه الرمادي! ثم رسم بذراعه عتلة. قائلاً انه يعتمد على ذراعه ولا يستجدي احداً. وأشار الى الشحاذ الصبي الذي ابتعد حافياً وهو يحك رأسه من الخلف.. ايها الانسان! ما اعظم الطاقات الكامنة فيك!

٢

اعمى ينكت على الدنيا

صعد الباص وتحت ذراعه عدة رزم من مختلف الجرائد اليومية. تحسس القضبان بيديه واطمأن الى احدها ووقف. فالباص مكتظ بالركاب. طلب صبي جريده. فقال:

- هات فلوسك!

كان الصبي في موقف الباص والبائع الاعمى في الداخل. واثناء ما كان يمد يده تحرك الباص. همس الأعمى لأحد الركاب:

- هل استلمت الفلوس منه؟

اجاب الراكب: نعم!

فضحك الأعمى. ضحك كما لم يضحك اسماعيل يس. وبعد ان شبع بالضحك قال: الحمد لله! ما اجمل ان ننكت على الناس احياناً؟
هذا الاعمى الضاحك بدشداشة مقلمة ونعلين من بلاستيك ينكت على الدنيا التي لا يرى منها شيئاً.. لا قبحها ولا جمالها. لكنه يتذوقهما بطريقته الخاصة.
ايها الانسان! ما اجملك وانت تنتصر على الظلام بضحكة العمل في الطريق الطويل!

صوت

العدد (١١٧٦) الاثنين ٢٩ تشرين الاول ١٩٧٢

القراء ليسوا زبائن متجر!

اعاني من صعوبة الكتابة هذه الأيام.

ويزداد شعوري بمسؤولية الكلمة.

ان جماهير شعبنا اصبحت اعمق وعياً وارهف حساً.

انها لفرحة عظيمة.

لكن معاناتي تشتد كلما شعرت باستحالة التوفيق بين ان اظل متعثراً ببقايا

الخيوط الرومانسية والتأملية وبين ما تفرضه المصلحة الحقيقية للناس

ان القراء ليسوا زبائن!

وانها لعقلية تاجر رأسمالي تلك الآمال المعقودة على اثاره الأثارة لمجرد

الأثارة. واذا كان القراء قد ساد فيهم ذوق خاص في البحث عن كل ما هو مثير

فينبغي على الأديب بالذات ان يتقف الناس لتقويم ذوقهم الفني ايضاً.

يعتبون احياناً لأنني اتناول مشاكل يومية بين فترة واخرى واطرحها هنا.

اظن ان ذلك من الواجبات الاساسية للجريدة اليومية.

صوت

العدد (١١٧٧) الثلاثاء ٣٠ تشرين الاول ١٩٧٢

عمال الطباعة

هناك من يكتب بمتعة وشغف.
وهناك من يقرأ بمتعة وشغف.
وبين الكتاب والقراء تعمل واسطة نقل حية تشعر هي ايضاً.. وتفكر وتتمتع
بالفن الأصيل.
انهم العمال. عمال الطباعة بالتحديد..
سمعت يوماً أحد عمال التنضيد ينادي زميله:
هل قرأت ما كتبه (...) انه رفعنا الى السموات!
كان يشير الى مقال بين يديه يمجد الطبقة العاملة المبدعة.
وكان عامل تنضيد يصحح عبارة وردت فيها: (واجتثاث جذور الرجعية)..
الخ.. فعلق العامل فوراً:
- منذ عشرين عاماً وأنا اصحح عبارات ضد الرجعية.. متى تجتث فعلاً؟
ففي الوقت الذي اعرف زملاء لا يكلفون انفسهم مشقة قراءة ما يكتبه
زملاؤهم في نفس الجريدة.. فان عمال الطباعة حريصون على المطالعة والمتابعة
والتعليق ايضاً مع انهم يطبعون المقالات حرفاً بحرف. ولكل منهم كاتبه المفضل.
ولعل انجح كاتب هو من يجتمع العمال في حبه. وهم يتميزون بحس مرهف
لأنهم مرتبطون بأخطر ادوات الانتاج.. ادوات الانتاج الفكري.
فأراؤهم بارومتر دقيق للمناخ الفكري.

دروس من شيلى

حافظوا على الهدوء. حافظوا على الديمقراطية.

بهذه الروح تواجه جبهة القوى الشعبية وسلطتها الديمقراطية في شيلى^(١) أعمال التخريب والعنف التي تمارسها الرجعية لأيقاف عملية التحولات الاقتصادية والاجتماعية التقدمية الجارية منذ عامين تقريباً. وازاء يأس وخوف البعض من الحريات الديمقراطية التي تستفيد منها الرجعية ايضاً تواصل جبهة القوى الشعبية تنظيم قواها مستفيدة الى اقصى حد من الحريات الديمقراطية.

ان تجربة شيلى تبرهن على قدرة الجماهير الواعية على دحر الرجعية وذلك في ظل الاوضاع الديمقراطية^(٢). وخلال اقل من عامين انجزت سلطة الوحدة الشعبية المؤتلفة من الاحزاب التقدمية استطاعت تأمين النحاس وعدداً كبير من البنوك والمعامل والمصانع ومصادرة الملكيات الزراعية الكبيرة وضرب الاقطاعيين في شمال وجنوب شيلى وتحرير الفلاحين من نفوذهم الفكري والسياسي واجراء تغييرات في المجال الثقافي بحيث صار بإمكان العمال مواصلة التعليم الجامعي كما ان آلاف الطلبة في المعاهد التكنيكية راحوا الى المعامل لمساندة العمال في ادامة وزيادة الانتاج. وبذلك توسعت القاعدة الاجتماعية للجبهة الشعبية.

فالتطور الديمقراطي السلمي اصبح ممكناً^(٣) في ظل التعايش السلمي حيث

(١) هذه السلطة أصبحت عام ١٩٧٣ ضحية الحريات المتاحة التي استغلها الجبهة المضادة فأسقطت هذه التجربة الفذة وقتلت قائدها وأغرقت شيلى (تشيلي) في الدماء والدموع، ولاتزال حتى اليوم تعاني آثارها.

(٢) و(٣) و(٤) هذه النظرات المتفائلة سادت العالم آنذاك ثم تبين انها كانت أمنيات جميلة بددها أنقلاب الجبهة المضادة للتجربة.

يجري تغيير مستمر في ميزان القوى بالعالم لمصلحة الشعوب لمصلحة التحرر الوطني والسلم والديمقراطية.

ففي ظل مثل هذا الوضع بالذات امكن التوصل الى تحسن العلاقات بين شطري المانيا وشطري كوريا والى امكانية تحقيق السلام في الهند الصينية.

ان الجماهير الواعية المنظمة في ظل نظام ديمقراطي تقدمي يمكن ان تحسم التطور التاريخي لصالحها.. لصالح تحرر البشرية من الاستغلال الطبقي والقومي^(٤).

صوت

العدد (١١٨٠) السبت ٤ تشرين الثاني ١٩٧٢

الصراع من اجل التوازن

ظلت الفتاة تتأرجح حتى استقرت حركتها.
وتماسكت فوق المنصة المرفوعة الى علو شاهق، ثم نزعت قميصها. ثم
بنطالها..

وامسكت بعدة كرات وراحت تلعب بها.
كانت فتاة السيرك الهندية الرشيقة بارعة في الحفاظ على توازنها.
وكانت الفيلة-التي جاءت في نمرة ثانية- تتوازن ايضاً على الاخشاب
الرفيعة والمساند..

هذا هو المبدأ الاساس في السيرك..

مبدأ التوازن.

وكثير من مظاهر العنف والتخريب في المجتمع والطبيعة هي من اعراض
الحركة في سبيل اعادة التوازن الى سير التطور.

قلنا: اعادة التوازن وليس الاستقرار.

فالتوازن يتضمن استمرار الحركة-حركة ما- ضمن شروط معينة هادئة
وسرعان ما يختل هذا التوازن فتحدث هزة لأعادته مرة اخرى وهكذا.

فانفجار البراكين هو عمل طبيعي لأعادة التوازن الى الضغط في جوف
الارض.

والزلازل هي حركات عنيفة في باطن الارض من اجل اعادة التوازن اليه.

والعواصف الشديدة تقوم بعملية اعادة التوازن الى الضغط الجوي.

واما في المجتمع الطبقي فان الصراع المستمر بين علاقات الانتاج من جهة
وقوى الانتاج من جهة اخرى هو سعي دائم لأعادة المجتمع الى مسار تطوره
الطبيعي في التاريخ.

صوت

العدد (١١٨١) الاحد ٥ تشرين الثاني ١٩٧٢

اكذب من ابيه

مثل تركماني يتردد في كركوك وضواحيها كلما كذب كذاب..
وقصة المثل هي ان رجلاً ظل يردد:
- انا اكذب الناس! لن يفوقني احد كذباً!
فقيل ان هناك من هو اكذب منه! ساءه ما قيل. وراح يبحث عن منزل الكذاب
الآخر حتى عثر عليه. دق بابه فأطل منه صبي.
سأله الكذاب:
- اين ابوك؟
قال الصبي:
- صعِد الغيوم!
- ماذا يعمل هناك؟
- يشق السماء ثم يرقعها!
انسحب الكذاب في صمت ذليل وهو يردد: فكيف هو حال الاب اذا كان الابن
الكذب؟! ام ان الابن الكذب من ابيه؟
- ولا حال الطبقات المستغلة - بكسر الغين - كما يقال!
فالرأسمالية تتهم الاقطاع بالغش والكذب والنفاق والتزوير لأدامة الاستغلال
وحين تنتصر هذه فانها تفنن (!! الكذب والغش والنفاق.. وتبتكر وسائل براءة
لتغطية قروحها الروحية وجذبها الفكري. فكل طبقة أستبدادية تتهم غيرها
بصفات الذميمة... (لا تنه عن خلق وتأتي بمثله، عارٌ عليك ان فعلت عظيم).
فالكذب الطبقي وسيلة يلجأ اليها وكل المستغلين - بكسر الغين - كلما أُعيتهم
الوسائل المشروعة الاخرى.

صوت

العدد (١١٨٢) الاثنين ٦ تشرين الثاني ١٩٧٢

عيديات!

١

لم اعش عيداً - يا بنيّتي - حلمت به ابدًا ولم يأتني يوماً ..
لم يأت ..
لم يأت ..
استدرجته بالحلم، بالتمني، بالرجاء ..
فلم يأت - يا بنيّتي - ورحت استدرجه بالنضال.

٢

مطالبيك الصغيرة في العيد تعيد الى بهجة الطفولة.
الحياة في عينيك طرية حاملة وادعة ..

٣

العيد الصفاء!
العيد الصفاء!
السماء تصفو بعد انقشاع الغيوم والغبار ..
والبحر يصفو بعد سكون العواصف ..
والنهر يصفو بعد توقف السيول الغريّية.
اما العلاقات الانسانية فتصفو بعد تحرر المجتمع من استغلال شعب لشعب
واستغلال انسان لأنسان ...
واما الازهان فتصفو بعد التخلص من التشكيك الوهمي.
وحتى في عتبة العيد - يا رفيقتي الصغيرة - يشككون بصوت الحلم والتفاؤل

والاخوة في النضال..

أسفأ! يا عزيزتي. أسفأ عليهم! فالتشكيك يعود بالوبال على المتشكك نفسه..
حين يفتعل التفسير المصطنع.. وحين يتوهم في تقدير ساعة المعركة. فهو يعمل
حسب تقديرات خاطئة مبنية على التشكيك الوهمي. فيسقط في الطريق.. يسقط
في الامتحان..

العيد الصفاء!

العيد الصفاء!

تمنى معي -يا بنيتي- الصفاء والسلام لجميع الازهان.

صوت

العدد (١١٨٣) السبت ١١ تشرين الثاني ١٩٧٢

ذكرى فلاح طيب

مات وهو يكافح..

اعتلى سطح داره.. ولما رأى الحريق يلتهم مقهى القرية (والمقهى تعود لأحد أعضاء الجمعية الفلاحية) صاح:

- يا اهل الغيرة! لماذا لا تطفئون الحريق؟! ليتقدم كل منكم بسطل ماء ف.... وسقط الرجل. سقط على وجهه وسكت. هرعوا اليه وانزلوه محمولاً. كان يحتضر. وخلال دقائق خمدت فيه الحركة واختتمت دورة حياته..

كان ابدأً يكافح.. وينغمر في جميع الشؤون العامة للقرية. يدافع عن مصالحها. ورغم تقدمه في العمر ظل يحتفظ بحيويته ويحب القرية والقرى المجاورة له.

كان فلاحاً متوسط الحال. وينتمي الى الجيل الماضي.. الجيل المستقيم الشريف الذي يحتفظ بكثير من العادات الجيدة وباخلاق الفروسية اضافةً الى الولاء للعشيرة والعمل على وحدتها. وهنا بالذات كانت نقطة ضعفه الاساسية. فهذا الولاء المزدوج لمصالح العشيرة -بفلاحيتها وملاكيها- جعله -توفيقياً- مدة طويلة. ومنذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ خاصةً وهو يمارس دوره التوفيقي. فمن جهة كان يقف الى جانب التنظيم الفلاحي ويدافع بشجاعة وجرأة عن مصالح الفلاحين وحقوقهم ومن جهة ثانية يحاول عدم تعميق الصراع بحيث تتقطع كافة الأواصر العشائرية.. وبسبب موقعه الاجتماعي وكونه من شيوخ وحكام القرية كانت له علاقات معينة مع الملاكين. وكان في ظروف اشتداد الهجمات الاقطاعية في الريف يستغل نفوذه الخاص لصالح الفلاحين والحيلولة دون تشريدهم.

وخلال كل ذلك ظل لسان القرية، يعبر عن آمالها وآلامها ويحسم كثيراً من النزاعات اليومية حول الماء والارض والمواشي وحتى الاطفال!

ظل شريفاً مستقيماً طيباً وصريحاً في اعلان مواقفه. وكانت له كلماته الطويلة المشهورة اثناء اشتداد الازمات فيستمع اليها الجميع باحترام. وخلال تجربته الطويلة ادرك هذا الفلاح الطيب استحالة التوفيق بين مصالح الفلاحين والملاكين معاً وفي آن واحد. ورغم شيخوخته فقد تطور وتعمق وعيه وانحاز صراحة وبجرأة الى جانب الفلاحين.

ولما مات بكته القرية والقرى الاخرى وشيعته بأسى عميق واحترام. وترك موته التراجيدي شرحاً عميقاً في مشاعر الفلاحين الذين ربطوا بصورة غريزية بين الحريق والموت وتفاقم الصراع وضد بقايا العلاقات الاقطاعية. يموت يومياً عشرات الكادحين عمالاً وفلاحين وكسبة فلا يذكرهم احد ولا تتعهم أية صحيفة.

وفي ذكرى هذا الفلاح الطيب الذي استشهد في الكفاح ضد الموت والحريق ننعي كل منتج حقيقي للثروة.. كل كادح يستحلب الارض.. كل عامل وفلاح وهو يموت اثناء الكفاح من اجل الحياة.. من اجل الوطن والشعب.

الفصل التاسع
ولادة تحت الثلج

صوت

العدد (١١٨٥) الاثنين ١٣ تشرين الثاني ١٩٧٢

ولادة

١

تتشظى الحياة للزجة..
يا سأم الايام السائفة
يا وطناً يحدق به العوسج والكذب والنفاق..
بدأ السباق!
مطايا العبودية تكبو..
مطايا الاستغلال تكبو..
يمضي الخريف
وتنكمش البراعم في العروق تختفي..
فيا فارس الحزن والشؤم والشماتة
ستكبو!
يا براعم الخريف المقبل
يا براعم الربيع المقبل
ستنفجر الرؤوس المحشوة بالتين^(١)
حين تمرح الجبال..

٢

على الاسلاك الشائكة طيور مشوية
واضلع.. واكباد..

(١) اشارة إلى الجهلة المتحجرين ذهنياً.

يا شوق الانتظار
يا شوق الحماس واليقظة والتحفز
يهطل مع المطر الحميم
مولود آخر
لم تلوثه اوحال الصيف
ولا اوحال الشتاء..

صوت

العدد (١١٩٤) الخميس ٢٣ تشرين الثاني ١٩٧٢

واجب لم ينجز بعد

عقب انتخاب (تريشنسكي) رئيساً لدورة الأمم المتحدة - قبل عدة اسابيع -
قال:

- ان الواجب المهيمن لتحرير العالم من شبح الحرب والقتل الجماعي المنظم لم ينجز بعد. وان الجهود لوقف سباق التسلح. وتسوية المنازعات سلمياً. وتحقيق الامن، ونزع السلاح الشامل يجب ان تبذل بصرامة وفعالية أكبر. - هذه الكلمات المسؤولة تضعنا امام محاوره ذاتية مستمرة: كم اسهمنا ونسهم يوماً في انجاز واجب (تحرير العالم من شبح الحرب)؟ - والحديث عن السلم والامن ونزع السلاح ليس حديثاً عاطفياً نابعاً من الشعور بالشفقة على الانسانية وليس (حديثاً) لمجرد الحديث كما نفعل احياناً حين نشعر بالحاجة الى اثبات الوجود..

فالسلم او الحرب يعنيان: البقاء او الفناء.. ليس لمجموعة أو لأخرى من الناس بل للنوع البشري ومجموعات كبيرة من الاحياء الاخرى^(١).

وغدا التأكيد المستمر على انتصار السلم والامن مهما اهمية الغذاء والملبس والمسكن.. ان ماذا يأكل ويلبس وأين يسكن المخلوق المشوه الخارج من جحيم الحرب النووية؟

نضيع احياناً في خضم مسائل ومعاناة يومية وخصوصية ومحلية فننسى خطورة هذا (الخوف الشامل) وما ان نسترد الوعي ونمتلك انفسنا حتى نبدأ من جديد نفكر: اجل! ماذا قدمنا ونقدم لهذا الواجب غير المنجز؟

ولا نريد للحديث عن (خطر القتل الجماعي المنظم) ان يصير بعبعاً فيشلنا عن

(١) هاجسي الشامل كان دائماً هو الحرص على بقية الكائنات الحية أيضاً إلى جانب البشر.

العمل اليومي الدائب في كافة حقول الحياة.. فانسان العصر الحقيقي هو ذلك الذي يبني بشجاعة ويتقدم بجرأة ويناضل بثبات وهو عليم بما عليه العالم من خطر وقلق. فالسلم والبناء والنضال اليومي والتفاؤل كلمات مترادفة.

(٢) كنت منذ شبابي أنضوي في أية جماعة تدعو الى السلم. ففي ربيع ١٩٥٩ وضعت على ياقة سترتي السوداء مدالية معدنية بيضا اللون لحمامة السلام. وكان معي في الصف المدرسي (المتوسطة) طالب مشاكس ينتمي إلى جبهة مضادة لنا فجاء في اليوم التالي وهو يتقلد صورة بزونة (قطة) مهدداً أنها ستأكل حمامتي! هذه اللعبة معي لم تنته. ففي كل مرحلة من حياتي ظهر أمامي من يتقلد القطة المتوحشة، وأنا احاول صيانة حمامتي!

صوت

العدد (١١٩٦) الاحد ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٢

عيد ميلاد تحت الثلج والمطر

- كرات.. وخطوط قصيرة عمودية.. ومربع يحوي صحن صغيرة كثيرة تحيط بصحن أكبر.. ونخلة.. وورود وطفلة بعيون ضاحكة..
- شرحت لي الطفلة رسومها وقالت:
- هذا ثلج. وهذا مطر.
 - وهذه؟
 - مواعين فيها سلطة!
 - وهذه؟
 - نخلة. وهذه وردة. والرسم اتدري ماهو؟ عيد ميلاد تحت الثلج والمطر..
- اكتب: هذا الرسم للرسمية -...-..
- هل رأيت حفلة بعيد ميلاد؟
 - لا! كيف هي؟ كيف كان يحتفلون بعيد ميلادك؟
 - لم يحتفلوا بعد...
- سكتت الطفلة الذكية التي تصر على ان اكتب اسمها دائماً مسبقاً بكلمة - الرسمية-. صممت حزينة. فلم اشأ تعكير حلمها الزائق الشفاف... سألتها:
- وهذا الصحن وسط المائدة؟
 - هذا ماء...
 - ماء؟! وفي الخارج ثلج ومطر؟
 - هم داخل البيت، لا يعرفون بالثلج والمطر...
 - حلم طفولي زاه! عيد ميلاد تحت الثلج والمطر والمأكّل سلطة والمشرب ماء..
 - وحوك نخلة وورود..

ليس هذا حديثاً سرالياً ولا حبكاً ادبياً.. بل هو سرد فوتوغرافي لحوار عادي جداً مع طفلة -رسامة- تحلم كثيراً وتعبر برسوم واضحة عن افكارها. وكما ضايقتني نتانة حياتنا المعقدة عدت اليها استنطق اناملها الرقيقة البضة التي تحرك قلم الرصاص بشجاعة فائقة... بلا وجل أو تردد.

صوت

العدد (١١٩٧) الاثني ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٢

خبر عن الذئب

بعد تحرر المجتمع البشري -نهائياً- من التناقضات الطبقيّة يتركز صراع الانسان في مجابهة الطبيعة وترويضها لصالح سعادته وحرّيته.

وفي هذه الحقبة من المرحلة الانتقالية للبشرية نلمس تطوراً متصاعداً في عملية ترويض الطبيعة -استصلاح الاراضي القاحلة واستثمارها.. كشف واستخراج كنوز الارض الباطنية.. ترويض الانهار وبناء السدود عليها وتحويل مجراها لصالح الزراعة ولغرض بناء المحطات الكهرومائية وغيرها من الاغراض.. شق الانفاق تحت الارض وفي بطون الجبال.. صنع الامطار.. قهر المحيطات.. التنبؤ بالزلازل والعواصف والبراكين.. قهر جاذبية الارض والصعود الى القمر.. الخ- من انتصارات الانسان الجارية امام ابصارنا..

- ومما يدخل كذلك في باب -ترويض الطبيعة- اكتشاف الافات الحيوانية والقضاء عليها وعلى الحشرات والحيوانات المفترسة الضارة بوجود الانسان وامنه وثروته ومن ضمن تلك الحيوانات نذكر الذئب.

- يقول نبأ من -صوفيا- ان عدد الذئب التي قتلت في بلغاريا منذ عام ١٩٤٥ بلغ عشرة آلاف ذئب. وقد تم القضاء في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ على أكثر من مئتي ذئب وعلى اربعة وثلاثين منها في منتصف هذا العام. وخصصت جوائز مالية للقضاء على الذئب في بلغاريا وبالرغم من هذا فان القضاء عليها نهائياً غير متوقع وذلك لقدوم مجموعات جديدة من الذئب من بلدان البلقان المجاورة.. الخ.

ويبدو من النبأ ان الذئب مطمئنة على مصيرها لمدة قد تطول فعلاً وخاصةً اذا علمنا ان ذئب كوردستان الجبلية المفترسة يمكن لها ان -تهاجر- الى الدول

المجاورة لدول البلقان لأستتجاد جنسها فيما لو اوشك القضاء عليها فيها.
ففي كردستان تعيش ذئاب مفترسة والجبلية منها عادةً ضخمة^(١)...

(١) الكثير منها هاجرت الى خارج كردستان خلال سنوات الحروب منذ عام ١٩٦١ حتى ٢٠٠٣... وعاد بعضها بعد ذلك كما يقول البعض، وقد صدرت تعليمات في بعض المناطق الكوردستانية (في العراق) بالحفاظ على حياة الحيوانات البرية والأشجار والنباتات وتحولت مناطق بارزان وجبل متين وجبل سفين إلى محميات طبيعية... قد تتوسع الى مناطق اخرى.

صوت

العدد (١١٩٨) الثلاثاء ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٢

السكن الآمن

يمر سقراط^(١) بالبرميل الملقى على الرصيف. يدقه وينادي:

- ديوجين! ارتفعت الشمس فأخرج من برميك!

ديوجين: اريد، اولاً، سكناً آمناً كهذا، حيث الشمس التي تزورني هنا كافية.

سقراط: انهض وتأمل حولك. تمتد اسلاك الكهرباء والطرق المعبدة والسيارات ومكبرات...

ديوجين: اريد، اولاً، سكناً آمناً.

سقراط: في المدينة مسارح ودور سينما وملاعب وملاه وبارات.. ومباريات رياضية.. فاخرج يا ديوجين واستعد شبابك باللعب..

ديوجين: اريد، اولاً، سكناً آمناً.

سقراط: نوروز. اجل ونوروز ايضاً.. ومهرجانات شبيبة وعمال وطلبة ونساء.

ديوجين: اريد، اولاً، سكناً آمناً.

سقراط: ثورات. انتفاضات. اضرابات. وانتصارات على الطبيعة... وعيون الناس تقفز من محاجرها سخطاً وحنقاً على الحروب والمجاعة والعنصرية والارهاب.

ديوجين: اجل! اجل! يا سقراط. ذلك كله صحيح الم تعرف نفسك بعد؟ اليس

ذلك كله من اجل سكن آمن؟ من اجل ان يصير كوكب الارض مسكناً آمناً؟..

(١) قصة للكاتب... حيث يتردد مثل هذا الحوار بين سقراط وديوجين وميديا وغيرهم في ثنايا هذه اللوحات النثرية.

صوت

العدد (١٠٩٩) الثالثاء ١ آب ١٩٧٢

استغلال

١

للأستغلال اشكال شتى، ابشعها هو استغلال طيبة الانسان وتواضعه وصدقه. كان تيشخوف^(١) يفضح مثل هذا الاستغلال بلا رحمة. فقصصه القصيرة تقدم نماذج مختلفة عن اناس بسطاء يستغلهم الجشعون وقساة القلوب.

٢

المدينة تنين خرافي حيناً. وبحيرة للأنتجاع حيناً آخر. في أواخر الليل تنام هادئة ويطيب للمرء ان يسير في شوارعها الى ما لانهاية..

اما في ما قبل الغروب وبعده فتفتح اشداقها للأبتلاع..
ابتلاع المشاعر والجهود والثروة والوعي و... و...
لكن..! لن تقوى على ابتلاعي.
انا مع جمال المدينة.. مع نبضها الحي.. مع انقيائها.
اما القبيح فيها فهو الاستغلال التنين!
والفن نقيض القبح.

٣

حين نرى الوجوه من اقنعتها تبقى عظام ناتئة مكسوة بجلود مدبوغة!
ومع ذلك يزيغ الانسان نفسه فيتستر تحت المساحيق.. انه يستغل نفسه
لصالح الفشل والخداع.
هذا الانسان الممرود هو من بقايا الاستغلال الذي شوه العلاقات الاجتماعية
ومازال!

(١) أنطون تشيخوف: كاتب روسي، رائد للقصة.

صوت

العدد (١١٠٠) الاربعاء ٢ آب ١٩٧٢

الى علاج آخر...

يرفعونك على الاكتاف.. الى اعلى يجعلونك لافتة،
ثم سرعان ما يمزقونك!
لكن مالك وهؤلاء؟
انت منحدر من الطبقة الاعمق جذوراً في الطبيعة.
انت شقيق الحياة.
الم تعجن الطين بيديك؟
وصنعت للأطفال مدناً؟
وجيوشاً للسيرك - بلا اسلحة؟
انت عائد الى القرية ذاتها.. لماذا الحزن؟
سبقتك الى القرية مراكب الآخرين؟
لكنك لاتعرف الحسد..
انت اعظم من الحسد والجشع!
ليسبقك اللاهثون،
سيتعبون... ويتخلفون ورائك. وانت بقدميك الاشد رسوخاً وصلابة!
فانت لاتنتظر لواء معقوداً ولا تمثالاً ولا هدير تصفيق ولا هتافاً..
الشرف الوحيد الذي تنتظر:
هو ان تَظَلَّ سائراً نحو القرية
نحو الرفاق.. نحو الشاطيء الاخضر..
وان كنت متألماً لمنحك القليل مما يجب
فليس هناك ما يمنعك من عطاء أكبر وأغزر..
منذ اللحظة.. بلا تردد..
ايها الرفيق العزيز!

صوت

العدد (١١٠١) الخميس ٣ آب ١٩٧٢

هتاف من الجحيم

هلوسة!

سمها ما شئت..

لكن هذا هو ما اعانيه.

ثمة هتاف داخلي يسلبني الهدوء يصرخ بي: انت مقصر..

واتساءل: مقصر تجاه ماذا؟ تجاه من؟ يمكنني ان انتج أكثر.. هل هذا هو

حساب الضمير؟

اصبح هذا الشعور بالتقصير هذياناً محموماً أحس احياناً بالآف الناس

يقفون على رأسي ويوقظونني قائلين:

- ايها الكسلان ماذا كسبت بنومك الطويل؟ بماذا تحلم؟ الا يكفي السفر في

دولة الوهم؟ استيقظ وافرك عيني فلا ارى احداً. الا ان اصواتاً هادرة تزداد

دويماً في الافاق تنادي:

استيقظ ايها النائم!

واستيقظ فلا ارى سوى الاشياء المألوفة والناس يمضون في حياتهم اليومية

المعتادة.. وأغمض عيني لحظة واذا بالأصوات الآلاف تقترب وتزداد دويماً:

- ايها الخامل الجسم والروح انهض والعب وأعمل وارقص وغن.

ومن بين الاصوات أكاد أميز صوتاً نسائياً رقيقاً يذكرني بصوت صاحبة

الحانة التي خاطبت كلكاش.

- الموت مقدر على بني البشر. نصيبك هو ان تأكل جيداً وتلبس جميلاً وتتمتع

ببومك وتمسك بيد طفلك وتمتع زوجتك.

- أهي الحقيقة يا صاحبة الحانة يا عاشقة الحياة؟

- نعم! هي الحقيقة.

صوت

العدد (١١٠٣) السبت ٥ آب ١٩٧٢

الانسان الحجر

يمضغ تبناً
يشرب نبيذ المرتدين
ويروج البضائع الكاسدة
ينشرها على الرصيف
صفحات ملوثة عاث فيها
صرصور الحقد القومي والتعصب
وجشع محمر العينين
وخوف مرتجف الاوصال ولوحة تدعي حكمة كاذبة:
لاجديد تحت الشمس!..
ايها الانسان الحجر..
بينما تنبت للأطفال أشرعة بلورية
ترتد انت -بجن-
نحو اغوار الكهف البارد الموحش!
وتغور الى اسفل فأسفل
كي لاترى جديداً تحت الشمس
كي لاتسمع رنين قيد محطم..
كي لاتسمع ضحكة امرأة سعيدة..
كي لاترى موكباً عمالياً يغني ويرقص..
كي لاتقرأ نبأ عن السلم والصداقة والحرية
انت تطفئ عينيك دون الحياة وصوتها..
ولحمت العفن غذاء للدود والسيول الجارفة!!

صوت

العدد (١١٠٤) الاحد ٦ آب ١٩٧٢

اشاعة الاشياء الجميلة

الى عهد قريب كنت أخشى الضياع في الزحام^(١)..
وكنت أشعر كطفل يهاب التجول في غابة بمفرده.
زال الآن هذا الشعور وبقي في جلدي طفل منذهل ازاء المرئيات الجديدة بعد
غياب طويل في المنفى^(٢)، أعود الى مدينتي وأرسم لنفسي فيها حدوداً توضح
وطني.. وطن الكادحين^(٣).
الوطن الذي ماتزال اشياءه الجميلة بعيدة عن متناول يدي، والمحرومون
حولني كثيرون.
وهو مسور داخل مدينة مفتوحة الشوارع امام جميع المشاة والركاب.
وفي النضال من اجل اشاعة الاشياء الجميلة بين جميع الناس اصطم
بحرس يمعنونني عن ارتياد اوطان الآخرين.
وكم ادانونني بتهمة التسلل غير المشروع اليها!
رغم ذلك سأناضل.. ابني دورا وانا بلا مستقر...
انفخ في اشرعة المبحرين وانا اصارع الموج بذراعي وصدري حتى تشاع
أجمل الاشياء
اجمل الاغاني، أجمل السهرات..

(١) كنت أتصور الحياة زحاماً شديداً يحور في فوضى عشوائية... وغابة موحشة.

(٢) هو منفاهي الروحي الذي لا ادري متى القوني فيه.

(٣) رمز العمل الشريف الخلاق.

صوت

العدد (١١٠٥) الاثنين ٧ آب ١٩٧٢

ما وراء الانفاق السرية

وانت تبجر في عالم اميبي
الم تكن تدري انك ستبقى غريباً حتى الصباح؟
غريباً على الرصيف وفي السيارة، وفي المناقشات السفسطائية؟
يدفعونك الى امام ثم يضحكون عليك من وراء!
- يا للأفاعي الخبيثة!
لا اسهل من الوعود!
لا اسهل من المديح!
لا اسهل من بيع الضحك مجاناً!
فالوجوه مغلبة.. مختومة بالشمع الاصفر..
لكن.. اخيراً ستتتهي هذه الانفاق السرية الملوثة.
هنا يبدأ عالم نظيف.
كان هذا العالم قريباً منك.
- يا للمجنون! اما تزال تحلم؟ دائماً.
اقرب من الشمس! اقرب من الوريد..
صوت الصادقين كيف لم تسمعه من قبل؟
لتذهب الضفادع تتنقق في بطون الافاعي.
والافاعي تفح في المستنقع
والخنازير تحفر جذور السوس!
بشر!
ان العالم الانظف يفتح لك ذراعيه

مادمت مع العمال.. مع فقراء الريف..
عالم يكتفي بكلمة واحدة واضحة وصادقة ثم يعود اليك بعد سنة، اوضح
واصدق.
هذا العالم قريب منك جداً..
جداً.. هيا مد يديك!

صوت

العدد (١١٠٦) الثلاثاء ٨ آب ١٩٧٢

معمرة من كوردستان

كتب عدد من رفاقنا المناضلين -من بعشيقه- رسالة مؤثرة يعنون فيها وفاة جدة رفيقهم المناضل -خ.لاسو- التي كانت تناهز عن العمر ١٢٤ عاماً وقد ظلت متمتعة بصحة ممتازة وتزاول الاعمال البيتية بنشاط الى آخر يوم من حياتها.

وللخبر جانبان يرتاح اليهما المناضل الواعي. الاول هو التعاطف الصادق الذي يتميز به هؤلاء الرفاق واهتمام بعضهم ببعض ومشاركتهم لهمومهم وافراحهم مما يعزز العلاقات الرفاقية. وهذا شرط هام لتطوير العمل وتنفيذ سياسة الحزب. اما الجانب الآخر فهو نشاط هذه الجدة الكوردستانية ودأبها على العمل حتى آخر يوم من حياتها. فنكون بنشرنا لخبر وفاتها اسدينا قسطاً ضئيلاً من الواجب ازاء جدة كادحة خيرة انجبت حفيداً مناضلاً.

ونأتي الى نقطة اخرى في سر هذا العمر الطويل الذي تفردت له بحوث خاصة انتهت الى ان أهم شروط طول العمر هي مواصلة العمل والعيش في بيئة ريفية حيث الهواء الطلق والغذاء الطبيعي. وتشير معظم البحوث الى ان سكان الجبال ذات المناخ البارد هم اطول الناس عمراً، وفي الواقع يوجد في كوردستان معمرون كثيرون ومعمرات كثيرات وكلهم اطلاقاً يتميزون بشغفهم العجيب للعمل اليدوي. ففي قرينتنا مات معمر عن ١٣٢ سنة ظل الى آخر لحظات حياته يحمل الفأس ويقتلع ادغال بستانه.

فالعامل هو الذي جعل الانسان على ما هو عليه الآن وهو وحده عنوان وجوده ومعيار قيمته وادميته.

فالى جميع معمرينا ومعمراتنا تحيات الاعتراز والاكبار ومشاركتنا الوجدانية مع رفاقنا في نعي جدة الرفيق -خ.لاسو-.

صوت

العدد (١١٠٧) الاربعاء ٩ آب ١٩٧٢

ابوحكيم من بعشيقه

(ابوحكيم) من بعشيقه يريد ان يسمع الناس صوته. وله الحق في ذلك. فلناس جميعاً أصواتهم. وفيما يلي القطعة الحية التي كتبها -ابوحكيم-^(١):

- يا ليتكم تنظرون بعيون لم تلونها العصبية القومية والدينية والعشائرية. اذن لعرفتم ان الصراع من اجل هذه البقعة -أو أية بقعة يسكنها الانسان- ليس سوى تمهيد للقتال المشترك في سبيل التغلب على الطبيعة وجعلها جنة آمنة للبشرية. واذن لأبصرتم من خلال اغشية السنين القريبة والبعيدة وتسديد الاسهم بعد ضبطها انسانية بعيدة تحشد قواها الساحرة تحت لواء واحد هو لواء الانسان الحر وبقيادة واحدة هي قيادة الفكر الانساني الجبار وبارادة واحدة هي ارادة الانسان التي ما التوت ولن نلتوي في صراعها مع المجهول.

واذن لأدركتم ان كل ما ينتاب الانسان في حياته من تجارب ليس أكثر من مشحذ لسلاح ارادته في ملحمته الهائلة. ولأيقنتم ان الانسان لن يخرج من ملحمته تلك الا وقد انفتحت له مغالق الارض وكوى السماء واصبح سيد نفسه المطلق لاينازعه فيها منازع ولا تحسرها شطوط أو شر ولا حدود زمان او مكان. تلكم هي الحرية القصوى التي ما من هدف سواها يليق بالإنسان العجيب، بالملحمة العجيبة التي هي حياته.. واللبيب هو من اتخذها نبراساً لفكره فجعل من ايامه ولياليه درجات يرقى بها الى قلب هيكلها القدوس.

ثم يضيف (ابوحكيم) هذه العبارة في حقل خاص به بعنوان -اقوال صائبة-.
تقول العبارة!

- اني انكر على الناس ان يجعلوا العمل اثن من العامل.

(١) تصلني رسائل القراء فأحاول نشرها كما هي تشجيعاً وإغناء لهذه الصفحة.

صوت

العدد (١١٠٨) الخميس ١٠ آب ١٩٧٢

الحرية والعمل

هو: اختاه! لم اراك حزينة؟

هي: انت اناني يا رفيقي!

هو: كنت اقرأ عند الكهريز، ومشت سلحفاة، اليك درعها محفظة للمشط...

هي: انت مغرور يا رفيقي!

هو: رفيقتي! خذي عيني..

واغرسني في فنجانيهما ريحاناً، زيني به سطح منزلك.

هي: أه! يا رفيقي ما اشد حرصك على عبوديتي!

هو: رضيعتي!

اغرسيني سائبت لك برتقالاً.. انشري في ظلي فراش طفلك. وعلقي بغصني

منديلاً ابيض مغسولاً، واتركيني في العراء اسبح في الشمس..

هي: رفيقي! ما اقوى رغبتك في التسلط علي!

هو: ابحتي، رفيقتي، عن دروع السلاحف بنفسك، وانظري بعينيك، املايهما

متعة وجمالاً، وزيني منزلك كما تحلمين..

واغرسني ما تشائين. ثم استضيفيني ذات عصر!

هي: يا شقيقي! يا رفيقي! ما اجملك الآن من انسان حر.. حبيب!

صوت

العدد (١١١٠) الاحد ١٣ آب ١٩٧٢

ضد الوصاية

كنت اساعد طفلاً على تعلم المشي. فكان يفرح بذلك ايما فرح لكنه احياناً يتمرد عليّ ويرفض الوقوف على قدميه ويلتصق بالأرض غاضباً. درست وضعه من عدة وجوده الى أن لاحظت انشراحه كلما اتاحت له حرية الحركة على أن يبقى دوري مساعداً فقط كي لا يقع على الارض. فيقدم رجلاً على اخرى على هواه ويتجه نحو الحائط او نحو الباب او نحو أي غرض آخر. فكنت في هذه الحالة أمسك به من ذراعيه من وراء واطرك له القيادة. اما في الحالات التي كنت أقوده وأحاول توجيهه حسب مشيئتي فكان يتمرد ويرفض الوقوف.

هذا الطفل يرفض الوصاية على حرية حركته، ويفضل الزحف، على بطنه وركبتيه، على المشي حسب وصاية الآخرين. وهو بذلك يعبر عن حق طبيعي ومشروع للإنسان طالما عانينا في سبيل النضال من اجله، هذا الطفل ضد الوصاية على الحياة^(١)..

اذ لم تخلق الحياة بأية وصاية..

كافحوا الوصاية على الفكر..

على الفن..

على العمل..

على الحرية..

(١) أبداً... ضد الوصاية على الحياة والحرية والفكر.

صوت

العدد (١١١١) الاثنى عشر ١٤ آب ١٩٧٢

نهاية الرحلة المتعبة

أ- نداء:

اخرج من جلدي ايها السجن!
ايها المنفى اطلق سراحي!
انا لم اغادر وطني يوماً..
وطن الشمس والكلمة..
لم افارق غباره الآتي من الدروب الريفية
من خندق الثوار في كل ارض مضطربة..
ايها السجن! ايها المنفى!..
آن لكما ان تغادرا جلدي!

ب- تطلع:

افتح صدري للعاصفة التي احب..
الحياة في العاصفة لذيدة منعشة.. ليس حباً بالفناء بل لأن العاصفة تكنس
الاوراق المتساقطة الذابلة..
أية دوامة منعشة تلك التي تلفني وترفعني الى اعلى في مقدمة الموكب.. مع
خط القطار الطويل.. الطويل.. الطويل..!

ج- نهاية الرحلة المتعبة:

هذه الرحلة متعبة لأن منعطفاتها حادة ووديانها هاوية..
وخلال المقاومة والصمود يكتسي الفكر بأجنحة اقوى لينطلق في سماء
الوطن..

يا وطن السلم والتآخي والشرارة..
سيشتعل الضوء الأخضر ويعلن القطار عن محطة جديدة.
اهبط من القطار - حينذاك - لأقترش العشب وأناام طرفة عين ثم اواصل
الرحلة.. اما الرحلة المتعبة فستنتهي.

صوت

العدد (١١١٣) الأربعاء ١٦ آب ١٩٧٢

مام عه به^(١)

مام عه به، قذيفة من سخط، هو ساخط على كل شيء... على الفقر كلما رأى عائلة كوردية مشردة..

على الحزن كلما شاهد امرأة كوردية مفجوعة..

ساخط على الكسالى.. على الجبناء.. على المقصرين في النضال..

ويجهر بسخطه حتى استدعى على نفسه سخط الكثيرين.. ولايأبه بخوف..

فهو متمرد ابداً..

كان بيشمرکه منذ بداية الثورة ١٩٦١^(٢).. هل اصفه لكم؟ ربع القامة. وهذا يكفي. قال احد رفاقه: كان مام عه به في سنوات الثورة يسير عشرين ساعة من مجموع أربع وعشرين.. ينقل الرسائل الحزبية بين المقرات السرية للحزب ومتاريس البيشمرکه.

مام عه به الثائر ليس شاباً والا اعتبرنا تمرده الدائم ثورة شباب، لكنه متقدم في العمر، ينتقد بعنف بلا مساومة أي شخص ولا مهادنة أي حدث.

هو لازال يواصل مهمته القديمة مهمة النضال في مكان ما حيث يخدم الحركة.. وهو كله ملك لها.. حياته.. وقته.. مشاعره.. يقدمها بعفوية تلقائية بلا أي ادعاء أو تصنع واما افكاره فبسيطة لكن مشرقة. فهو لم يتزود بأية افكار مسبقة من بطون الكتب والقضية الوحيدة التي تشغل فكره هي -حقنا-.

(١) مام عه به: عبدالله مناضل كادح شجاع كان حارساً لمقرنا في بغداد ١٩٧٢ وقيل انه كان في الجبال ساعي بريد نشيط يتجول سراً بين المدن والقرى لنقل الرسائل بين الأهل والبيشمرکه، وكان يتفنن في تحاشي نقاط السيطرة الحكومية والنجاة بالرسائل السرية.

(٢) الثورة: ثورة ١١ ايلول ١٦٩١ المسلحة التي قادها البارتي.

يقول دائماً: لا ادري لماذا تأخر تنفيذ حقنا؟، هذا هو مام عه به الذي يريد تحقيق كل شيء دفعه واحدة. نقول: لكن يا -مام عه به- الا تدري ان نضالنا ذو نفس طويل يعتمد على المثابرة وضبط النفس؟ اما هو فيظل يقول -واللوم يقع على لغته الخاصة في الهجاء!- يقول:

- اكاد أحبل من شدة الألم! اكاد أضع طفلاً.. لأنني لا افهم لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟

الفصل العاشر

مجنون يخترق الأنفاق السرية...

صوت

العدد (١١١٤) الخميس ١٧ آب ١٩٧٢

مجنون يخترق الانفاق السرية

رفاقي في القرية..

في الحزب..

في السجن.

في الجريدة..

كانت الانفاق السرية ملوثة بالسخام باضت فيها الذباب والقمل والخوف..

- لامعذرة بين الاحبة سنبقى أحية..

فالأسوار التي نبنيتها بأوهامنا.. بأكاذيبنا عن بعضنا.. بتقولاتنا المضحكة..

بشكوكنا السخيفة.. هذه الاسوار سجون تطوعنا في بنائها وحكمنا على انفسنا

فيها بالموت البطيء بالأختناق.. بالخوف والحذر والشك.

- ليس كل ما يعرف يقال!-

لكن ثمة بوصلة هادية: العشق الجنوني للنضال والفداء

خير من التزلق على المرايا المقعرة!

فأن نموت كما نحن خير من أن نحيا مشوهين.

صوت

العدد (١١١٥) السبت ١٩ آب ١٩٧٢

السيارة العوراء تخشى سلوك الشارع القويم

كان بعد الغروب حين انحرفت بنا السيارة فجأة وخرجت من الشارع الرئيسي تسلك شوارع وأزقة فرعية.

دار لغط كثير بين الركاب حول ذلك.. ودار الشك حول شهادة السائق فأبرز هوية اجازة السوق.. ثم اعترف بأن احد مصباحي سيارته الاماميين لا يشتعل فالسيارة عوراء...

قال احد الركاب غاضباً:

- وما ذنبنا نحن! ولماذا نتحمل نتيجة نواقص السيارة؟ قف سأنزل هنا.. استوقفه راكب آخر:

- لنكن واقعيين يا عضيدي! سنصل متأخرين خمس دقائق او اقل... والا فالسائق يتغرم!

وبين الاخذ والرد وصلت بنا السيارة محطتها النهائية ونجت من العقاب بفضل تستر الركاب عليها..

والا فالسيارة العوراء كانت تخشى سلوك الشارع القويم، شارع الناس العاديين المارين على نواياهم الطيبة وسجاياهم! فاذا لم يتستروا عليها هل كان بإمكانها ان تنجو من العقاب؟

واثناء نزولنا علق احد الركاب ساخراً:

- كانت السيارة انتهازية جبانة! ولم تسلك شارعاً مشروعاً!

صوت

العدد (١١١٧) الاثنين ٢١ آب ١٩٧٢

جاندر (١) ينادي كوردستان من قمم همالايا

وجهه بيتسم بالطيبة والوداعة والتواضع.. وصوته صوت السلم الدافئ العميق..

يدخل القلب بلا استئذان ويمد الى الجميع يداً مفتوحة نظيفة.. انه روميش جاندر سكرتير عام مجلس السلم العالمي الذي حضر احتفال الحزب.. وصافح الجمهور من خلال كلماته البسيطة الواضحة العميقة.. صافح اطفال.. نساء و مناضلي كوردستان.. وتمنى -كما قال- ان يصادح البارزاني نصير السلم في العالم.

لما صعد المنصة هللت له النساء وصفق الجمهور تصفيقاً حاراً عاصفاً وطويلاً تعبيراً عن حب شعبنا لرجل السلم جاندر.. وعن رغبته الصادقة في العيش بسلام وصداقة مع شعوب العالم..

وانفعل الجمهور بكلماته فتبادلا المشاعر الودية وولدت بينهما صداقة بل قرابة هي قرابة التطلعات التقدمية المشتركة.. قرابة الحياة الجبلية المشتركة.. فقد بلغ انفعال الجمهور ذروته حين قال جاندر وكأنه صوت همالايا^(٢) ينادي كوردستان:

(١) شخصية هندية مرموقة عالمياً آنذاك، كان سكرتيراً لمجلس السلم العالمي الذي كان يعتبر هيئة عالمية مهمة (في فلك الاتحاد السوفياتي) تحسب لها الشعوب والحكومات خاصة في العالم الثالث حساباً أعتبارياً لقراراتها. وقد حضر (جاندر) حفل ذكرى ميلاد الحزب الديمقراطي الكوردستاني في بغداد يوم ٢١/آب ١٩٧٢ وكنت آنذاك محرراً لجريدة التآخي وحضرت المناسبة لنقل وقائعها. وهنا.. بعض ما كتبت، وقد وضعت مانشيتاً رئيسياً للجريدة يومذاك بعنوان (جاندر يحيي البارزاني) وقد قال عنه أنه أكبر نصير للسلام.

(٢) ينحدر (جاندر) من جبال همالايا.

- انا رجل قضيت معظم حياتي ايضاً في الجبال ولكن في جبال اخرى هي
همالايا. وتعجبي موسيقى الشعوب الجبلية وكذلك تعجبي نداءات الجبليين من
قمة الى اخرى.

ان اعداءنا لا يريدون ان تكون جبالنا معاقل للسلم والتآخي. اعداؤنا يريدون
ان تكون جبالنا مكامن للحقد والضغينة والكراهية وسفك الدماء. دعنا نقول في
هذه المناسبة: جبالنا وجبالكم تكون قلاعاً للسلم.

كي لانتقياً!

في روايته -السأم- يفضح البرتو مورافيا الكاتب الايطالي حياة عائلة برجوازية صغيرة متدهورة اقتصادياً واجتماعياً لكنها تظل متشبثة بوضعها القديم على حساب كرامتها ومبادئها..

ففي هذه العائلة الصغيرة-أم وابنة وابن- تجري خيانات ومساومات يومية مستمرة ومتبادلة يصاحبها ابتزاز وتحايل واستغواء وخداع وكذب وصراع خفي يلعب فيه صديق العائلة دوراً بارزاً.

فليس امام هذه العائلة المنهارة وهي ترفض الهبوط الى صفوف الطبقات الدنيا الا ان تعاشر القذارة والخيانة والتطفل وترضي بالضعة والتذلل!

قد يمكننا محاسبة الكاتب على مستواه الفني وزاوية تناوله للموضوع لكننا لانستطيع تحميله مسؤولية وجود واقع موجود بالرغم عنه وسواء كتب عنه أم لم يكتب. ومثل هذه العائلة نموذج للطبقة البرجوازية الصغيرة في عهد تفسخها.. لكن حين نصعد السلالم نحو الاعلى في طوابق المجتمع البرجوازي تزكمننا روائح اشد نتانة حيث الخيانات والمساومات اليومية من القذارة بحيث تكاد المساعد الكهربائية تنن تحت ثقلها. وهنا لا يصيبنا السأم فقط.. بل نشعر بالتقيؤ ايضاً.. ونكاد نتقيأ امعاغنا واحشاعنا كلها^(١).

اما المناخ النقي المنعش الذي يعيدنا الى العافية فثمنه عال. فاما ان نتنسك في جبل وهذا ما رفضه حتى الحلاج نفسه حين نزع خرقة التصوف وهبط الى الميدان يخوض النضال الشعبي المباشر^(٢). واما ان ننسلخ نهائياً من الواقع

(١) للكاتب مورافيا رواية اخرى بعنوان (الغثيان).

(٢) عرف عن الحلاج المتصوف العارف انه نظم أول مظاهرة شعبية ضد الفقر والظلم في شوارع بغداد وذلك قبل اكثر من الف عام.

القذر الملوث بآثام الحيوانات الطبقية والاستغلالية فننخرط في صفوف المناضلين
من العمال وفقراء الريف والمتقنين الثوريين والكسبة وسائر الكادحين. والسبيل
الثاني اصوب واقرب الى الواقع والممكن، لكن الثمن غال لمن يريد التحرر نهائياً
اذ عليه ان يفقد الكثير من الترهات قبل ان ينال شهقة من الهواء النقي!

صوت

العدد (١١١٩) الاربعاء ٢٣ آب ١٩٧٢

رفيقي ابا حكيم^(١)..

عزيزي: لا اسعد من مخاطبة الصديق الحميم.

وصلتني رسائلك ونشرت قطعة منها.. فالجريدة هي ثمرة نضال شعبنا وحرزنا وجماهيرنا بجميع شهدائها ومناضليها فمن حق مناضل مثلك ان يرفع صوته على صفحاتها.

لم تكن جميع كتاباتك صالحة للنشر، الا انك متقدم أكثر من السابق. وكما قلت لك ذات يوم ارجو ان تتعلم وتتعلم وتتعلم. اقرأ وادرس بدقة واهتمام ومارس الكتابة بغزارة. لاتدع لحظة واحدة من فراغك تضيع. امامك فرص كبيرة لأحراز النجاح فما تزال شاباً في ذروة نشاطك وابداعك.

وفي مقطوعاتك النثرية جاءت فقرة تقول: بدأت حياتي بالأناشيد وتنتهي بالرصاص طريق الشرفاء.. واظن ان تصورك لنهاية كل مناضل صاعد هو الذي جعلك تنتبأ بهذه النهاية الدامية لحياتك. لكن هذا ليس قانوناً ازلياً. ان ميزان العصر متغير. وان مسيرة حركتنا التحررية ومسيرة البشرية قاطبة تشير الى التقدم السريع نحو الانتصار على القوى الشريرة على الارض - كما يحلو لك ان تسمى قوى الاستعمار والرجعية.. فبدل ترقب خاتمة مفاجئة نتطلع نحن الى تكريس جهود شبابنا في العمل الايجابي.

اما القطع الاخرى فضعيفة نسبياً.. ارجو مواصلة الكتابة على طريقة أنطون تشيخوف: -اكتب واشطب- حتى يمكنك التمكن من اداة اللغة.
انتظر كتابات انضج، والى الامام ابداً.

(١) أبو حكيم من بعشيقه... سبق ان نشرت له قطعة أخرى.

صوت

العدد (١١٢٠) الخميس ٢٤ آب ١٩٧٢

برغل! برغل!

سمعت قبل ايام حواراً بين رجلين يشكوان بعضهما هموم كثرة الاولاد وغلاء الاسعار.

قال احدهما في مرارة:

- يا اخي! انا عندي كومة "جهال لو يأكلون جت"^(١) ما يشبعون!

ذكرني هذا بقصة عائلة اعرفها كانت تسكن محلة فقيرة بركوك، مكونة من: الاب. عاطل ومتعاجز عن العمل. والابن الاكبر عامل بناء بأجور يومية. يعود مساء ومعه أكياس السمنت الفارغة تصنع منها الام اكياساً صغيرة يبيعهها الاطفال للبقالين والطارين.

اما الاطفال فأربعة دون العاشرة واربعة فوقها. ولبؤسها لم تكن العائلة توفر ثمن الخبز الا بصعوبة. لكن كان لديها مخزون ضئيل من البرغل والدهن. واذا اشتهى الاطفال برغلاً التجأوا الى الاخ الاكبر الذي علمهم تقليداً طريفاً للمطالبة بحقوقهم. كان ينظمهم في صف طويل واحداً اثر واحد فيصفقون ويهتفون:

- برغل! برغل!

او بالكوردية: ساوه ر! ساوه ر!

وكان البرغل هو المادة الغذائية الأساسية التي غدت رفاقنا البيشمه ركه منذ بداية ثورتنا - ١١ ايلول ١٩٦١ -.

نعود الى القصة التي هي جزء من نفس الكفاح الشاق الذي خاضه البيشمه ركه في ظروف قاسية من التخلف والبؤس والتقصيف والتضحية في أن واحد،

(١) يعني: أنا عندي مجموعة كبيرة من الأطفال لايشبعهم حتى الجت!

اقول: كان الاطفال يهتفون ويدورون في ارجاء البيت الطيني وحول الام التي غالباً ما تكون منهمكة في صنع الاكياس وهم يهتفون باصوات اعلى:
- ساوه ر! ساوه ر!.

عندها كانت الام تكفكف الدموع فتمسح وجنتيها بصمت وتقوم راضخة لمطلبهم وتمد يدها الى المخزون الضئيل لتطبخ البرغل هذا المساء ايضاً واما الغد.. فالله كريم!

الفصل الحادي عشر

جانديرا، سلام الى كوردستان من همالايا

صوت

العدد (١١٢١) السبت ٢٦ آب ١٩٧٢

رسالة قديمة: سفينة نوح

والطوفان قائم..

عفواً! والحديث عن الطوفان مازال يجري، ونحن لانزال في بداية شباط..
جاءتني رسالة من اديب كوردي من السليمانية يقول فيها:

- اكتب عن الطوفان^(١).. وميديا.. وكاوه.. وخانزاد.. وكوردو.. والتلج.. اكتب
واطمئن ان للسفينة رباناً ماهراً ونوحنا على دفة القيادة، وبالرغم من الامواج
المتلاطمة.. لكن يوجد بين الركاب من يود لو يحفر قاع السفينة من اجل
مصلحته! أجل.. اكتب عن هؤلاء ايضاً.. هؤلاء الذين لا يهمهم غرق السفينة ومن
فيها على ان ينالوا مكاسب ذاتية ويحافظوا على ملذاتهم الانية.

ومع ذلك.. نتطلع الى الوصول الى شاطيء الامان وسيقرع جرس السلام
حتماً. ورباننا يقظ وحكيم. هذه فقرات سريعة من الرسالة المكتوبة بلغة كوردية
رشيقة. والرسائل العتيقة ذات نكهة لذيذة خاصة مثل الخمر المعتق.. الكلمات
الصادقة تشتد توهجاً كلما مر عليها الزمن فهي مثل الذهب.

عفواً! فالذهب يباع ويشترى اما الكلمة الصادقة فثمينة لاتقدر. واما الكلمات
التي تهبط الى السوق وتتعرض الى العرض والطلب فهي "هواء في شبك" كما
كان أحد الفلاحين يصف الشتائم التي تأتيه من زوجته السليطة اللسان! عجباً
كيف ولد سقراط مرة اخرى^(٢)؟

(١) كتبت عدة لوحات بعنوان (طوفان)، اثارت جدلاً وأستغراباً، وصادف أيام نشر هذه
المقطوعات هطول أمطار غزيرة في بغداد حتى فاضت السيول بعض الاحياء!

(٢) عرف الفيلسوف سقراط بتعرضه الدائم إلى شتائم وكلمات جارحة لاترحم كانت
زوجته توجهها إليه، يقال ان سقراط لم يسلم من سلاطة لسانها حتى في يوم نقله
إلى غرفة الأعدام حيث تجرع بنفسه كأس الشوكران (السم)، حسب قرار المحكمة
في أثينا.

صوت

العدد (١١٢٢) الاحد ٢٧ آب ١٩٧٢

تعايش

يهاورني صديق ظريف ذكي لبق، لكنه يناقضني في الرأي. ولا يتردد في اعلان موقفه اليميني من قضايا سياسية ويومية عديدة. ويطلق الشتائم احياناً بصورة لاواعية كما يطلق سخرية لاذعة جداً تستفزني وترغمني على الرد. حين نلعب الشطرنج يضحك ويقول:

- هه! سيلعب البيدق الابيض اولاً هل سمعت؟ في الشطرنج ايضاً يأتي الابيض ثم الاسود.

- انه تمييز عنصري!

- كلا! انه الواقع. والحياة نفسها هكذا.. فيها الابيض ابيض والاسود اسود لا! لا حاجة الى سماع رأيك هل تريد ان تجعل الاسود ابيض؟ كلا! سيبقى كل شيء محتفظاً بلونه.

ويخرج عن طوره احياناً بحيث يسيء الى علاقتنا. فكرت في طريقة تضع له حداً. ورحت اسجل كل ما يتفوه به من شتائم او سخريات جارحة. وخلال اسبوع تجمعت في قائمتي اقوال طريفة له وهي مؤرخة ومؤشرة بالمكان الذي قلت فيه. ثم التقيت به في جلسة وبسطت امامه القائمة. قلت: اقرأ! قال: ماذا؟ قلت: انها اقوالك التي تطلقها تعريضاً بي. اقرأها جيداً اذا كنت تريد التأكد من نفسك. اقرأها ملياً ثم ضحك عميقاً وضرب جبهته بكفه قائلاً:

- انك شيطان! حقاً.. انها اقوالي.

- حسناً! هل تريد استمرار جيرتنا وتخفف من حدة اقوالك؟

- لنتعايش. الا يمكن؟

- الامر متروك لك! لكن اعلم انني اعيشك انت ولا اعيش افكارك. كل ما في الامر هو ان لا نتشاجر^(١).

(١) طريقة طريفة للقبول بالآخر والحوار مع حق الأختلاف.

المجاعة مرة أخرى

في زاوية ما من العالم، كان يعيش هذا الكاتب وهو يفكر في كل شيء يهم الناس ويستلهم الحقيقة من الوقائع الماثلة امامه: فقر دم، ضعف عام في الصحة، امراض مختلفة ناتجة عن سوء التغذية، وجبات غذائية فقيرة.

وقد لا يكون هذا ادانة لأحد كما انه ليس دعوة الى عمل معين ولا يمكن ان تحمل الكلمات فوق طاقتها. لماذا الحديث عن المجاعة؟ يبدو هذا الحديث - احياناً - بمثابة ارهاب فكري يبعث الخوف والقلق في اذهان الشعوب لشمل ارادتها وتعتيم المستقبل امامها لاختضاعها لمشية المحتكرين.

لكننا لانستطيع انكار وجود شبح المجاعة وهو يجول ويصول في دروب وارقة قرى العالم الثالث ومدنه، ويتغذى الشبح من بقاء التحولات الاجتماعية والاقتصادية في هذا العالم ومن تخلف الحكومات واجهزتها البيروقراطية^(١).

وللمجاعة شكلان. شكل مكشوف يعبر عن نفسه في صورة طفل شريد يموت جوعاً أو عجوز يلقي به في الشارع ليشحذ، أو قوافل من العوائل تهاجر من بلد الى بلد بحثاً عن لقمة اليوم! وشكل آخر مقنع عبر عنه تقرير لمنظمة الغذاء الدولية يقول ان ثلثي سكان العالم لا يحصلون على السرعات الحرارية الكافية من الغذاء^(٢). ينبغي ان نفهم هذا الواقع جيداً... واقع كون المجاعة المقنعة تفتك بنا من حيث لاندري. ان هذا الفهم يساعدنا على ادراك أهمية الاسراع بالثورة الزراعية وتصفية بقايا الاقطاع واستصلاح الاراضي وترسيخ العمل التعاوني^(٣) في الريف كل ذلك ضمن برنامج كامل.

(١) كان الأصح ان أضيف: الدكتاتورية والقمعية.

(٢) اذن، المجاعة منذ ذلك الوقت (١٩٧٢).

(٣) تلك هي تصوراتنا وحلولنا آنذاك.

صوت

العدد (١١٢٥) الاربعاء ٣٠ آب ١٩٧٢

يمكننا ان نذكر كيف كان -جحا- يتمسك بالروتين ويمارس البيروقراطية بجمود وبلادة.

قالت امرأته يوماً: احرس الباب ريثما اعود! وذهبت هي لحضور حفلة عرس احد الجيران وجلس جحا امام باب البيت يحرسه حتى شعر بالملل واشتاق الى وليمة العرس فخطر له ان يحضرها. لكن ماذا يفعل بالبيت وبابه وهو مكلف بحراستهما؟ فتذكر ان زوجته أوصته بحراسة الباب. فاقنطعه وحمله على ظهره وذهب الى العرس.. لما شاهدته امرأته قالت: والبيت؟ قال فوراً: الم تطلبي مني حراسة الباب؟ هاهو عندي!

المدار الاخير

العدد (٩٥٠) الثلاثاء ١ شباط ١٩٧٢

من تأريخ الطوفان

- يا نوح الق بمرساة السفينة
خانزاد حبلى بكوردو
خانزاد حبلى بكاوه
تهبط هنا في الوطن.. في كهف بكوردستان.
تبدأ رحلة برية:
صخور وعظام
ايتها الصخور انظقي باسرار
هذه الرسوم المحفورة.. من خطها. ماذا تعني؟
ايتها العظام يا عظام الوعل والماموث
تكلمي عن هذه الرموز المنقوشة.. من كتبها؟ ماذا تعني؟
ايتها الجبال الوديعة:
- كم شيخاً تبتل على القمة ينجي الشمس في شروق وفي غروب.. ويناجي
نجمة الصبح..
كم شيخاً مثل (مولوي)؟
كم فتاة صعدت تغني للحبيب؟
للحبيب؟
تلوح بالشال للحبيب الباسل الذي يعيد الوعل ويذود عن الكف؟
كم فتاة صعدت تحمل الحطب الى الموقد؟
كم طفلاً دحرج الصخور الى الوادي ليلهو باصداء المعارك بين الصخور؟
تكلمي ايتها الجبال المسالمة.. انظقي بالحقيقة..

المدار الاخير

العدد (٩٥٢) الخميس ٣ شباط ١٩٧٢

نذور من اجل الطوفان

من اهدابي صنعوا مراسي السفينة وشدوا وثاقها بحبال من جلدي.

لقد جاء الطوفان. وهدر الطوفان

لعاق ينوح مذعورا

- لا عاصم بعد اليوم يا بني!

ابتلعه يا طوفان. اغرقته يا طوفان

تضخ الرياح العاتية والسفينة طافية:

طوفان. طوفان. طوفان.

يا نوح: في عنقي نذر ان اقبل الطين النظيف حالما ينحسر عن الارض

الطوفان..

يانوح: وفي عنقي نذر ان اكل من الطين الطاهر لأغسل امعائي من سموم ما

قبل الطوفان.

يا نوح: وفي عنقي نذر ان اغتسل في اول نهر تشرق عليه شمس ما بعد ليل

الطوفان.

يا نوح: وفي عنقي نذر ان انزع جلدي.. وفي عنقي نذر ان اوزع الخبز

والجبن على الف جار الى اليسار والف جار الى اليمين..

يا لقمان..

وانت يا لقمان: في عنقي نذر ان ادرس على يديك حكمة وجودي.

وان اعلم الف طفل حكمة الوجود.

يا لقمان..

متى يهدأ الطوفان؟

المدار الاخير

العدد (٩٥٣) السبت ٥ شباط ١٩٧٢

الطوفان يهدأ

اهبط من السفينة يا نوح..

يلثم الموج قدميك

تقبل الريح يديك

تهمس لك الارض برموزها السرية.

ولقمان الحكيم يستنطق الاعشاب عن اسرار العافية

وسليمان يستعلم طيوره عن الاسراب المهاجرة منذ بدء الطوفان.

اهبط..

فقد هبط ميديا يعيد الى الطين حقوقه:

ويخط عليه الحروف المشعة التي انقذها من الغرق في الطوفانة

وداود يضع الحان مابعد الطوفان..

اهبط يا بحار الطوفان.

يا ربان الطوفان.

فقد غرقت الارواح المنحطة.

وانمحت من الالواح نقوشها الميتة

وكان ما طلبت:

جرف الطوفان الالواح المثقلة بالخطايا الى بحار غائرة القيعان..

اكتب عني

منذ ان تعارف معي كان يبدو انه يريد ان يقول شيئاً. واخيراً قال:

اكتب عني

- ماذا اكتب؟

- حياتي.. قصة حياتي ممتعة ومأساة معاً.

ثم سرد لي باسلوب فولكلوري كيف كان والده يعلقه على جذع شجرة بعد ضرب مبرح، عقاباً له، لأنه كان يدخن وهو مازال في العاشرة. وكيف انه قضى اياماً طويلة يسير بلا هدى بعد ان هرب من جحيم والده اخيراً...

ثم كيف عمل لدى خباز في المدينة وما جرى له بعد ذلك من مشاكل قادته الى السجن ثم خرج منه ليعود ثانيةً فيخرج ليعود الى ان ادمن على حياة ملوثة.

واضاف صاحبي قائلاً: اكتب عني رجاءً كي يعلم الناس بأنني لم أكن اريد هذه الحياة. لم اكن اريدها على هذه الطريقة. لا اجمل من الحياة النظيفة.. لكن!

اتذكر كثيرين جابهوني بنفس الطلب.. ان اكتب عنهم وكل منهم يقول: لم يمر بأحد ما مر بي. لن يتحمل احد ما تحملته انا من مصائب. والنتيجة هي ان جميع هؤلاء المسحوقين قد عاشوا حياة هامشية تثير الألم والكراهة والحقد ازاء كل استبداد واستغلال يشوهان حياة الانسان.. هذه الحياة التي لا تعطي سوى مرة واحدة..

قال احدهم: لو كنت استطيع الكتابة مثلك!!

فماذا كان سيفعل؟ كان سيذيع في الناس مأساته.

لماذا؟ لدى التمحيص ارى غالباً أنه لا يريد وراء ذلك سوى التعبير عن وجوده.. عن كونه قد عاش.. قد كان هنا يوماً... اليسست هذه الرغبة الجارفة في التعبير عن الذات هي اصل الفن والفلسفة؟

استغلال رغباً عنك

ان لا تستغل احداً ولا يستغلك احد
فلا تضطهد احداً ولا يضطهدك احد
فلا تكره احداً ولا يكهرهك احد.

يا له من حلم طوباوي في مجتمع حالما تفتح فيه عينيك حتى تجد نفسك مستغلاً! ولا مهرب لك من الاستغلال مهما كنت سليم النية وصافي السريرة ذلك لأن هذه العلاقات لاتتعلق بالأخلاق ولا بالورع والتقوى بل هي تتعلق بشروط الحياة الاجتماعية الطبيعية. فاذا رفضت ان تستغل احداً ينبغي ان تستعد لأحتمال استغلال الآخرين لك.. بل أنه حتى اشد المسحوقين المتعرضين للاستغلال المزمّن يمارسون الاستغلال ايضاً الى هذه الدرجة او تلك، سواء ارادوا ذلك ام لم يريدوا، وسواء شعروا بما يفعلون أم لم يشعروا.

المجتمع الطبقي هو مجتمع شرير بطبيعته حسب العلاقات التي اثبتناها في مقدمة الحديث وذلك لأن الاستغلال يولد الاضطهاد ومنهما تتولد الكراهية كراهية الناس بعضهم للبعض.

فانت في دائرة الاستغلال رغباً عنك طالما ان هناك استغلالاً في المجتمع ولايمكن ان تعيش حياة الحب والتآخي والطمأنينة والألفة..

حياة الانسان الواعي الشغوف بالحياة والطامح الى السعادة لا تتحقق إلا بالتححر الاجتماعي من الاستغلال. قد تكون هذه الكلمات تجريدية في حد ذاتها او تبدو مجرد آراء.. لكن فكر لحظة في يومك وسجل الحالات التي تتعرض فيها للاستغلال والحالات التي تستغل فيها الآخرين وسترى انك في جحيم من العلاقات اللا انسانية.

الفصل الثاني عشر
كيف ينظف المصباح

كيف ينظفيء المصباح؟

ما ان جلس في ردهتي حتى مضى كعادته يسرد قصة حظه المشؤوم.. وفاة والده بالسل وهو صغير وطرده من القرية لأنه قتل كلب الشيخ وهو مازال في الثانية عشرة واحتراق مقهاه الصغير في المدينة لأنفجار موقده.. وسرد سلسلة من المصادفات توحى له بتريص الهموم -أو الاصح صار يركز على المفارقات التي تبرهن على سوء حظه! وظل يتكلم حتى انطفأ مصباح الردهة فجأة وكنا في مابعد العشاء.. فاستطرد تلقائياً:

- انظر. كيف ان المصباح ينظفيء حين ادخل انا مكاناً؟ اليس هذا وحده برهاناً على صدق ما اقول؟ وعبثاً حاولت اقناعه بأن الطاقة الكهربائية لاتعقل، لاتحس، ولاتشعر بمصابه، وان المصباح لم ينظفيء تشاؤماً بل لعطب فيزيائي أو ميكانيكي.. لكنه أصر على انه هو الاصدق.. لماذا؟ لماذا هذا الاصرار على البرهنة بصحة الموقف مهما كان هذا الموقف واضح الخطأ؟

عزيزي.. كاك زوراب

كأنني اللحظة اودعك

مضى الخريف السابع دون ان أراك.. الخريف السابع على آخر عرس دبكنا
(رقصنا) فيه معاً

دق الطبال بقلبه.. ونفخ الزمار بروحه. وتشابكت الاصابع.. مناسبة فيرقه.
اصابع رجال ونساء. ناعمة. خشنة. طرية متغصنة
رفرفت حواشي الاثواب الزاهية الشفافة. حمراء. صفراء. خضراء. برتقالية.
وثار غبار الدبكة وهالهل العجانز.

آنذاك تسلكت الصببية. ليلاك. عشقك الاول. تسلكت بيننا. انا وانت عقدت
زراعاً في ذراعك واخرى في ذراعي.. ودبكت.

جاغتنا -ليلاك- بعطرها. هل كان عطر الصبا أم عطر الحب يا رفيقي؟ بعد
سنوات سبع.. استشعرها تدبك جنبي.. وثنيات ثوبها الحريري. وزخمتها
الخضراء وشالها الاصفر. وفي كفها الحناء مايزال طرياً. ورائحة نفاذة مهيجة
من صدرها. رائحة عقد من القرنفلة الجافة السوداء.. وماذا بعد؟

غبنا في الدبكة والهالهل.. ثم انسحبت -ليلاك-. وانسحبت انت وراعها
التقيتما في ركن مظلم خلف العرس. لم تقل لك شيئاً ولا انت. مع ذلك قالت:
احبك. منحتك منديلاً. منحتك حبها في منديل حريري أحمر ناعم الملموس ملفوف
على حبوب (الرقمي= الدبشي= الزبش) المنشوية توأ. كانت ماتزال حارة طرية
حين ذهبنا معاً بعد الدبكة وافترشنا التراب الناعم لساحة البيدر في ضوء القمر
منتصف ايلول.

كرزنا الحبوب المشوية.. حبوب الحب والعرس. وانت تتكلم بصوت مرتجف
محموم. صدقني يا زوراب كان جبينك محموماً حين اشرت لي ان اجسه.

وانفاسك لاهبة. وانت تهيل تراباً على تراب باصابع مرتعشة حدثتني عن اشياء كثيرة الا عن الحبيبة. لكنك كنت تعنيها هي وحدها دون أي شيء.
انت مثلها لم تقل شيئاً. كنت فقط منفِعلاً بفرح خريفي منعش اعذب من احاسيس العريس الذي دبكنا له، واطلقوا زخات الرصاص.
عزيزي زوراب.. جاعتي رسالة هل هي مغرُضة وملفقة؟ أتمنى ان تكون كذلك تقول الرسالة انهم زوجها لأبن عمها.. وانت. اين انت. ماذا تعمل؟
هل تحرث الخريف كعادتك؟ أم حملتك رياح الهجرة والشوق الى عنوان مجهول؟ أم انك ماتزال تلف مندليها الاحمر حول مقبض خنجرك وتحرث ومع كل دورة للمحراث تصوب النظر نحو طريق القرية لعل الحبيبة تخرج الى الجدول او الحطب؟
اين انت يا زوراب. وعشقتك؟ هل ما تزال تنتظر خروجها الى الماء فتشم من بعيد. نسيم عطرها. النسيم الذي من عندها يهب؟
أم تحرث وتبذر أهات طويلة مع حنطة^(١) هذا العام.. أهات مالحة لن يغسلها المطر مهما كان غزيراً صاخباً عاصفاً، اين انت؟

(١) موسم القمح.

ميديا والتلج والنار

القم الحكيم -ميديا-^(١) الموقد الحجري مزيداً من الحطب وناول احفاده عصير النبيذ في كؤوس خزفية.

كان الاحفاد يحفون به في جذل متدفئين بالموقد الذي صانه لهم الاجداد من الرياح العاصفة العاوية حول الكهف.

سأل احدهم ميديا ان يحكي لهم عن النار والنور والتغريد والالوان الجميلة في كوردستان فقال الحكيم:

- لم تكن في البدء جذوة واحدة مشتعلة. كان الكهف جليدياً بارداً معتماً حين ولجته خانزاد وعلى ظهرها طفلها العاري -كوردو- الذي صرخ حين لسع الثلج طهره العاري ورقبته وقدميه فغرست الام الشجاعة اصابعها في صدرها وانتزعت ما فيه من شحم ثم نفخت في اصابعها فاندلعت من جوفها شرارة متوهجة اضرمت النار في الاصابع التي اضحت شموعاً. ومنذ ذلك الحين يستضيء هذا الكهف بموقد وقوده الشحم، ولما انتعش -كوردو- بسريان الدفء في احشائه ناغته أمه تبدد الخوف عن روحه، فانطلقت من حنجرتها نغمات عذبة استحالت حجولاً واقباجاً ويمامات. ومنذ ذلك الحين تغرد هذه الطيور الخالدة امام الكهف لتطربنا بشدوها.

ثم راح -كوردو- يلهو بالشرارات والجمر المندلعة في الموقد الحجري الذي صنعتها خانزاد فتطايرت الجمر الملتهبة فوق الجبال المتأخمة فذاب بعض الثلج

(١) ميديا: رمز إلى الجد الأول للكورد. وأما أسم (ميديا) الآن فيطلقونها على الأثاث دون الذكور من الأطفال. وقد ورد أسم (ميديا) في هذا الكتاب بصفة الذكر، وهو الجد الحكيم للكورد، واطاراً إلى ما يذكره التاريخ عن دولة ميديا، وأولى دولة كوردية، وهنا يرد ذكر حكاية أسطورية قصيرة.

وتكاثرت الطيور المغردة واخضرت جنبات الكهف. ومنذ ذلك الحين امتلأت
كوردستان بأجمل الورود البرية.

صنعت خانزاد النار واللحن واللون من اجل كوردو الحبيب كي يفرح ويطيب
نفساً بالعالم الذي ولد فيه وكي يتعلم كيف يروض الطبيعة القاسية المتمردة
ويخضعها من اجل الفرح وشغفاً به وتخليداً له سمت الكهف باسمه فكانت
كوردستان.

صوت

العدد (٩٦٨) الخميس ٢٤ شباط ١٩٧٢

أ، ب، ج، د.....

حتى الآن ما تزال الفهارس والاسماء تصنف حسب الحروف الابجدية. وكنت احاول أن اتناول عدداً من المسائل والمصطلحات واشرحها واقدمها واحداً بعد آخر حسب الترتيب الابجدي لكن عدلت عن ذلك حين خطر لي سؤال:

- بماذا بدأ العالم؟ هل بدأ بحرف -أ- أو حرف -ج- أو -ع-. وبماذا بدأت اللغة. بأي حرف؟

هذا ما لم اعرفه لحد الآن. الا ان -أ- هو الحرف الاول من معظم اللغات المعروفة وقد يعود ذلك الى ان صوت -أ- ذا دلالات عديدة جداً، يمكن تلفظه بطرق عديدة جداً حيث يعبر في كل مرة عن معنى مغاير وعلى الاغلب يشكل هذا الصوت اول ما نطق به الانسان. ان -ئا- في اللغة الكوردية مثلاً يعني: - نعم-. الا انني لا يمكن ان ابدأ ب-نعم- لواقع من المفروض ان الشعب يريد تغييره وتجاوزه معبراً عن ارادته بمختلف وسائل التعبير: وفي قصائد شعرائه وأدب ادبائه ولوحات رساميه وهتافات مناضليه.

فيصعب القبول بقولية العالم ضمن ابجديات محدودة سلفاً. ان الواقع المتحرك المتغير دائماً يطرح ابجدياته حسب منطقها منطبقاً لقوانين حركته وليس حسب منطقي الذاتي المحدود.

فعدلت عن الخضوع لأي منطق سابق على منطق الحياة.

حرية وسعادة

قلنا: ان جيلنا سعيد لأنه شاهد عصر يتحول... شاهد مجتمع يولد. الا ان مفهوم السعادة مغاير جداً للمفهوم المعتاد عنها لأن السؤال الذي يحق للناس ان يطرحوه هو:

- اين هي السعادة من عصر مضطرب مهدد بالأنهيار^(١) في أية لحظة، نائم على كف عفريت ذري؟؟.

نعم. للناس الحق في أن يتظلموا ويتشكوا لأن مساويء الحياة غير العادلة وقيود الاستغلال الاجتماعي والقومي والعنصري ما تزال ترهق ضمائرهم وتنغص ساعات حياتهم القصيرة. الا ان معنى السعادة ينبع من الادراك الواعي للمنازل الشجاع ادراكه بأن هذه الآلام غدت مؤقتة وزائلة، فلم تعد الدنيا هي الزائلة والفانية. بل ان مساؤها وشروها فقط هي الفانية. يقابل ذلك تفاؤل شجاع واع بحياة احسن على هذه الارض ذاتها وتحت نفس الشمس.

هذا تفاؤل لاياتي من الايمان بجبرية جديدة تحل محل الجبرية القديمة بل انه التفاؤل التابع من حقيقة ان الشعوب تعي مصالحها، وان الانسان الجديد يعي مسؤوليته. وهذه هي الحرية حرية ادراك الضرورة التاريخية.

ان المناضل، بهذا المعنى. حر لذلك فهو سعيد لكنه لم يحرز حريته الحقيقية طالما ان شعبه غير حر أي ان حريته نسبية. ومن جهة اخرى فهو يسبق شعبه وعصره بحصوله على تلك الحرية التي تمنحه السعادة.

اننا بهذا المعنى فقط يمكن ان نفهم القول بان النضال سعادة وفرح رغم ما يجلب من حرمان واضطهاد وملاحقة وتعذيب. بل ان المناضلين العظام، الواعين وعياً شاملاً، تمتليء ساعات حياتهم كلها بتلك السعادة، سعادة النضال، سعادة الآلام في سبيل حياة أسعد. انها ليست صوفية جديدة بل واقع انساني حي.

(١) تعبير عن التفاؤل آنذاك في ظل الخوف من التدمير النووي الجهني.

صوت

العدد (١٠٢٢) الاثنين ١ أيار ١٩٧٢

رفيقتي:

مدي ذراعك كي أنام
ترنمي كي أنام
انشدي لي الحب والسلام
حبيبتى..
افترشى شالك كي أنام
اغفو طرفة عين
اواصل بعدها الرحلة
فمدي لي الذراع..
هات شعرك.. انام
هات مهدك.. انام
دعي المسافر يأخذ قيلولة
راحة في محطة بالدرب
يسترخي مطمئناً لحظة..
ينام..
ثم يواصل السفر الى دولة الحب والسلام والسعادة
يسحب وراءه نهراً من غسل..
حبيبتى.. رفيقتى..
مدي ذراعك كي أنام..

صوت

العدد (١٠٢٣) الاربعاء ٣ آيار ١٩٧٢

الابتعاد عن التكرار

١

يقول المخرج السينمائي الهندي -سايثا جيت راي-(^١):
- هناك شيء واحد احاول تحقيقه دائماً ذلك هو الابتعاد عن التكرار، اذ اننا لانعيش سوى مرة واحدة(^٢) فلماذا اذن لا نعطي كل ما لدينا؟ خاصةً وأنه من الافضل ان نتجدد..
... بلا تعليق.

٢

نحن في القرية عشيرة واحدة.. وفي المدينة شعب واحد...
لكننا فيما يخص المعدة لسنا بعشيرة واحدة بل مئات العشائر..
يمكن ان نعمل معاً في شق ترعة وبناء دار او تعبيد طريق وردم ثغرة في نهر.
يمكن ان نرقص معاً في عرس ونشيع معاً تابوت كل ميت ونندبه ما نشاء..
وللنساء ان يلطنن ويبيكين معاً..
اما فيما يخص المعدة.. فيما يخص الاكل فيظل كل منا وماعونه.. اذ حين
يحل أوان وجبة الأكل يبقى كل منا وحيداً وخوانه وما قسم له..
فما دمنا لا نأكل معاً.. ومادام كل منا يأكل بوحده فيأكل احداً أحسن والذ
من الآخر.. فاننا قطعاً لسنا عشيرة واحدة..
المعدة ميدان اساسي للصراع الاجتماعي!

(١) نقلاً عن الصحافة آنذاك.

(٢) بينما حكماء الهند والبوذية (البوذية) يقولون ان الإنسان يعيش عشرات المرات:
يموت فيحيا متقمصاً جسداً آخر، ثم يموت ... وهكذا.

صوت

العدد (١٠٢٤) الخميس ٤ أيار ١٩٧٢

خلاقة اليد

الشباب المقطوع الذراع يجيد لعبة التنس بذراعه الوحيدة ويبرز معظم زملائه. هاهو يمسك بالمضرب وبنفس اليد يمسك بالكرة البيضاء الصغيرة ثم يدفعها قليلاً فيضربها بخفة ورشاقة ويسيل العرق حول عنقه وعلى جبهته ويتحرك جذلاً.

كم هي خلاقة يد الانسان:

هاتان اليدان البارعتان اللتان يملكهما كل امريء سليم كانتا في البداية طرفين اماميين فحسب.

وبالعمل تطورتا الى ماهما عليه الآن.

وكانت لليدين أهمية كبيرة في تطور الدماغ. فبالعمل تطور الدماغ.

اذا كانت اليد الواحدة تحقق هذا الجمال في لعب كرة المنضدة فكيف

باليدين؟

نحن غالباً ما نهمل الامكانيات الهائلة الكامنة في ايدينا.

فبإمكاننا ان نجعلها تتقن العزف على البيانو، أه! كم كنت احب تعلم العزف

على آلة موسيقية ما .

وبإمكاننا جعلها تقود سفينة ذرية وتوجه عقلاً الكترونياً وتحرك ييادق

الشطرنج بمهارة. لم يكن الانسان الاول يفكر في أن يديه ستغدوان من اعظم

كنوز احفاده في القرن العشرين.

هل تدري يا صديقي ان اعظم ما تملك هو معك دائماً؟ أجل! وجودك.. فأعمل

من اجل حياة أجمل. معك... يداك، دماغك، عيناك...

اجمل ما تملك، ومن اجل أبداع أحسن مما كان.

صوت

العدد (١٠٢٦) الاحد ٧ آيار ١٩٧٢

الرياضة صحة ومرح وانطلاق..

الرياضة جزء من الحياة السليمة، جزء مكمل للحياة اليومية وامتداد ضروري لكل حياة طبيعية.

ينبغي للإنسان ان يلعب ويعيش ملء جسمه وعقله!

للجميع الحق في ممارسة أي نشاط رياضي وعليهم ان يفعلوا ذلك.

الكلام الى هنا مغر وجذاب وجيد، لكن الواقع هو ان معظم الناس لا يمارسون هذا النشاط المكمل لوجودهم، فوجودهم ناقص مبتور. انهم مسلوبون.. قد يكون هذا الخمول والاهمال جهلاً أو بسبب الانغماس في هموم الحياة المعيشية اليومية. فديمومة التخلف والتناقض الاجتماعي الطبقى تظل تعاقبنا وتسرق ساعات جميلة بهيجة من وجودنا.

سيأتي -حتماً- عهد يقوم فيه كل انسان بممارسة حقه في الرياضة، وهي ليست حكراً لأحد وليس هناك اناس ينبغي ان يلعبوا بينما لاينبغي ان يلعب آخرون. كما ان الجميع سيلعبون حتماً، لكن متى؟

حين يتحرر المجتمع من الاستغلال، وحين يتحرر الانسان من ضرورات الحياة القاهرة التي تستقطب الآن كل اهتمامه وانتباهه وحين يحرز على فراغ كاف وغد مضمون سيمارس هواياته المحببة، من ضمنها شتى الألعاب الرياضية، والتي هي من وسائل تطويره الروحي والجسدي واثناء شخصيته بمثل وقيم نقية تصبح معها الحياة بهيجة^(١).

هل هناك غاية اسمى من هذه؟

(١) هذا من الأشواق، المشروعة، ومن الحقوق المشروعة للإنسان، لم تتحقق بعد.

صوت

العدد (١٠٢٧) الاثنى عشر ٨ أيار ١٩٧٢

شجرة تحمل مختلف الثمار

كل نبتة تتخصص في ثمرة معينة ولون معين ومذاق معين.
شجرة البرتقال لا تثمر سوى البرتقال. والتفاح يحمل التفاح. اما براعم
الزرجس فتفتتح عن ورود الزرجس، وسيقان القمح تنتهي بسنابل القمح.
وكذا الحيوان يبرع في خصائص معينة محدودة.
هذا هو الغزال جميل العينين سريع الجري. والقبح وديع عذب اللحن.
اما الانسان فشجرة عجيبة تزهر بألوان متعددة في آن واحد، شجرة غنية
تحمل كل ثمار الأرض: مرها وحلوها. طيبها وفجها^(١).
فأي حيوان جميل هذا الكائن القادر على تعلم العاب شيقة والاستزادة من
التعلم!

أية قابليات وامكانيات رائعة مطمورة في هذه الشجرة من لحم وعظم.. هذه
الشجرة المثمرة المتحركة!..

وكم هو متعسف وطاغ ذاك الذي يفكر في تطويع هذا الكائن العجيب وتحويله
الى بعد واحد، الى آلة واحدة ذات حركة كسولة رتيبة^(٢)!.
فأعز الامنيات لم تزل هي هي.. وهي الحرية^(٣).. حرية التفتح المزدهر
للانسان جسماً وروحياً لتتفتح الوردة التي لم نر الوانها بعد! وتتكشف قابلياته
الفذة التي لم تزل حبيسة!

(١) تعبيراً عن التنوع البشري الخلاق.

(٢) تعبيراً عن الاحتجاج على الدكتاتورية والشمولية آنذاك... وفي كل زمان.

(٣) هذا التوق الشديد الى الحرية كان يحركنا للسير دون توقف نحو الذرى.

صوت

العدد (١٠٢٨) الثلاثاء ٩ أيار ١٩٧٢

لا أسهل ولا ايسر من الاستمرار على نفس اللحن أو ترديد نفس الكلمات. وفي الرياضة نظل نركض بنفس السرعة حين يبقى التمرين في نفس المستوى ونفس الوتيرة. اما الفخر فهو -دائماً- لأولئك الذين يسجلون ارقاماً اعلى ويأتون بحركات رشيقة أكمل فأكمل.

هذا قريب من العمل الفكري، من الخلق الفني. بل ان فيه قدراً كبيراً من الفن والابداع لأنه متصل بالذوق الجمالي. حين نكرر يومياً نفس الحركات نكون قد تعلمنا رياضة معينة ذات مستوى جامد غير متطور. وهذا مناقض للروح الرياضية والروتين ابي التكرار المستمر لنفس العمل وبنفس النمط والوتيرة. هذا الروتين قاتل جداً في الرياضة كما هو في الفكر والسياسة والحياة عامة.

لا اسهل من اعادة نفس الكلام وترديد نفس الاغنية وتلاوة نفس الكتاب. لكن شرف الحياة ومجدها معقودان لذات الانسان المبدع او لتلك الطبقة المبدعة المنتجة التي تصوغ كلاماً أجمل وأغنية أعذب وارق، وكتاباً أشمل وأعمق فكراً.

الفصل الثالث عشر

أحلام رضيعتي

صوت

العدد (١٠٢٩) الاربعاء ١٠ آيار ١٩٧٢

١

دعوني انطلق الى البرية والشارع، الى القرى..
اقبل الناس واحداً واحداً.. لعب قليل..
وضحك
وعمل
ولتنته الحياة متى شاءت^(١).

٢

اشعر هذا الصباح ان متسع الحياة يبتعد عني شيئاً فشيئاً كأنني أسجن لتوي.

أوه! لماذا العودة الى مثل هذا البحث الميتافيزيقي؟
نهضت وتناولت كأس لبن وخبزاً ثم كوب شاي. المطر يهطل ثم يتوقف.
خرجت اتمشى رغم ان قدمي توجعان على أثر تمارين رياضية خفيفة، اذ لم
ألعب منذ عدة سنوات. في الظهر تناولت بيضاً مسلوقاً وتخيلت تنورنا في
القرية. كنا نضع البيض تحت الرماد، حيث الجمر لم يزل.. وننتظر متى تنفلق
البيضة محدثةً صوتاً محبباً. السماء مفتوحة، لا نافذة مغلقة. مع ذلك اتوهم
السماء مغلقة. وجدت العزاء في صديقي ذي الكلية الواحدة الذي يقول عن نفسه
مازحاً.. انا نصف انسان لأن لي كلية واحدة. تحدثنا عن الفطر والكمأة
والغريبان التي تعشق الفطر.. والغزلان وصيدها في كوردستان..

دعوني انطلق الى البرية راكضاً كما كنت طفلاً..
اقبل الورود البرية واحدة واحدة.. ثم استلقي على بطني وارشف ماء نبع
اخضر الجنبات الى ان ارتوي^(٢)..

(١) و (٢) لحظة من لحظات الوعي المتوهج.

صوت

العدد (١٠٣٠) الخميس ١١ آيار ١٩٧٢

١

في ذهني يثوي شيء يشكو الرقاذ الطويل.

٢

يقول احد الأدباء متحدثاً عن نهجه في الاستقراء والكتابة:
- اخرج وانظر حواليك واستوعب كل شيء.

٣

يقول المخرج اورسون ويلز^(١):
- قيمتي الوحيدة بنظري هي انني لا اطلق احكاماً. انني رجل يجري تجارب.
القيام بالتجارب هو الشيء الوحيد الذي يدفعني ويحمسني..
لاشيء مما افعل يهمني حتى افضل افلامي.. فما افعله لا قيمة له.
انني لا التذ بالفن. انما التذ بالفعل البشري. فالفعل هو الذي يهمني وليس
النتيجة..

٤

ارسم خطأً تحت جملة -انني لا التذ بالفن. انما التذ بالفعل البشري.
ان ويلز يحب العمل. يعيشه. فالعمل هو وجوده ومبرر هذا الوجود. لم يعد
العمل ضرورة قاهرة عنده بل أضحي حاجة انسانية.

(١) نقلاً عن الصحافة آنذاك.

صوت

العدد (١٠٣١) السبت ١٣ أيار ١٩٧٢

عاشق يخرس النرجس

قريباً من القرية تتلاصق تلال صغيرة تنتهي بمقبرة تنتصب فيها قباب طينية تهدم معظمها سوى قبتين يجري اصلاحهما سنوياً تزمان ضريحين معبودين! الى هذه القباب تتوجه نساء هذه القرية كل ربيع، معهن ادوات طبخ وخبز وبيض ويصل اخضر وحبوب مشوية. وبعد التبرك بالأضرحه يرقصن ويغنين. ثم ينتشرن في الحقول المجاورة لجمع باقات من النرجس البري الجميل يعدن بها الى منازلهن مساءً.

عن اسطورة وجود النرجس: تعتقد النساء ان فارساً شجاعاً كريماً باسلاً وملائكياً.. مر هنا في زمن غابر سحيق في القدم. كان مسافراً من اجل اعادة حق مسلوب.. وصادف أن أحس بالتعب حين وصل هذه البقعة فترجل من فرسه وجلس على العشب يتناول خبزاً وبصلاً أخضر وبيضا هو كل ما يحمل من زاد. فوقع منه بعض ما يأكل وارتوت الارض بعرقه الغزير فكان هذا النرجس البري. من بياض البيض صار للنرجس لونه الابيض. ومن صفار (مح) البيض صار اللون الاصفر. واما السيقان والاوراق الصغيرة فمن الخبز والبصل الاخضر. اما هذه الزائحة الزكية فهي رائحة عرق الفارس الشجاع.

آه! لو درت النساء ان عاشقاً بسيطاً في القرية كان يذهب معهن في طفولته، ويجمع معهن باقات النرجس الطرية النضرة، وحين شب وكبر حاول ان يصير فارساً جديداً يمر من هنا لينبت من عرقه ريف سعيد جميل تشقه الطرق المعبدة واعمدة الكهرباء فيحل الضياء ونور المعرفة وتزول قسوة الطبيعة القاهرة وتفتح اللوان شتى من ورود الحياة الزكية.

الفارس العاشق الجديد هو المناضل الذي حاول الطفل القديم ان يصيره. وهو مازال في صيرورة من اجل ان تتمتع النساء فعلاً بجمال وبساطة الريف.

صوت

العدد (١٠٥١) الاحد ٤ حزيران ١٩٧٢

مطالبب.. ومطالبب

ماذا تعمل لو كان عندك خمسمائة دينار!!؟
قالت طفلة لم تكمل عامها السادس بعد: لو كان عندي خمسمائة ديناراً؟
سألها ابوها: ماذا تعملين به؟
تدخلت امها قائلة: أظن انها تعني خمسة دنانير وليس خمسمائة.
ردت الطفلة: لا! لاتعرفين خمسمائة.. بهذا المقدار -فتحت ذراعيها مشيرة الى
حجم المبلغ-.

قال ابوها: وماذا تعملين به؟

قطبت حاجبيها الناعمين تفكر وقالت: سأشتري لعبة^(١). يروح منا المبلغ
نصف دينار. يبقى كم؟ كم؟ كم.. -لم تستطع تخمين الباقي لكنها مضت تقول-
ومن الباقي اشتري طماطة.. يبقى كم؟ كم.. من الباقي اشتري باذنجان..
وقال ابوها: اصبري لأسجل القائمة!

صاحت جذلي: شكراً ابي.. سجل، اشتري بطاطة، دجاج، سجل اشتري
نومي حامض. نستلة.. رمان.. تفاح.. سجل اشتري فاصوليا. كتاب رسم. لعبة
تصبح ماما وبابا. قميص وبيجاما لأبي. ثوب. حذاء لأمي. عباءة لأمي. سيارة
صغيرة -لعبة-. موطا. حذاء جديد سجل.. سجل سجل.. هل بقي من المبلغ
شيء، رد ابوها مازحاً: بقي درهم!

قالت فوراً: اعطني إياه اشتري به موطا..

ناولها درهماً فقد مر بائع موطا في تلك اللحظة في ظهيرة يوم من نيسان
هذا العام.

(١) من العرائس.

هذه هي مطالبب واحلام طفلة لم تكمل السادسة. فماذا تعمل انت بالمبلغ لو كان عندك؟

عالم الطفلة البريء النقي لايعرف التمييز العنصري ولا الاستغلال ولا الاستبداد فمطالببها طبيعية جداً وصغيرة بسيطة لكنها مطالبب جدية وهامة في آن واحد. هي لاتحلم بالبطش بالآخرين ولا -كسر رقاب الغير!- ولا القمار او سباق الخيل! او المتاجرة أو شراء مسدس ولا حتى بوكس حديدي! انها تريد ان تعيش عيشاً طبيعياً فحسب وان يعيش ابواها هانئين معها.. وانت ماذا يخطر لك ان تعمل لو كان لك مبلغ بسيط؟ سجل ذلك فوراً وقارن عالمك بعالم الطفلة البريء الجميل ثم فكر في القرف الذي اوصلك اليه الاستغلال والحرمان والتخلف.

صوت

العدد (١٠٥٢) الاثنين ٥ حزيران ١٩٧٢

البساطة.. في العمل الفني

-لحن الفرح- العبقري الموسيقى بيتهوفن يتميز بالبساطة والعمق وتستسيغه الاذن بشغف. قرأت عنه تعليقاً يقول:

- ربما كان هذا اللحن من أسهل الاعمال الكلاسيكية في تركيبه ولكنه في نفس الوقت يعتبر اعظم لحن وهنا يكمن سره كل سره. هدف الموسيقى هو ايجاد لحن بسيط يحبه الجميع ويكون في نفس الوقت بمستوى اعمرق الالحن وأكثرها خلوداً. ان العبارة الاخيرة تستوقفني طويلاً. ويخيل الي دائماً استناداً الى تجربتي في الاطلاع على النتائج الادبية الجيدة وتجربتي مع الحياة نفسها ان هدف الادب ايضاً هو ايجاد اسلوب بسيط يحبه ويستسيغه الجميع ويكون في نفس الوقت اسلوباً عميقاً قوياً وخالداً.

البساطة العميقة هي سر نجاح أي عمل ادبي. ويمكن ان نطلق على هذه البساطة صفة اخرى فنقول البساطة المستحيلة تلك البساطة التي تتجلى في شعر ناظم حكمت وفي شعر وران في اواخر ايامه. او في رواية الدون الهاديء لشولوخوف وفي ملحمة لأمش ومزامير داود ورباعيات الخيام وادب تشيخوف.. الخ! بل واتصور ان الحياة اليومية الجيدة والسعيدة هي ذلك النمط البسيط الذي يوفر للجميع الراحة والطمأنينة مع توفير اوسع الفرص للتمتع بساعات العمر المهدودة. ان حياتنا مثقلة بقيود وتقاليد واعتبارات وآراء ومعتقدات سخيصة ندفع ثمنها باهظاً للتخلص منها شأنها شأن القيود والتزويقات التي تكتنف اساليبنا التعبيرية. فالحياة والفن يتبادلان التآثر والتأثير تبادلاً حياً وخلاقاً ومستمرأً.

صوت

العدد (١٠٥٣) الثلاثاء ٦ حزيران ١٩٧٢

لأحد الحلاقين فلسفة تقول:

- الحياة تافهة.

وحين أسأله: لماذا؟

يقول: -ننهض من النوم نأكل ونشرب ونعمل حتى نتعب ثم نعود وننام فننهض وهكذا، اليس هذا التكرار مملاً؟

واسأله سؤالاً آخر: عمّا قد يحزر حياتنا من التافهة فيقول: لا ادري!

ولايزعم الكاتب انه يدري الجواب كاملاً. بل ان الكاتب غالباً ما يشعر بتفاهة الحياة ولكنه من الجهة الاخرى يدرك ان ذلك غير صحيح وان في الحياة متعة وجمالاً. ويحق لنا تأمل هذه الاسئلة في هدوء: هل ان النوم والأكل والشرب والمتعة الاخرى مملة وتافهة أم اننا نحن نشعر بذلك؟ اليست هذه هي الامور الأساسية في الحياة؟

فهل الشعور بهذه التافهة والملل ناتج عن طبيعة الحياة نفسها أم عن خلل ما في تركيبنا الاجتماعي والنفسي وتكويننا الذهني؟ اليست تصوراتنا المشوهة وافكارنا الموروثة وعاداتنا هي التي تفقدنا لذة التمتع بالحياة الاعتيادية؟

نحن نزعم اننا نناضل من اجل مجتمع أحسن. ماهو المجتمع الاحسن هذا؟ اليس هو نوماً أهناً وأكلأ الذ وامتعاً اوفر وطمأنينة؟ نحن نناضل -اذن- من اجل تحسين وسائل المعيشة ومن اجل التلذذ بالحياة، التلذذ بنفس الاشياء التي نبرم بها الآن. اظن ان اجوبة هذه الاسئلة تدخل في باب -فن الحياة-^(١) أي اننا في حاجة أشد الى تعلم نمط حياتي ارقى وأرحب وأكثر دعة وطمأنينة والسؤال الاخير هو: كيف نحيا؟ هل نتمتع بكل ما في الوجود من متع بسيطة واعتيادية أم نهرب نحو عالم سرايبي لن يقدم لنا جواباً عن أي سؤال؟

(١) فن الحياة هو القانون الأساسي الذي نتجاهله بغباء.

صوت

العدد (١٠٥٤) الاربعاء ٧ حزيران ١٩٧٢

حكاية..

كانت في القرية ارملة لها احد عشر ولداً أكبرهم في الثامنة عشرة واصغرهم في الثانية. وكانوا يفترشون الحصران لفقركم. واثنان منهم ينامان في جوال^(١). واذا جاعوا ارسلت الأم الصغار الى بيوت الاقارب والجيران وعاد كل منهم بغرض معين، هذا بالخبز وذاك بالبرغل وغيره بالدهن. واستمرت حياة الضنك والشقاء الى ان صار اكبرهم مزارعاً اجيراً والاصغر منه جوالاً^(٢) للقرية. كان الجوال نصف معتوه ويتلعثم سماه الناس -جني- لأعتقاد الناس ان به جنناً. كبر -جني- واصبح مزارعاً اجيراً ثم اصبح جندياً. وبعد الجندية (الخدمة العسكرية) تزوج ابنة عم له حاولت جهدها ان تعلمه. لكنه ظل يتلعثم ويتعقر في كلامه. ركب معنا يوماً في القطار فتناول منه أحد الاصدقاء تذكرة سفره وقال مداعباً:

- أه! جني! تذكرة سفرك نسائية وليست رجالية! انظر! بينما نذاكرنا كلها رجالية اليس ذلك معيباً يا جني؟
غضب جني ودق تحت القطار بقدمه مهدداً مأمور المحطة منذراً اياه بابشع مصير. لماذا ناوله تذكرة سفر نسائية وهو من امرأة.
كان في القرية رجل ظريف يردد دائماً:
- سيعاقبنا الله لأننا نظلم النساء! انظروا! حتى -جني- قد تزوج. ليس جميع الرجال يستحقون الزواج من نساء!
ومرت سنوات قرأت بعدها ما كتبه نيتشه عن جنس بشري اسمى عن طريق منع المعتوهين والمرضى والمجانين من الزواج ورحمت اتساءل:
- هل كان ذلك القروي الظريف هو نيتشه نفسه بعد ان ولد في قريتنا بالتناسخ!

(١) كيس يصنع محلياً من الصوف وشعر الماعز لأحتواء الحبوب.

(٢) راعي بقر حسب تعبير القرويين في الحويجة بكركوك.

صوت

العدد (١٠٥٦) السبت ١٠ حزيران ١٩٧٢

حياة.. وحياة

من الثابت ان الانسان هو اشد المخلوقات حاجةً الى الرعاية والعناية في طفولته. فكافة صغار الحيوانات الاخرى تنشأ وتنمو وتستقل سريعاً وتحتاج الى عناية بسيطة ولدة محدودة جداً كي يستقيم عودها وتقوى على اعاشة نفسها. الا الانسان الذي يحتاج الى وسط طبيعي واجتماعي معقد جداً بشروط لاحصر لها من مسكن متميز وادوات ولوازم وغذاء ولباس اضافةً الى العلاقات الاجتماعية والمؤسسات واللغة والفن.. الخ!

والمجتمع البشري بصورة عامة مازال متخلفاً عن توفير الاجواء الطبيعية الملائمة لنمو الانسان نمواً متناسقاً طبيعياً ذلك لأن شروط حياته الراهنة مازال ناقصة وتعوق مثل ذلك النمو. فكم نحن متخلفون عن عالم الطبيعة عالم الاحياء الاخرى؟ ولعل النباتات اكمل منا نمواً من هذه الناحية لأنها تتغذى وتنمو وتعيش ذاتياً.

ومن اجل الطفل وحده أو من اجل الانسان في الطفولة تنمو حضارتنا المعقدة. ومن أجله ايضاً ينشأ هذا التشابك في العلاقات والصراعات.

بل ويمكن القول ان الانسان ما يزال في طفولة حياته الطبيعية متخلفاً عن مملكة النحل والنمل وعن النباتات ايضاً. وبعبارة اخرى انه لم يستطع لحد الآن ان يتكامل كالأحياء الاخرى فينمو ويشب بصورة طبيعية متناسقة.

ثم.. هل هناك غاية ما وراء تكامل الحياة سواء حياة الانسان او حياة الأحياء الاخرى؟ اظن، لا! فالبعوضة لم تضع لنفسها اية غاية لأنها غير عاقلة. ولا اظن ان الانسان نفسه مهما بدا عاقلاً يستطيع أن يزعم ان هناك غاية معينة يسير نحوها.

(باستثناء حاجاته الغريزية المباشرة).

صوت

العدد (١٠٥٧) الاحد ١١ حزيران ١٩٧٢

ان لم يكن هناك ما فعله فاركب الجدران وغن

كان في القرية رجل كسول خامل رغم بنيته القوية. تزوج وولدت له ثلاث بنات. ومع ذلك ظل كسولاً يعتاش من كد زوجته وبناته اللاتي كن يصنعن السجاجيد والجواريب الصوفية ويعملن في المزارع لقاء اجر. اما هو فبقي يمارس هوايته المحببة: ركوب الجدران والغناء، كان يطرب الجيران والجارات ويتلو قصصاً فولكلورية بصوت مؤثر ويتعلق حوله الاطفال. فاعتادت القرية ذلك ولم تعد تفتاظ منه لعلها انه لن يكلف نفسه عناء النزول الى دور الجارات! وكان يهمل نفسه الى حد فظيع ولعله كان يتلذذ بمثل هذا الجو المثير من الكسل والاهمال والخمول. ولم تظهر عليه يوماً علائم الغضب والسخط من تعليقات الرجال وسخريات النساء ولا من احجار الاطفال وهم يلهون حوله! ويمرور الايام راح معظم صغار القرية يقلدونه وصار ركوب الجدران هواية. وفي لحظات معينة من كل يوم كان يستغرق في تأمل عميق يستفيق منه قائلاً: متى يطير بي الجدار؟

كان موقناً انه يأتي اليوم الذي يقتلع الجدار نفسه من الارض ويتحرك مثل باخرة تشق البحر مع انه لم يشاهد باخرة في حياته! ومات الرجل الحالم بالجدار الطائر وهو يركب اعلى جدار بناه احد الفلاحين وترك حلاماً لم يتحقق لكنه منحني فرصة مشاهدة اول هببي^(١) في تاريخ القرية والعراق!

(١) نمط حياة الهيببيز بدا ينتشر آنذاك في امريكا ثم أوروبا... والهيببيز مجموعات عابثة من الشباب أناً وذكوراً، كانوا يتخلون عن التقاليد الاجتماعية وأساليب الحياة الاعتيادية ويهيمنون على وجوههم لخلقاً أحراراً من كل قيد، وأشتهروا بفن خاص بهم هو الفن الهببي (البوهيمي). أما الرجل القروي، راكب الجدران، فقد ظهر (تاريخياً) قبل موجة الهيببيين في امريكا. فهذه القرية كانت أكثر تقدماً من القارة الامريكية!

صوت

العدد (١٠٥٨) الاثنين ١٢ حزيران ١٩٧٢

احلام رضيعتي

أنت الاخرى تحلمين بسقف يأويك في كوردستان أمنة..

وحليب نظيف للأطفال.

انت الاخرى تحلمين بخبز الغد المضمون، والفجر الاكيد المثل في سلام

وانت الاخرى -رضييعتي تكسين الدار كل صباح لعل نوروز يحل ضيفاً

فجأة..

نوروز في قيظ الصيف؟ وهو الذي اعتاد المجيء من بلاد الثلج والزوابع في

الربيع؟ لماذا لا؟ تحلمين بنوروز..

تنتظرين نوروز الذي يحضر فلا يرحل بعد يومين بل يحل ساكناً في القرية.

يحصد صيفاً

يمطر خريفاً

يدفيء شتاءً

يفني ربيعاً

ويظل طفلاً كوردستاني الملامح

وانت.. انت الاخرى -رضييعتي- تحلمين بنوروز الطفل..

نوروز الحياة والفرح والطمأنينة.. الطمأنينة.. الطمأنينة..

صوت

العدد (١٠٥٩) الثلاثاء ١٣ حزيران ١٩٧٢

مع الشعب مع الحياة..

يعجزون عن التعبير.. السنتهم معقودة.
لم يعيشوا في الجذور. لكن العامل يعرف كيف يهتف للوطن بصدق وبساطة
حين يستعيد ثروته المسلوية فيصير سيد الارض.. والفلاح يدهن منجله ويقول:
- هاه.. يا سنابل الخير أن لك ان تستسلمي لعناق المنجل^(١)..
اما الادباء والفنانون والمثقفون.. فحاثرون مع زوربا وكافكا وبروست
وسارتر.. ويتهامسون:
- كيف نعبر؟ ماذا نقول؟ بماذا نهزج؟
هذا عقاب من ظل متنفخاً على السطح.. فمن يعيش في طراوة الجذور يفهم
تلقائياً لماذا تذبل اوراق وتخضر اوراق..
ولماذا تنمر اشجار وتيبس اشجار..
ومن يعيش عند النبع يفهم جيداً لماذا تنضب انهار وتفيض أنهار...
من يعيش مع الشعب يكن مع الحياة دائماً..
لكن.. لن نحتاج الى نظريات كثيرة ورؤى معقدة وتصورات نهلستية كي نكون
مع الحياة..

انها ابسط من كل ذلك واعمق في آن واحد..
يكفي ان نحب الناس صادقين كي نكون مع الحياة تلقائياً بلا ادعاء او انفعال..

(١) كان الفلاحون، وهم يحصدون يدوياً، يضعون بعض الدهن الحيواني على نصل المنجل ويشحذونه بحجر من صوان. وكانوا يشعلون السجائر أو مواقد الشاي بجذوة من عشب متيبس تنشأ الجذوة عن احتكاك قطعة صوان بقطعة حديدية صغيرة... وهي طريقة لأشتعال النار منذ عشرات آلاف السنين. اذ بينما كنا في هامش لتأريخ ما قبل آلاف السنين، انتقلنا فجأة خلال عقود إلى القرن العشرين!!

الفصل الرابع عشر

الشاعر

صوت

العدد (١٠٦٠) الاربعاء ١٤ حزيران ١٩٧٢

الجائزة قيد!

انتحر الكاتب الياباني ياسوناري بعد نيل جائزة نوبل بمدة..

لم يفعل ذلك عن ضجر -هكذا قالت زوجته..

بينما يقول النقاد انه لم يكتب شيئاً منذ نيل الجائزة..

واضاف آخرون:

- لم يكتب شيئاً شعوراً منه بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه بعد نيل

الجائزة..

هل الجائزة قيد؟ وهل ان شعوره بالقصور والعجز عن اثبات الجدارة بنيلها وخطه من ذلك هو الذي دفعه الى الانتحار؟ هل اعتبر نفسه متطفلاً؟ أم أن رقة احساس الفنان فيه واكتفائه بما عاش -كما كتب فنان منتحر آخر- هما وراء انتحاره؟

نتساءل: اذا كان الخجل من عجزه عن الانتاج وتوقفه وركوده هو الذي اورده مورد الهلاك.. فماذا يقول عن انفسهم اولئك الذين لم ينتجوا أي شيء اطلاقاً ويعيشون طفيليين على شجرة الحياة، شجرة انتاج الناس؟ وبماذا يشعر اولئك الذين يغتصبون ثمار جهود الآخرين بلا أي خجل ويظنون مغتصبين اياها في عناد طفل اناني مدلل؟

واذا كانت الجائزة قيداً في روح اديب فنان فماذا يقول عن انفسهم اولئك الذين ينسبون لأنفسهم ما لهم وما ليس فيهم ويسرقون عناوين الآخرين؟ وهل الادباء والفنانون محكوم عليهم بجنون الاقتحام.

وحمل الكفن في كل لحظة ليكتبوا بمصائرهم ما ينبغي ان يقرأه الناس ليس في كتاب بل في لوحة استشهاد حية تحت ضغط الضمير اليقظ المتوهج؟..

صوت

العدد (١٠٦١) الخميس ١٥ حزيران ١٩٧٢

الكاتب.. من نتاجه

قرأت عبارة تقول:

- ان النتاج وحده هو الاساس في تحديد هوية الكاتب. ويقصد بالهوية هويته
الطبقية.

فلكي نعرف من هو هذا الشاعر او ذاك ينبغي ان نفهم شعره الذي ينضج
بجوهر اصله الاجتماعي وموقفه ونظرتة الى العالم.

فالزارع الجيد يقدم نفسه من خلال مزرعة منظمة ووفرة الثمار والبناء الجيد
يعلن عن نفسه بمتانة وجمال ما يبني. وعملية الخلق الفني هي فعل بشري مثلها
مثل البناء والحرث والسمكرة. وهنا لابد من التمييز بين الاخلاق بمفهومها
العامي الشائع وبين اخلاق العامل المنتج النشط في أي حقل من حقول العمل
والمعرفة والفن. ان اخلاق العمل الثورية هي الضبط والمثابرة والتضحية من اجل
تقديم أحسن وأدق ما يمكن وبأسرع وقت سواء كان ذلك نتاجاً فنياً او انجازاً
سياسياً او اجتماعياً أو صناعياً. ان الحياة تعبر عن نفسها من خلال الفن
ولايمكن للأنسان ان يكذب حين يقدم فنه سواء كان ما يقدمه صادقاً او مزيفاً
وجيداً أو رديئاً. فالفن -ومنه الادب- امتحان حاسم يكشف الصدق والاصالة
تماماً مثلما يكشف الكذب والدجل والزيف. فاما النتاج الصادق فيعبر عن نفسه
بنفسه. واما النتاج المزيف فيفضح الزيف من خلال عملية الخداع والغش التي
يمارسها الفنان المزيف فيصير ادانة ولا يمكن ان يمر الزيف وينجو في مملكة
الفن!

وبهذا المعنى يقال ان الانسان يكتشف نفسه في عملية الخلق^(١). الفني وبهذا

(١) يقول المفكر الفرنسي روجيه غارودي مامعناه ان عملية الخلق الفني هي إعادة خلق
الإنسان لنفسه.

المعنى ايضاً يرى الفنانون الفن مرادفاً للحرية. ونرى أن ليس هناك ما يبهر
الخوف من اطلاق اوسع الحريات^(٢) لأزدهار كافة الفنون ازدهاراً حراً طليقاً
ولعل هذه الحرية الواسعة تتيح لنا اكتشاف انفسنا باسرع مايمكن مما يغيرنا
اسرع.

(٢) كان هاجسنا الأساسي منذ الستينيات هو إطلاق اوسع الحريات، ومن هنا تكرر
هذه العبارات في الكثير من كتاباتنا، فقد كنا ندرك ان غياب الحرية هو أساس
مشكلات مجتمعنا.

حق العمل

العمل هو الشرط الاساس والرابطة العميقة التي توحد الناس وليس هناك غير العمل يمكن ان يوجد البشرية. وليس بمقدور أي حكمة أو رغبة أو حلم أو مباديء وافكار ان تحل محل العمل في هذا الدور الحاسم لتوحيد الناس سواء على نطاق القرية أو المدينة أو بلد معين أو الارض برمتها فاذا سأل سائل:

ماهو الشيء الاساس الذي يشترك فيه الناس في كل مكان وزمان؟ لقلنا انه العمل. انه الانتاج هذا التعبير الثابت عن ارادة الانسان لمواصلة تحسين حياته وجعلها أيسر وأجمل وأمتع. وأقرت المواثيق والداستير أن العمل شرف وواجب وحق. اما كونه شرفاً فهذا أمر معروف، فكل المنتجين شرفاء وبهذا المقياس يكون المتفعلون والكسالي والمستغلون - بكسر الغين- غير شرفاء.

وأما كون العمل واجباً فهذا أمر مفروغ منه لأنه جوهر العلاقات الاجتماعية واساس المتع والتنتاجات المادية والمعنوية ولكن لا بد ان نتوقف قليلاً ازاء حق الانسان في العمل^(١) اذ يبدو مجرد حق نظري في معظم ارجاء المعمورة. وحق العمل ليس مجرد حصول الفرد على عمل يعيش منه بل ان هذا الحق يعني توفير فرصة حقيقية لمزاولة الانسان العمل الذي يحبه بل ويعشقه ويجيده ويناسبه بحيث يجمع بين الانتاج الفعلي وبين اشباع هواياته^(٢).

نرى كثيراً من الناس حولنا يعشقون مهنتهم كما يعشق الهاوي هوايته^(٣). فيصدق عليهم القول انهم يعملون بينما هم يلعبون ويلعبون بينما هم يعملون هذا هو مايمكن وما ينبغي أن نطمح اليه ليكسب الانسان حقه المشروع في العمل.

(١) و(٢): هذا هو اساس نظرتي عن حق العمل... ومازال.

(٣) حب العمل، يعني الأخلاص للمهنة واتقانها واضفاء الجمال عليها مهما كانت المهنة. وهو شرط مهم جداً للفنان، كما ... لكل انسان.

صوت

العدد (١٠٦٤) الاثنين ١٩ حزيران ١٩٧٢

أمنية

تشربني الحياة ثم تقيئني نسمة وطفلاً ووردة^(١).
يحملني الموج دلفيناً ثم يغرقني ويلقي بي على الشاطيء محاراً مجهولاً..
- ايها المسافرون ابدأ..
ايها المكتشفون قارات مجهولة في الكون الأهل بالحياة
أحملوني معكم بطاقة سفر أو برقية
فأني اعشق مغامرة الرحيل في الاعماق.
والغوص الى الجذور..
اقتلوني او ستقتلني نشوتي
هذا عصر الخسارة الكبرى للمناقين وكهنة المعابد الجوف ايها العشاق.
احملوني معكم ابحر عاري العظم.
في قحفي كسرة خبز وجرعة ماء
وعلى اضلعي العارية اعلان:
- لاتطلب شيئاً ستحصل على كل شيء.
لاتملك شيئاً ستمتلك كل شيء.
اذبحوني أو ستذبحني نشوتي.
- اضربت الآلهة عن تقبل القرابين!
فأحملوني معكم عاري العظم بلا لحم. بلا دم. بلا خوف من العدم^(٢).

(١) هي دورة الوجود الشبيهة بالتقمص في كل لحظة.

(٢) وجزءاً لامرئياً من الاثير.

صوت

العدد (١٠٦٥) الثلاثاء ٢٠ حزيران ١٩٧٢

الشاعر...

الشاعر الاصيل يختصر الناس في شخصه وفي شعره وفي فكره...
كم منا تتخيل له الصور التي رسمها الشعراء؟
كثيرون بلاشك حتى اننا نهتك احياناً...
كنا نفكر بالشيء نفسه، هذا الشيء الذي عبر عنه هذا الشاعر بوضوح
وبساطة..

فالخيام يعيش في كل منا وكل انسان تراوده افكار ووساوس وتصورات
مدهشة عن الكون والحياة والموت في لحظات معينة. لكن قليلين جداً يذهبون
بذلك الى النهاية كما فعل الخيام..

جاعني اليوم شاعر كوردي مبتديء وقدم نفسه باستحياء مشوب بالأعزاز
وفتح دفترأ صغيراً يضم مجموعة من الرباعيات نظمها في اوقات مختلفة. تقول
احدى رباعياته:

- تعالوا وشاهدوا هذه المهزلة..

نحن اليوم نتنزه في منتزه

مر به كثيرون قبلنا

وسنصير نحن منتزهأ لآخرين..

قلت له: انها نظرة خيامية.. قال باعزاز انا اعمق من الخيام..

انا احب العدالة حتى انني -تصورني مجرماً حين اتناول لحماً^(١)..

قلت: وهذه نظرة تصوفية.. قال: انا اعمق من المتصوفة..

(١) التوقف عن اكل اللحوم والتحول الى التغذية النباتية كان هاجس بعضنا آنذاك
(١٩٧٢).

أحس أحياناً أنا والنمل كائن واحد بل اشعر انا النمل فترتجف من فكرة
كوني قد سحقت نملة يوماً^(٢)..
ثم قرأ لي الشاعر الكوردي الشاب رباعيات اخرى من نظمه بلغة كوردية
بسيطة سلسلة ثم سألتني: هل تصلح للنشر؟ قلت: نعم.. وسأحتفظ بأسمه ريثما
يعلن عن نفسه بنفسه كما اراد فليكن^(٣)..

(٢) الشعور بالانتماء إلى عالم واحد متنوع يضم كل الاحياء والكائنات... هو ذات شعوري وكان الشاعر الشاب يعرفني لذلك أختارني ليقراً شعره الجميل.
(٣) جاعني فجأة، مرة اخرى، عام ٢٠٠٦-٢٠٠٧ ثم اختفى ثانية. كان يريد طبع ديوان شعري له ولا أدري ما حلُّ به.

صوت

العدد (١٠٦٧) الخميس ٢٢ حزيران ١٩٧٢

لاتخجل من الحقيقة

لاتخجل من الحقيقية، فهي جميلة مهما كانت قاسية وجارحة.
أجل! هذه عبارة رائعة، احفظها. ان الحقيقة جميلة مثل الحياة.
لاتخجل وردد معي:

شربت من كل المستنقعات قبل ان ابلغ النبع العذب!

في صباي كان الخوف والخرافة والجهل والخنوع والتعاليم الصارمة التي
لاتطبق حتى اللعب الصبياني البريء، كل الاشياء مقدسة ولمسها محرم! كانت
المحرمات^(١) اسوار سجون متداخلة يقبع فيها طنطل وجحيم وجان!

وفي مراهقتي راودتني احلام ورؤى فاشية ادمر فيها واقتل واذبح الناس ما
اشاء واغتصب ما لم تسعه الارض واحرق واخرب^(٢). وكنت في احلامي فاشياً
صغيراً اما في الواقع فكنت حملاً عاجزاً خائفاً يرتعب أمام الذئاب من الفاشيين
الآخرين!

ثم تجرعت من اوحال الشوفينية والتعصب المظلم والتعقيد وارتبكت حياتي
وانقسم الناس حولي الى عشائر وطوائف وفئات ممزقة كخرق تلعب بها طفلة
لتصنع منها دمية.

وكانت دميتي كانت قبيحة دائماً. ولكن مطرقة الايام قد قتلت في اعماقي غول
الفاشية وهبت نسيمات مستمرة ولطف الجو وصفت السماء واشترقت الشمس
كما هي.

ورأيتني عارياً في حضن الحياة وتساقطت عني الاوراق الذابلة واذا بي

(١) كنا، في وقت مبكر، نسعى الى التحرر من محرمات ماتزال تعيق انطلاق الاجيال
الحالية.

(٢) تعبيراً عن ثورة داخلية تكشف عن العجز الذاتي والأزدواجية.

اصراع نفسي حيث كنت اعتقد انني اصارع العالم الخارجي. ماتت الرؤى
الفاشية واندثرت الاوهام الشوفينية والفردية والجشع وانهارت الاهداف الوهمية
وتبين ان اسمى الاهداف هو ابسطها. فسأحيا محترماً حق الآخرين في
الحياة^(٣) ولا هدف آخر يستحق العناء من اجله.

(٣) حق الحياة أهم وأول حق للإنسان.

صوت

العدد (١٠٦٩) الاحد ٢٥ حزيران ١٩٧٢

حيرة

١

تقولين: انت جواب الافاق ولست مزارعاً جيداً!
واذا نقلت الجبل -رضيعتي- وزرعت زيتوناً، فأهديتك غصناً طرياً
ونبتت لطفلك اشواق حقيقية
واذا.. حل نوروز في الصيف! هل ستواصلين اتهامي بالشروء؟

٢

اذا تهدمت المعابد
والاضرحة والدواوين^(١)
والمتاحف المنخورة
وصار المعمل محراباً
والمسرح محراباً
وايبد الخوف والتذلل ازاء المجهول المجهول
فصارت الشمس شمساً لا آلهة
والتراب تراباً لا مزاراً
هل ستواصلين اتهامي بالشروء؟

٣

- انت يا رضيعي جواب الافاق^(٢)
ولست مزارعاً جيداً!؛

(١) جمع ديوان، هو مضيف الأثرياء في القرى عادة، مفتوح الأبواب أمام كل ضيف
مسافر وغريب.

(٢) ... ففي النهاية هذا هو جواب رضيعتي.

صوت

العدد (١٠٧٣) الاربعاء ٢٨ حزيران ١٩٧٢

لن تبني النحلة الواحدة خلية ما لم تنضم الى جموع العاملات النشيطات.
والوردة الواحدة لن تمنح عسلاً لذيذاً.

اما العسل اللذيذ المعطر فينتجه كل النحل.

العامل النشيط

المنتشر في الحدائق الغناء

على كل وردة من كل لون.

هذا عصر العمل الجماعي^(١)

لن تبني فيه النحلة الواحدة خلية كاملة.

هذا عصر انهيار الحياة الفردية^(٢)، رغم التكاليف الموقتة على النمط الفردي للحياة. ان هناك ما يشين وهو التلذذ الفردي الاناني بالحياة في خضم بحر الحرمان واللاطمأنينة.

فالوتر الواحد لا يطلق لحناً جيداً

ولا يستطيع أي مواطن -مهما كان- ان يوصل الكهرباء الى داره بمفرده

مهما كان عظيماً كهرقل أو جيمس بوند!

وهذا الصوت^(٣) سيخنقه الضجيج والضوضاء الفوضوية ما لم يندمج مع

صوت الحياة العميق

صوت الناس المنتجين في كورس واحد.

(١) العمل الجماعي ... بالمفهوم الاجتماعي - الأشتراكي.

(٢) إلا ان الحياة الفردية أصبحت الآن (٢٠٠٩) اساساً للحياة الاجتماعية، حيث يسعى

الأحرار إلى تجسيد استقلال الشخصية الفردية، أو الشخصية المستقلة الحرة.

(٣) أعني به صوتي، حيث كنت آنذاك أحرار عموداً صحفياً يومياً تحت عنوان (صوت).

صوت

العدد (١٠٧٤) السبت ١ تموز ١٩٧٢

ما قيمة شيء أن لم تره في حينه؟

افلام الكارتون فن رفيع ممتع يلتذ به الكبار قبل الصغار ويتضمن قوة احياء كبيرة كامنة في تلك الحركات الرشيفة والقصص الفولكلورية الشفافة المضمون والمرح الذي يميز الطفولة واحلامها الملونة.
في فلم كارتون سوفيتي يسير قطار بعربات وركابه تقوده قاطرة ضاحكة مرحة تتوقف لتشم باقة ورد. ينزل الركاب يسألونها عن سبب التوقف فتقول القاطرة:

- ان لم نشم اول ورود الربيع فاتنا الربيع كله.
ثم تتوقف عن بلبل يصدح بشدو شجي فتستمع اليه تاركةً العربات بركابها.
فينزل الركاب برمين: تأخر بنا الوقت. هيا بنا.
فترد القاطرة قائلةً: ان لم نستمع الى اول بلبل صдах في مقتبل الصيف لم نعرف الصيف ابداً.

يرقص الصغار على تغريد البلبل فترقص العجائز ايضاً.
ثم نتوقف القاطرة عند الفجر وتتأمل بزوغ أشعة الشمس التي تظهر في اشكال حوريات جميلات وتشرق الشمس. فتقول القاطرة المرحة لركابها:
- ان لم نر فجر الخريف وشروق شمس ما عشنا خريفاً قط.
قال الركاب: الا اننا تأخرنا. كان عليك ان تتأمله في وقت آخر.
قالت القاطرة: ما قيمة شيء أن لم تره في حينه؟

صوت

العدد (١٠٧٦) الاثني ٣ تموز ١٩٧٢

لننقذ انفسنا من الوحل!

أكثر ما تثيرني الثرثرة غير المسؤولة لأولئك الذين لم يروا يوماً ما كيف يموت الانسان الذي حطموا له جمجمته ولماذا قتلوا أمه بوحشية أمام عينيه. وأشد ما يثيرني عندما يدعو هؤلاء المتضلعون: أه! لاتلخ الأدب بتصوير تلك التفاصيل الفظيعة. ان الادب مسألة مقدسة! أه! التفاصيل لاتملك أية أهمية امام وجه الخلود!

هذه الثرثرة بالنسبة لي ليست الا نذالة لأنني ككاتب لا ارى امامي بالدرجة الاولى الا الانسان والا معاناته. لاجود لأي خلود اطلاقاً يمكن أن يكون أكثر أهمية من حياة الانسان، أكثر أهمية من مصيره، أنني ابصق على خلود كهذا يصمت امام الارهاب.

بهذه الروح كتب -امادو^(١)- روايته المعروفة -ارض ثمارها من ذهب- التي تسود تفاصيل -قضية- عن حياة ونضال المزارعين الفقراء والعمال في مزارع الكاكاو الاصفر والصراع الدائر بينهم وبين الشركات الاحتكارية التي جاءت لتبتلعهم واحداً أثر واحد.

ونلمح في الرواية ذلك المخاض العنيف الذي تلد به طبقة جديدة.. وتنبت اشتال جديدة في مستنقع الاستغلال وكأن طريق الخلاص هو الانخراط في النضال الثوري ضد الاستغلال والجشع لذلك راح -جواشيم- يجمع صفوف العمال العاطلين الجياع لتنظيم قواهم وتوجيهها هذا هو معنى الانقاذ من الوحل كما اراده البطل، فيقول -امادو- في هذه الزاوية:

- ليس ثمة تراب طيب وآخر عاطل. فالتراب سواء والمهم هو ان نخرج من الوحل الذي يحيط بنا-.

(١) كاتب كبير من أمريكا اللاتينية.

صوت

العدد (١٠٧٧) الثلاثاء ٤ تموز ١٩٧٢

الحلاج

وأنا على عتبة المدينة قالوا لي:

- هويتك!

ابرت لهم وثائق عديدة فهزوا رؤوسهم رافضين. وكرروا الطلب:

- هويتك! هوية عدم التعرض.. اجبت بردود عديدة.. وظلوا يلحون الى ان

لكزني أحد الركاب قائلاً:

- ابرز لهم وثيقة النفاق!

- ماذا؟

- وثيقة ممارسة المهنة.

- أية مهنة؟

- النفاق!

- آه! فهمت. كان الماء ثم اليابسة.. ثم الحياة.. فالوعي.. فالنفاق!

- والآن فهمت جيداً.

- لكنني لم ابلغ المرحلة الاخيرة للأسف.

- محظور عليك دخول المدينة بلا وثيقة ال...!

- اذن! سأظل هنا..

- سيصلبونك يا مجنون!

- يحيا الحلاج!

صوت

العدد (١٠٧٨) الاربعاء ٥ تموز ١٩٧٢

نقاط ملونة على جبين المدينة

١

من المنغصات ان يطول انتظار سيارة أو باص والريح السموم تلفح وجنتيك..
ومما يخفف الألم ويسكنه هو عدم انقطاع سير السيارات وقد لا تكون
السيارة القادمة تلك التي تنتظرها الا ان مجرد قدمها يجدد املك بأن تكون
سيارتك المطلوبة.

فالمهم هو ان تظل المسيرة متحركة الى امام وان لا ينقطع السير.. فالسيارة
المطلوبة آتية بلا ريب.. ولن ينضب نبع التفاؤل والخير ابداً طالما ان الحياة دائبة
الجريان.

٢

اصدقائي الذين يسافرون الى أريس يعودون ليحكوا لي عن الصبايا
والصبيان باعة الورود الذين يرغمونك على دفع اثمان زهيدة مقابل باقات نضرة
يقدمونها..

وفي بعض شوارع مدينتنا قد يشتد بك العطش وانت في انتظار سيارة
فيرغمك صبياننا وصبايانا على دفع نقود من فئات اله فلوس مقابل -طاس-
ماء.

انهم باعة الماء البارد في سطول مكشوفة.

والماء في الصيف أهم من الورد..

وان لم يكن هناك ما تعمله فزاول مهنة بيع الماء.

٣

يقول -ناظم حكمت-:

وهكذا

أينما يكن الإنسان

ومهما تكن ظروفه

يجب أن يحيا

كأنه لن يموت أبداً.

الفصل الخامس عشر
مجانين في أجازة

صوت

العدد (١٠٨٠) السبت ٨ تموز ١٩٧٢

محاربة الزيف مهمة وطنية

للمرة الثانية يقول لي قاص كوردي: لن اكتب عن الوطنية بعد اليوم! ولا عن المباديء او المثل! كل شيء عبث.. والزيف يخنقنا..
وقال اديب شاب صاعد: انا قروي ساذج جئت المدينة فصدمني الزيف. لكنني لم ارضع النفاق بعد.. وانا الآن حائر لا ادري ماذا اعمل..
وقال لي مثقف آخر: امامك خياران كي تجتاز احوال المدينة.. اما ان تنعزل نهائياً او تتعاطى النفاق. ففي الحالة الاولى يمكنك الانعزال بطريقتين اما الانخراط في صفوف العمال والفلاحين وبسطاء الناس مباشرة او اختيار سبيل المتصوفة. والا فالمدينة ذات القيم البرجوازية (الأنانية) تطالبك بوثيقة النفاق.. هوية مرور! ان هؤلاء الاصدقاء حائرون، يقول احدهم: اضاعتني المدنية!
لكن هل من الضروري ان ينجرف المرء في احوال المدنية؟ أم ان للمدينة وجهاً آخر أجمل؟

هناك شريحة من المجتمع تتعاطى الزيف والنفاق.. وانتقلت اوساخها الى الوسط الثقافي بوضوح. فعدت محاربة الزيف مهمة وطنية. وواحدة من مهماتنا الفكرية هي فضح التشويهات التي يعاني منها الفكر والتقاليد النضالية بأسم نفس الفكر ونفس التقاليد.

ومهما كان.. ومهما يكن..

ينبغي ان ننحاز الى الجانب الآخر للمدينة.. ضفتها الخضراء الوارفة.. ضفة النضال والصدق والديمقراطية والسلم..

فاذا لم اكن انا صادقاً.. واذا لم تكن انت صادقاً.. فكيف ينتصر الصدق^(١)؟ وكيف تنصر الحقيقة؟

(١) استناداً الى الحكمة المتداولة.

صوت

العدد (١٠٨١) الاحد ٩ تموز ١٩٧٢

الفراغ - السجن في حياة المرأة

في جلسة عائلية شيقة -ضمتني وعوائل صديقة- جرى حديث عذب لفكر منفتح ظل احد اصدقائي خلاله يحث زوجته على الانخراط في عمل نسائي اجتماعي او ثقافي او سياسي وذكر انه التقى بزميلات دراسة قديمات دخلن الحياة الجامعية بعد سنوات طويلة من العمل في التعليم وذلك هروباً من الفراغ الذي عبرن عنه بأنه سجن! اجل! بعض الفراغ سجن.. والطاقات الهائلة لنساننا مكبوتة.. تغرق في الفراغ والكسل والترهل!

يجرني هذا الى ما جرى أمس في حافلة -باص- صعدت اليها شابة مملوءة صحة ونضارة ووقفت مع الواقفين.. وطلب مني صديق -كان واقفاً- ان اخلي لها مكاني، فرفضت. زعل صديقي وهمس قائلاً:
- وكيف تدعي الدفاع عن حقوق المرأة.

قلت له بصوت مرتفع كي يسمع بقية الركاب:

- عزيزي! انا اعترف بحق المرأة في ان تقف قوية مع الرجل وبجانبه. وان تعاني مثله وتتحمل الحر ووجع القدمين، ولكن وقوفي لهذه كي تجلس هي يدل على اعترافي بضعفها وعدم قدرتها على التحمل مثل الرجال الواقفين.

ثم استمر الحوار بيننا، مصرأً انا على رأيي بأنني لا اعترف بحق المرأة في ان تظل ضعيفة ومتكلة على الرجال في كل شيء بل اعترف بحقها الطبيعي في ان تعمل وتتعب وتلعب وتتسلى وتتألم وتقرر وتنفذ. اما وقوفي لفتاة شابة احسن مني صحة وعافية فلا يعني سوى التقليل من وجودها الانساني ويدل على قلة الاحترام للمرأة باعتبارها كائنأً عاجزاً: لكن الفتاة لم تحر جواباً وهي واقفة كتمثال من شمع!

نعود الى حديث الجلسة العائلية هذا الحديث الذي كشف عن حالة سلبية

أخرى.. حالة هروب الإنسان من حرية. هاهي زوجة صديقي^(١) ترفض وليمة الحرية التي يدعوها إليها زوجها الذي كان يتحدث باخلاص وحب وهو يكرر:
- ليس هناك ما هو افتك بالإنسان من البطالة والكسل.
ان المرأة تتحمل جزءاً كبيراً من مسؤولية حرمانها من العمل والانطلاق والتعلم.

(١) صديق عراقي من محافظة الأنبار، كما أتذكر.

آخر حلقة من حلقات الطفيلية

فيما الناس يتحررون من اصنام اذا بهم - امام اصنام أخرى
 وفيما هم يحطمون سدوداً اذا بهم امام سدود أخرى.
 ليست هذه العملية ابدية... فحركة التحرر من ربة المجتمع القديم تتقدم من
 مرحلة الى اخرى قبل ان تبلغ عتبة ساحة فسيحة واسعة لاسدود امامها ولا
 اصنام.
 ففي خضم نضال الشعوب المتخلفة تقفز الى دفة القيادة - غالباً - فئات
 اجتماعية طفيلية تمارس كل ما مارسته الطبقات المستغلة - بكسر الغين -
 الاخرى ويتقدم هذه الفئات اشخاص مضحكون ممسوخون ينصبون انفسهم
 الهة يذلون الناس ويمنون عليهم منحهم حقوقاً طبيعية ومشروعة.
 ويقترون في منحها كاملة بل يدفعونها في اقساط حتى يزداد تلهف الناس اليها
 كما يهفو العطشان الى الماء حين يبللون شفثته بقطرات قليلة بين لحظة واخرى.
 ويحبسون عنهم بعض الحقوق والحريات عمداً حتى يسلك الناس الى نيلها
 طريق الخضوع والتملق والتمسح بالاكثاف والتمرغ في الرياء.
 وبذلك يجري تخريب مستمر للقيم والعلاقات الاجتماعية السليمة وتنشأ فئات
 اجتماعية متملقة مرائية تمنهن التطفل نمطاً للعيش وتصير وسيطاً قذراً بين
 الهيئات العليا للمجتمع وبين سائر قطاعات المجتمع المرودة.
 ويمثل هذا الوسيط القذر الخلاصة العكرة لكل الطبقات التي استغلت البشرية
 ولكل قيمها واعتباراتها المنحطة السافلة ولكنها آخر حلقة من حلقات الاستغلال
 والطفيلية^(١).

(١) هذه الفئات الطفيلية ازدهرت في العراق منذ ثمانينيات القرن العشرين وتحولت
 إلى أخطر قنبلة بشرية في السنوات الأخيرة.

صوت

العدد (١٠٨٦) الاحد ١٦ تموز ١٩٧٢

ثرثرة في القطار

كان معي في القطار أربعة ركاب يتحدثون، قال احدهم:
- أيامي كلها اعياد. انا احتفل بجميع الاعياد القومية والوطنية.. وما أكثرها!
احتفل برمضان والاضحى ونوروز، وأول أيار وعيد ميلادي وذكرى خطبتي
وعيد تخرجي من المدرسة...

تذمر الثاني متحسراً وقال:

- أيامي كلها احزان متصلة. ما ان انسى ذكرى مؤلمة حتى تبعث ذكرى اشد
المأ.. ذكرى وفاة جدتي ووفاة جدي ووفاة عمتي وذكرى رسوبي في الصف
السادس الابتدائي والنكسات التي توالى على والدي والمجازر التي تعرض لها
الناس في كل مكان وزمان ..و

قال الثالث: مشكلتي هي انني فقدت مذاق الاحساس بأي الم او فرح. بلغت
الاربعين وأنا خاوي الوفاض.. وبدأ سؤال رهيب يواجهني: ماذا اعمل ببقية
عمري؟

قال الرابع: ما ان تخطيت الأربعين حتى بدأت حياتي من جديد. فقد علمتني
حياتي الماضية ماذا اعمل ببقية عمري. ركبني الفضول فسألت رابعهم: بشرني
وعلمي ماذا ستعمل بالبقية؟

تردد وشغعت عيناه بشك مرير قديم متأصل، واومأت له بعيني ان يقول
بصراحة وليكن جريئاً وشجاعاً، فقال:

- امنح حبي للوطن، هذا الوطن الجميل في حاجة الى حبي، والشعب جدير
بأية تضحية.. بكل تضحية.. وسأكرس بقية عمري من اجل اسعاده.
صمتوا، ومضى القطار يعوي بصفيره العالي معلناً اقتراب محطة جديدة.

صوت

العدد (١٠٨٧) الاثنين ١٧ تموز ١٩٧٢

متهم

- عقد اصحابه جلسة - اشبه بمحكمة - لحاسبتها، سألوه:
- الم تساوم؟
 - ساومت تفاهات صغيرة لامفر للانسان من مساومتها كي يعيش.
 - تسمى الزيف تفاهات؟
 - لم اغازل الزيف. بقيت مخلصاً للمبدأ الرئيسي.. البحث الدائب عن الحقيقة وسط دوامة شك قاس مرير. سحقتي الشك حتى نخاع العظم.
 - هل بلغت اليقين؟ قل بصراحة. ففي محكمتنا القول الصحيح يخفف العقوبة والاعتراف بالخطأ يذهب بها.
 - ليس لليقين المجرّد محل من الاعراب. اسألوني: أي يقين حول أية حقيقة لأي شيء؟
 - نراك تتكلم بلغة جديدة.
 - هي اللغة نفسها، لغة البحث عن الحقيقة. فالحقيقة دائماً ملموسة. لقد ساومت التفاهات حيناً شأنني شأن فدائي سجين ارشى حراسه فهرب ليلتحق برفاقه في جبهة القتال.
 - رغم الفرص المتوفرة امام سقراط فإنه سقراط لم يهرب..
 - سقراط كان قد سما الى ذروة الشعور بالسعادة الرضية النابعة من شهوة الحقيقة.
 - نتهمك - اذن - بعدم السمو الى تلك الذروة!
 - استسلم المتهم للصمت اذ لم يبلغ تلك الذروة حقاً وتهامس أصحابه وهم في حيرة من امره. فتجاهر أحدهم بيده قائلاً: وما عفو مثل هذه التهمة؟
 - قال: سأعاقبكم انا ان عجزتم عن تحديد عقوبة تناسب هذه التهمة!

صوت

العدد (١٠٨٨) الثلاثاء ١٨ تموز ١٩٧٢

مجانين في اجازة!

هنا شارع الرشيد!

مرمجنون يحمل خرقة سودها السخام ويمشي حافياً ويضحك على نفسه وهو يرى خياله في مرايا الحوانيت! وبعد قليل مر مجنون آخر وفي الاتجاه نفسه يبصق يميناً ويساراً ويدمدم.
شعره الكث يغطي اذنيه وصدره مكشوف وفي يده عصا! ثم مر ثالث وفي نفس الاتجاه.

ماذا؟ هل المجانين في اجازة؟

يقول اديب -منكوب- زار الشماعية^(١) مرتين كنزِيل:

- احبهم. واشتاق اليهم الآن بعد ان تركتهم. ليتني اعود اليهم. فهم انقياء.
في عالمنا لم يبق نقياً سوى الطفل والمجنون. انا ابارك جنوني!
قلت: لكن العالم شهد مجانين مثل هتلر ايضاً..؟
قال: انه شاذ وليس مجنوناً!

المجانين انقياء! قال صديقي ذلك وسكت.

فالمشكلة هي ان المجانين والمعتوهين من أشد قطاعات المجتمع بؤساً. فهم لايقدرّون على الدفاع عن انفسهم ووجودهم والسبب بسيط. فهم لايعرفون أنهم ضحايا مجتمع معقد.. ضحايا أمراض وراثية أو أوضاع عائلية معقدة أو ظروف مأزومة.

ولكل قرية مجنونها ومعتوها.. بل في بعض القرى عديدون منهم. ومازالت أغلبية العوائل تتردد بل ترفض ارسال ابنائها الى دور المجانين وخاصةً اذا كان

(١) الشماعية: دار المجانين آنذاك.

الجنون في صفوف النساء!

وإذا علمنا ان في الشماعية وحدها مئات من المجانين والمجنونات.. فكم يبلغ العدد الحقيقي من المعتوهين والمجانين؟ ان دراسة بسيطة لأحوالهم ستفضح مدى عمق التخلف الذي نعاني منه.. فالجنون ليس نقاء كله.. بل كثير منه لطفة غار!

صوت

العدد (١٠٩٠) السبت ٢٢ تموز ١٩٧٢

المدار الاخير

طفلتي الحبيبة تلعب الآن بمرح وانطلاق.. وهي الآن قريبة مني.. قريبة جداً.
سألتها: ماذا تحبين ان تصيري؟ قالت: معلمة! قلت: لماذا؟ قالت: حتى اذا
تفوقت احدى تلميذاتي اشتريت لها لعبة^(١)!
ككل انسان تفكر في ماهي محرومة منه! لكن حرمانها أكبر من فقدان لعبة!
في اواسط ١٩٦٧ كنا نعاني من فوضى فكرية طاحنة.. كنا محرومين من
هواء نقي.. فصار كفن العلاج شراعاً لي في العاصفة. ورحت احلج..
واهتف ليوم يطلق فيه سراح الحقيقة!
كانت -حلاجيات- هي مداري الاول الذي ظلت كلمتي تدور فيه فيراها الناس
مع كل عدد من جريدة التآخي.

في العامين الاولين من صدورهما كانت -التآخي- بارجة حربية تغوص فتعوم
ثم تغوص فتحوم، الى ان غاصت طويلاً وعامت بعد اتفاقية آذار^(٢).. فعادت
الحركة الى -محلجي- الذي عشش فيه العنكبوت! وصدرت زاوية -حلاجيات-
لتحتفل بآذار ونوروز.. ثم حلقت السفينة بنا -المدار الاخير-.. وما أن حل
طوفان وارست السفينة بنوح في شاطئ الامان حتى كدت اختنق في وحل
الشغب والنفاق فسافرت بعيداً.. سافرت بهوية -ره شو-^(٣).. ولم يطل سفري
اذ عدت الى مداري الاول والى مداري الاخير. واجتمع شمل الاسرة: التآخي

(١) دمية.

(٢) عام ١٩٧٠

(٣) رهشو: أحد أسمائي المستعارة التي كنت أوقع بها زاوية صحفية يومية لفترة من الوقت.

وانا وحلجيات والمدار الاخير^(٤) في صوت واحد سيظل اغنية امل وكفاح..
وهمسة حب وصدافة وسلم.. وبحيرة حنان وصدق!!
مرحى بأصدقاء برشنتك.. مرحى بالأطفال والنضال وتموز وأذار!

(٤) تعددت عناوين الزوايا الصحفية اليومية منذ ١٩٦٧، فكانت، بالتتابع، كالتالي:

- حلجيات.
- المدار الأخير.
- صوت.

صوت

العدد (١٠٩١) الاحد ٢٣ تموز ١٩٧٢

العامل والحرف والسهر..

الحرف عامل ثوري حين يكون نظيفاً...

وقليلون هم أولئك الذين يعرفون ان وراء الحروف التنظيف عمالاً يسهرون الليل كله -بالمعنى الملموس للسهر-.. كي يخرج الحرف أنظف.

وثمة علاقة يومية -جدلية- بين العامل والحرف وتصحيح الجريدة وبائعها والقاريء، اضافةً الى الكاتب..

ومؤلم جداً أن يمر نتاج رديء نسجل خلال هذا الجهد الفكري والعسل المستمر.. فالكاتب يفكر ويسهر. والعامل يعمل ويسهر.. والمصحح يدقق ويدقق.. ليعود العامل يعيد سبك الحروف من جديد^(١). اليس جريمة ان يكون الحرف مريضاً بعد كل هذا العناء؟

يتبرم عامل -اللاينو- احياناً بسبب كثرة الاخطاء التي يكتشفها المصحح. لكن لماذا التبرم؟

فالذنب ليس ذنب المصحح.. وليس هناك مناضل واع يجب ان يعدد عيوب المجتمع ونواقصه ولنقل ان المناضل مصحح.

فالمناضل يسهر ويعمل ويضحى من اجل ازالة عيوب المجتمع وبناء حياة نظيفة.. ولن يسعد الا اذا تضاعلت هذه العيوب او زالت نهائياً.

اما من يمتهن الشماتة ويجلس ليل نهار ليكتشف العيوب فقط كغاية في حد ذاتها.. فهو مريض.. بل هو احد عيوب المجتمع!

(١) كانت الجريدة تطبع آنذاك بالانوتايب.

صوت

العدد (١٠٩٢) الاثنين ٢٤ تموز ١٩٧٢

سيظل الماء يجري

تنام الارض على الطوى
تسهر الارض في الرقص
تئن.. تموت.. تولد
وتخلو الشوارع الخلفية من اللصوص
والحراس.. والجباة..
بينما الماء يظل يجري!
يولد الحرف ثم يمحي..
وينسى..
ثم يولد حرف.. وينسى..
ويشرق شاعر ثم يغرب!
ويومض برق.. وينطفئ..
بينما الماء يظل يجري!
تموت في الجسم، الجسم الفيزيائي، والحزب،
وتنشأ خلايا جديدة
في الاحياء الفقيرة.. والقرى المظلمة..
وتثبت للكلمة اجنحة خفيفة
وتطير الاصوات في الفضاء معلنةً:
ان ولد الحلاج
واستشهد الحلاج..
لكن الماء سيظل يجري..
يجري..
ويجري..

صوت

العدد (١٠٩٣) الثلاثاء ٢٥ تموز ١٩٧٢

مصايح ملونة

١

الشمعة - وهي تحترق - لاترى مدى اضاءتها ولاتعرف كم بقي منها ليزوب.
انها تضيء ولاترى نفسها!
متى كان للمناضل ان يفكر في ذاته وهو -ذائب- في ذات الجميع!
فالذي يخوض نضالاً جماعياً منظماً يرى رفاقه اجزاء ضرورية مكملة لوجوده
فيتحرر من الوهم انه مركز الكون.

٢

هذا هو اوان الصمود امام الاغراءات المشينة.
هذا هو اوان المقاومة.. للتضحية بتوافه الحياة اليومية
التضحية بالشهرة.. باللقب.. بالمقعد! بالمديح المنسوج من لَاسْتِيك لأنه مديح
مزيف!
فالمناضل فدائي يقاوم الاغراءات في كل خندق ومتراس.
لاخيار امامه سوى المقاومة. فالعدو اللدود يكمن له في كل خطوة تحت
الاضواء الساطعة والتلميحات الخبيثة!

٣

خرج من السجن. لكن من هنا بدأت مشكلته.
اذ كيف يخرج منه السجن؟ مازال يحمله على ظهره...
يحمل زنانات ملؤها الصرخات. مازال يجر وراءه دهاليز عصور الطغاة.
وبه شوق الى ارتياد الكهوف المجهولة لبعث الحياة في الرسوم البدائية!

لذا يبحث عن مصابحه المطفأة..
عن مصابحه المسروقة في نهار،
بلا شمس!

صوت

العدد (١٠٩٤) الاربعاء ٢٦ تموز ١٩٧٢

حيرة التخلف

في محطة الباص تزاحم المنتظرون بينهم صبية عرجاء وامها -كما تبدو- وامرأة يتعلق بذيل عباعتها طفل حاف.

تدافعنا اثناء الركوب فداست قدمي قدم صبية عفواً. قلت لها:

- عفواً اختي!

لم تقل شيئاً، ولم تحتج. لماذا؟ وكررت:

- عفواً اختي!

لم تقبل اعتذاري. اذ لم تحرك ساكناً. لماذا؟

وفيما انا مندفع رأيت كهلاً مرتجف اليدين يريد النزول من نفس الباص والآخرون يزاحمون. فتشأغلت بمساعدته للوصول به الى الرصيف في الوقت الذي اندفع فيه الآخرون واحتلوا جميع المقاعد.

كنت بين امرين: اما ان اترك الكهل يسقط تحت ضغط اندفاعهم فأركض للحصول على مقعد أو أن اساعده فابقي بلا مقعد! وكثيرون مثلي يظنون بلا مقاعد تحت ضغط حاجات المتخلفين! وكان هتلر يطرح حلاً فاشياً للمشكلة وهو القضاء على العجزة والمتخلفين والمرضى لتنقية المجتمع من الشوائب:

لكن البشرية تتطور باتجاه مضاد -تماماً- لتفكير هتلر الفاشي^(١) حيث

(١) أستغل هتلر فلسفة فريدريك نيتشه حول ولادة الأنسان الأعلى فحرّف هذه الفلسفة وابرز العنصر الآري نموذجاً للأنسان الأعلى المطلوب وأطلق فكرة إبادة غير الآريين والمرضى والمعوقين... الخ! بينما كان نيتشه يستمد فكرته من النبي الحكيم زردشت الذي كان يبشر بولادة عالم أفضل على يد انسان أعلى ملائكي، وهي نفس الفكرة التي استند اليها الشاعر العظيم جلال الدين الرومي (البليخي)، مولانا... فمفهوم نيتشه عن الأنسان الأعلى كان مفهوماً سامياً نبيلاً، مناقضاً تماماً لفكرة هتلر.

يجري النضال من أجل مجتمع يوفر شيخوخة هادئة وسعيدة لشيخوخه ومعمريه
عن طريق مؤسسات اجتماعية تعتني بهم عناية كافية.. وحينذاك يتحرر الجيل
الشاب -كل الجيل- من اعباء التلخف والمتخلفين ويندفع بثبات لأحتلال مقعده
الجدير به في المسيرة!

صوت

العدد (١٠٩٥) الخميس ٢٧ تموز ١٩٧٢

رحلة الى الوطن

ينتظرني الوطن منذ الازل، منذ ان كنت خلية لاواعية
ينتظرني العشب والهواء.. والشمس.. وممشى العشاق..
فأحملني اليه -ايها القطار الحبيب-
كي ارى بساتينه وخلوة الدراويش.. ومخابي المناضلين..
وكهوفه الغامضة باسرار آلاف السنين^(١)..
عرفني بالوطن كي اعرف نفسي..
- اعرف وطنك تعرف من انت!-
احملني اليه ايها القطار^(٢)..
فانا جائع الى ثدي المرضعة!
عطشان..
لم ارتو من النبع..
جاؤوا وشقوا صدرها (اي: المرضعة الازلية) ثم ملأوا الجرح بالملح.. وأصبح
الحليب علقماً..
سلخوا المرضعة وسكبوا حليبها على الصخر
تركوني أهيم جائعاً عطشاناً..

-
- (١) كهف شانغ دري في منطقة بارزان مشهور في التاريخ الأثاري المعاصر باعتباره كان موطناً لأنسان النياندرتال قبل مايقرب من خمسين الف عام، كما كشفت التحريات.
- (٢) كان خط القطار من بغداد يربط قرينتا بمدينة كركوك وطالما سافرت بهذا القطار العتيذ، الذي الغوه منذ ثمانينيات القرن العشرين.

فأحملني ايها القطار الحبيب..
ازور ضريحها والسادن المؤرق والرعاة..
واقبل عتبة المنزل الاول واسجد خاشعاً للوطن..
ابتهل:
ضمني اليك بقوة ايها الوطن الحبيب.
هأنذا عائد اليك تائباً!
أمين..

الفصل السادس عشر
سيظل الماء يجري

صوت

العدد (١٠٩٦) السبت ٢٩ تموز ١٩٧٢

ارى وردة قانية متفتحة بلا ضجيج

تكشف عن جمالها بلا اعلان
وتحيا بلا وصاية،
وعلى الساقية بستاني يدخن
وأمامه بركة ماء آسن
يعكس السماء والشمس
كل شيء هنا ساكن..
الوردة والبستاني والماء والشمس..
بينما في اعماق كل هذا حركة دائبة لاتكل
ستصير الوردة بذوراً
ويولد للبستاني طفل جميل..
ويتبخر الماء ويطير غيمة بيضاء ناصعة تسابق البواشق
ثم يعود كل شيء الى ما كان:
بستاناً ووردة وبستانياً وماء..
وحركة الحياة لاتكل
حركة الحياة لاتسكن ابداً ابداً..
ان ماهو ساكن في ظاهره
ينتظر ميلاده في شوق.

صوت

العدد (١٠٩٧) الاحد ٣٠ تموز ١٩٧٢

ضحية

يلعب غصن التوت الطري
والاغنية في قصب الراعي يصيح في الغنم
وينحسر الماء عن العشب والحصى
ويلتم الناس حول الضريح
المعلقة به شفاء العذارى والاكف المعروفة
الملطعة الجدران بالأكباد والاصابع الخائفة..
وعلى صدري يبحث غراب عن الفطر
جثتي على ضفة النهر
تغسلها عجوز وتسليخ جلدي..
تصنع منه منخلاً
تنقل به ماء حتى يمتليء الحوض
- هذا شرط الغول للأفراج عن ابنها الوحيد^(١)-
الغول يسخر منك، فالمنخل لن يحمل ماء
ولن تملأ حوضه
تحرسه حسناء خائفة
وترش وجهه برذاذ العطر..
الغول يسخر منك..
حتى آخر الدهر

(١) حكاية كوردية قديمة عن غول يختطف الأبن الوحيد للعجوز، فيشترط عليها ملء الحوض بنقل الماء اليه بالمنجل، وهو شرط مستحيل، لأن الماء لا يمتلأ بالماء أبداً.

-حتى ظهور المنتظر-
تذبحيني بلا جدوى
تملأين جلدي تبناً وتراباً
وابنك الوحيد يظل حبيباً
يسمونه الغول، يتعشى به المساء..

صوت

العدد (١٠٩٨) الاثنين ٣١ تموز ١٩٧٢

حلم قديم

من أي كون جاءك النداء الحميم؟
أية ريح بثتك صوت الالهام والبشرى؟
يا طفلة الحنين الى حلم غامض مجهول
وردي الجناحين
أخضر العينين
أصفر الريش
احمر المنقار
عذب اللحن
يا طفلة الحنين.. في أي رحم طاهر
تناسخت فيك الاشواق
وأتيتني تناغين روجي العطشى
توقظين في مهد النبوءة حلماً قديماً
حج اليه انبياء
ارق فيه عشاق
وسار اليه دراويش
ورحالة وشهداء
يا طفلة الحنين..
يا نداء الرحيل المجهول

صوت

العدد (٩٧٢) الاربعاء ١ آذار ١٩٧٢

قرر ان يعيش

لعله من السخف ان يقول قائل:

قررت ان اعيش

لكن هذا القرار ليس سهلاً بالنسبة الى انسان قلق يعاني محنة الوجود: ان يكون او لا يكون.

هو بعيد عن الانتماء الى القوى الفاعلة خالفة العصر خالقة الحياة لكنه في واقع عيشه ينتمي الى الطبقات الكادحة التي تعثر على القوت اليومي بصعوبة. فتكاد قدماه غائصتين في وحل الفقر والبؤس والاستغلال اما افكاره -والأصح اوهامه- فتحلق في سماوات التفكير البعيد القرار: هل تستحق الحياة ان تعاش؟

فتعقدت نظرته وغامت رؤاه وتألّبت على ضميره وخزات وآلام حادة: فمن ناحية هو يعيش آلام الكادحين ومن ناحية هو يعيش غيبوبة المثاليين فسقط صريع حيرة ودفغته الى التفكير بالانتحار. اجل!!!

لا؟ اليس التناقض بين واقعه واوهامه من العمق بحيث راح يعجز عن ردمه؟ وفي اللحظة الحاسمة رأى أن الحياة هي الاساس. لأن الموت يتقرر بالحياة وليس العكس. لا وجود للموت بدون حياة. فمن السخف القول ان لا حياة بدون موت. لأن الحياة لم تنبثق من الموت. بل ولدت من اللا حياة من اللاعضوية. وهذه غير الموت غير التحلل.

وكذلك فالشمس هي الاساس وليس هناك ظلام الا بسبب النور تماماً كما ان العمى يوجد بسبب اننا نبصر فلو كنا جميعاً عمياناً لما عرفنا العمى. انقذته هذه النظرة الجديدة فقرر ان يعيش لأن للموت طرقاً عديدة جداً يمكنه ان يسلكها ليدق عليه بابه فلا حاجة الى استدعائه. لكن هذه النظرة تظل قاصرة لأنها تقدم خلاصاً فردياً وحتى هذا الخلاص الفردي غير ثابت الجذور.

صوت

العدد (٩٧٦) الاثني ٦ آذار ١٩٧٢

غسلاً للعار

(كان منطوياً على نفسه يتغذى بأوهامه الذاتية ولا يمد يديه الى العالم الخارجي الا بقدر ما تتطلبه مستلزمات اشباع حاجاته الضرورية).

بهذه العبارات يبدأ أحد الاصدقاء كتابة خاطرة يومية له ثم يضيف:
- شق شرنقته وفتح عينيه وتساءل: اين انا؟

الاحجار ملفعة بالعار حيث قتل خَلْفَها فلاح اعزل واحترق بيدر والاشجار لاتثمر بل تذبذب خجلاً من العار فقد تدلت منها حبال لفت حول اعناق ثوار وصنعوا من جذوعها اخشاب مشانق تقطع الدماء عن ادمغة فدايين ومناضلين شجعان. والحيطان ملوثة حيث اتكأ على جذعها جائع ومناضل متعب طارده طوال عمر.. اما الشوارع فهي سجل للعار.. للمجنزرات تهشم الاشلاء وللأقفاص تحمل الاسرى والمعتقلين الى السجون ولخراطيم المياه والغازات والرصاص والجرحى ولافتات المتظاهرين الممزقة.

اتسعت حدقتاه ومزق الشرنقة وقرر ان لاسبيل الى غسل هذا العار سوى باللجوء الى مسيرة الكفاح من اجل غد أفضل للبشرية جمعاء).

انتهت خاطرته اليومية. وهي كما يتضح كلمات شابة مندفعة تحاول ان تستوعب بعض ظواهر عصرنا حيث الكفاح والمقاومة على امتداد خنادق الشعوب المناضلة ويحاول ان يطرح مفهوماً جديداً للعار. فالعار هنا هو الاستغلال والاضطهاد الطبقي والعنصري والفقر والتخلف وخنق حرية الفكر ومبادرة الانسان والسبيل الى غسل هذا العار هو الانتماء الى المناضلين وليس ذبح المرأة من الوريد الى الوريد!

ان عار التخلف والاستغلال والاضطهاد الطبقي والعنصري والقومي هو العار الأكبر الذي يضع بويضات كل ما هو مألوف ومعروف عندنا من عار وماهو غير مألوف ايضاً.

صوت

العدد (٩٩١) السبت ٢٥ آذار ١٩٧٢

الدجاجة من البيضة!

هل نحل الحزورة القديمة:

الدجاجة من البيضة أم البيضة من الدجاجة؟

حسناً! ان الدجاجة من البيضة لأن الدجاجة هي البيضة وهي مكتملة ناشجة شائخة ماضية نحو الزوال. بينما البيضة هي الجنين. هي الاصل.. والجزر فالبيضة هي خلية. وفي البدء كانت الخلية الواحدة ثم الاحياء المتعددة الخلايا. ولما كانت الخلية هي الاصل والجزر. فالبيضة هي التي كانت اولاً ثم كانت الدجاجة.

لكن فلاحاً كوردياً يطرح المعضلة بشكل آخر أكثر واقعية ودلالة، ففي رأيه أن حقوقنا القومية المهضومة في اجزاء كوردستان الممزقة هي بمثابة بيض في بطون دجاجات.

والحديث يعود الى ما قبل خمس سنوات حين سألت هذا الفلاح عن رأيه في ثورة شعبنا الكوردي فرد هذا الرد الطريف:

- تستطيع ان تعرف اوان الدجاجة لبيضتها حين تراها تكثر من النقيق والبحث عن ركن أمين منزو. تذهب من الحوض الى السطح. ومنه الى التنور فالمتبن ثم تعود الى المنزل باحثاً عن ركنها. لكنها مهما سعدت ونزلت. ومهما صرخت وهربت وصاحت.. لايد ان تضع والا تموت بالأمها.

وحقوق الكورد في اجزاء كوردستان هي البيضة.

اطمنن يا بني.. ثق بحديث عمك. لايد ان تضع الدجاجة بيضتها والا تموت بها..

بينما تظل البيضة بيضة وتفرخ عن دجاجة.

لا ادري هل كان لحديث صديقي الفلاح أثر في التوصل الى حل للمعضلة القديمة.. البيضة من الدجاجة أم الدجاجة من البيضة؟

صوت

العدد (٩٩٤) الثلاثاء ٢٨ آذار ١٩٧٢

قراءة جديدة

كم مرة سرنا على الارض ذاتها ثم عدنا ذات يوم الى نفس النقطة لنكتشف كنزاً أو منجماً؟ وكم مرة أجتزنا نفس النهر قبل ان نفكر في تحويل مجراه لزراعة بساتين جديدة. وكم مرة قلبنا تربة بمحاريثنا قبل ان نعرف انها اصلح للزيتون منها للقمح والزيتون اجدى وأهم؟

نظل ندرس نفس الاشياء تقريباً لكن نعود اليها في كل مرة بأفاق ورؤى جديدة. نحن نحرق نفس الأرض انما بأساليب وادوات جديدة أحسن. كأنناً في كل مرة ننقد انفسنا ننقد وسائلنا وامكانياتنا وخبراتنا للتوصل الى نتائج اصح واسلم.

يقول مفكر كبير: ان المعرفة هي الاقتراب اللامتناهي الابدلي للفكر نحو الشيء. يجب ان نفهم انعكاس الطبيعة في فكر الانسان ليس كشيء جامد مجرد بدون حركة بدون تناقضات وانما كعملية تطور ابدية للحركة لولادة التناقضات وحل هذه التناقضات.

صوت

العدد (٩٩٥) الاربعاء ٢٩ آذار ١٩٧٢

شموخ كادح

سأعيش في المدينة حراً
أمشي شامخاً
أمشي بكل قامتي
أشمخ على العمارات
وكل الاعمدة..
لن نعلوني الا راية الكادحين^(١)
سأعيش ملء فكري
ملء قلبي..
لن انطوي في الظلمات
لن اتقهقر..
لايهم ان نالتني رصاصة
عاصف
خنجر مسموم..
لايهم..
سأعيش شامخاً، شامخاً
مرفوع الجبهة
ملء المدينة.
وملء أكف الكادحين ضياء
وقوس قزح..
وراية كتب عليها النضال..
يزهر الثلج حين تشرق راية الكادحين.

(١) الكدح: كناية عن العمل الشريف الخلاق، بما يعني الأبداع.

صوت

العدد (٩٩٦) الخميس ٣٠ آذار ١٩٧٢

١

والفولاذ سقيناها

العنوان هو اسم رواية كتبها الكاتب السوفيتي -اوستروفسكي- في لحظة حرجة من عمره حيث اقعه المرض فعجز عن مواصلة النضال. وفكر بهذه الطريقة: ما جدوى حياتي ما دمت عاجزاً عن النضال؟ لم يعد لوجودي معنى. لأن النضال هو معناه الوحيد. ما العمل؟ سأنتحر. لكنه في اللحظة الحاسمة انتصرت ارادة الحياة. قرر ان يحيا وان يناضل لكن بأسلوب جديد هو ان يكتب رواية تتضمن تجربته النضالية. عاد مناضلاً فكتب.

هذا هو مضمون الرواية وبطلها المسمى -باقل- ينتصر رغم اصابته بالعمى في اخريات ايامه. حازت روايته على أعلى جائزة ادبية. هكذا فالفولاذ سقيناها!

٢

اخرج الى الهواء الطلق

في الساحة الكبيرة تظللني غيوم شفافة واسراب وطيور. يمكنني ارتياد هذه الساحة يومياً. لماذا انطوي على نفسي في غرفتي؟ هنا الشباب يتراخضون لاعبين لاهين. ثمة نداء غامض يهتف بي: اسكت: كفى.

انتقل من اجواء الرومانسية الحاملة الى هذا الواقع الجميل. الى الهواء الطلق.. الى الفضاء الواسع حيث يلعب الاطفال كرة القدم ويسبح الماء بهدوء.

صوت

العدد (١٠٠٣) السبت ٨ نيسان ١٩٧٢

الحياة.. الحياة

١

ذا يوم آخر اعيشه.
اليس جميلاً ان ارى السماء في نهار آخر؟
واتنفس ملء رئتي؟
وأسمع الناس يهمسون ويغنون؟ يعبسون ويضحكون؟ يتشاجرون ويندمون؟
يا معبد السلم! يا معبد المحبة
زين جدرانك بأكف من حناء وارفع على قبتك راية بيضاء وحول سياجك الف
راية خضراء.. الف زيتونة..
يا معبد الحب. يا معبد الحرية..
جنتك اطلب مرادي.. اطلب الطمأنينة..

٢

امشي وعلى جدار الضريح يرتعش ظلي.
بعد خطوة اخرى سأقدم اوراقى وانتظر
هل سيقبلني الكاهن في المعبد؟
هل يقبلني الشعب؟
ايها الشعب! انت الحب. انت الحرية.

صوت

العدد (١٠٠٤) الاحد ٩ نيسان ١٩٧٢

-اتمنى لكم دوام التفتح وزيادة في العطاء لأن الشجرة الخيرة لاتبخل بالظلال والثمر..-

كلمات صادقة بسيطة على بطاقة عيد بمناسبة نوروز.. تطلب مني دوام العمل. دوام الانتاج.

هذا الصديق المخلص يحفزني ابداً. هو واحد من كثيرين يشحنون ارادتي بالتشجيع.. وواحد من قلائل تربطني بهم صداقة سامية منزهة من أي اعتبار سوى اعتبار الانسانية.. اعتبار كوننا بشراً فحسب. جاعني يوماً مع صديق آخر فتحدثنا عن السياسة والماضي والادب والفكر والكتابة والهويات ثم وقف امام كلينا وقال:

- كم انا سعيد بلقائكما! ها هنا يجتمع صديقان لم يعرفا بعضهما سابقاً وربطهما لقاء روعي هو اسمى ما يمكن ان يصل بين الناس!

والحديث عن اللقاء الروحي هنا بعيد جداً عن أي اعتبار ديني أو معتقدي او قومي^(١). انه لقاء شخصين ينتشيان بالعمل الفكري.

كان سقراط يجد قصوى نشوته في العمل الذهني.. في الابداع. ولست ازعم اننا سمونا الى عبقرية سقراط. لكننا حتماً بلغنا المرحلة التي نذوق فيها سعادة العمل الذهني.. سعادة الابداع الفني.

ومن المنطقي جداً ان نسمو على سقراط ايضاً. فنحن أكثر تقدماً منه بلاشك.

(١) جيئنا بعد سقراط بعشرات القرون، فالمفروض هو ان نتقدم عليه، لأننا عشنا بعدة عشرات القرون من التجربة وأنفتاح المعرفة والحكمة. وهكذا يفترض ان يكون اللاحقون أكثر تقدماً منا وأسمى نضوجاً.

صوت

العدد (١٠٠٥) الاثني عشر ١٠ نيسان ١٩٧٢

ضقت به في البداية

ثم شعرت بالعطف عليه وبدا لي ان العطف اهانة له.
فالأولى بي ان اشاركه الألم. كان يعاني قضيته الخاصة:
بؤسه وعجزه عن اسعاد عائلته وما يصاحب ذلك من منغصات! فاصغيت اليه
باهتمام. قلت لنفسي: دعه يتكلم. دعه ينفس عن همومه. دعه يلقي عليّ باحمال
متاعبه.

انا أيضاً ابحت احياناً عمن أصب على رأسه شلالات الأمي. هكذا البشر...
كل منا ضروري وجوده للآخر. نحيا ونقتسط معاناتنا بالتكافل والتضامن!
نستظل بدفء الصداقة فننتلق ونفك قرية الألام لنسكبها بغية التخلص منها..
قرأت مرة ان كاتباً كان يذهب الى البرية وحيداً ويحفر حفرة صغيرة ثم يلقي
على الحفرة كل ما يجيش في ذهنه من اسرار وآلام. وحين يفرغ من ذلك
يواريهها التراب فيعود خفيف الحمل منشراحاً! كم هي سامية مهمة بعث الثقة في
انسان على وشك السقوط! كان صديقي يبحث عن حفرة يواريهها تشنجات
وجوده.

ارخيت له عنان السمع وتركته يتحدث ويتحدث الى ان اغرورقت عيناه ثم
مسحهما بباطن كفه وابتسم قائلاً:
- اعدزني! فقد انزاحت بعض همومي عن نفسي..
خطر لي آنذاك انني حفرة جيدة!

صوت

العدد (١٠٠٧) الاربعاء ١٢ نيسان ١٩٧٢

مد يده الى جيبه وقال باستحياء!

- معذرة! وضعت باقة الورد في جيبي خوفاً من ان يصير حملها علناً اذاعة؟
اخرجها وبعضها مطوية التويجات والباقة ملفوفة في قطعة من جريدة فيها
بقية قصيدة نثرية واعلان عن بيع عقار وكلمة شكر من مريض بمناسبة خروجه
سالماً من تحت مبضع طبيب.
استلتمت الورد فرحاً. هاهو الربيع يتسلل الى ردهتي رغم صقيع العزلة. كان
ذلك منذ عام.
وتتالت باقات ورود الورد والرازقي والياسمين والفل.. والنرجس طوال الربيع
الماضي.

جاعني صديقي يوماً وقال:

- أسفاً! فقد ذبلت الحديقة ورشت بالمبيدات!

ايها الداء لماذا تحل هكذا بلا ميعاد؟

سلاماً أيتها الحديقة التي شاركتني ربيعاً كاملاً!

سلاماً أيتها اليد الانسانية الرفيعة التي جنت لي الورد ربيعاً!

سلاماً ايها الانسان.. ايها المجد الحقيقي!

صوت

العدد (١٠٠٨) الخميس ١٣ نيسان ١٩٧٢

انت تلمس في ذاتك قوى مطمورة تتململ باحثاً عن مخرج الى النور بينما واقعك سجن. امكانياتك الفعلية اسار. فتختنق حبيسة.

وانت تشعر بقابليات كثيرة يزخر بها وجودك الا انك لاتجد حقلاً خصيباً مناسباً تنمو فيه وتتسامق القابليات فتتكمش.

انه الصراع اليومي الذي تعانيه بين الامكان والواقع، بين الحلم والتحقيق، بين الرغبة والاشباع. لابس! فبقايا الاستغلال والتخلف المتكلس تكبل قوى وقابليات الشعب كله. والمنقذ هو مزيد من الانفتاح الاقتصادي والاجتماعي.. وتغيير العلاقات الانتاجية تغييراً تقيماً. واشاعة الديمقراطية^(١).

فانت لاتعاني بوحك لذلك لا يجدي سلوك الصراع الفردي من أجل موقع قدم، وحتى عند عثورك على هذا الموقع فسرعان ما ترحزك قوة التيار الهادر للتطور الاجتماعي. موقعك الأساس هو في النضال الجماعي من اجل حياة افضل.. من اجل التنمية. من اجل الديمقراطية .

وحين تدرك ذلك ستقاوم اغراءات الانتكاسة حتماً.

انظر كيف يشق الفطر وجه التربة!

انظر الى الخرنوب^(٢) هذه النبتة العجيبة كيف ترسل جذورها عميقاً عميقاً.

انت انسان. انت اقوى من الفطر واعمق جذراً من الخرنوب.

(١) لاحظ تأريخ هذه اللوحة وكيف كنا- ما أمكن- نطرح تصوراتنا عن المستقبل.

(٢) الخرنوب، نبتة برية في المناطق الحارة نسبياً، سيقانها قصيرة بالكاد تزيد عن قدم، ذات أشواك وأوراق صغيرة وثمره بحجم التمر في الربيع تتحول الى اللون البني حين تجف صيفاً... يتغذى منها بعض الناس في الريف. وهي عميق الجذور قد تمتد عدة أمتار تكشف عنها السيول الربيعية التي تشق الأنهار فتظهر الجذور كأوتاد طويلة يقطعها الناس ويجمعونها لأنها حطب مفيد كوقود. وأظن ان ثمارها النيئة الخضراء مفيدة لبعض العلاجات كما كان طبيب شعبي يقول. يشوونها أحياناً للأكل.

الفصل السابع عشر
ذا يوم آخر أعيشه

صوت

العدد (١٠٠٩) السبت ١٥ نيسان ١٩٧٢

١

لن اصير جريدة يومية للفكر المنهار.
هناك فعلاً مواقع رخوة في حياتنا.. مواقع مهزوزة في اعماقنا.
الا ان الجانب الآخر والانساني من وجودنا زاخر بالمواقع الصلبة المتماسكة
المتينة. يكفي ان نلتزم بالحياة كما هي بهدف تغييرها نحو الأحسن.. نحو ما
ينبغي ان تكون عليه، حتى نمسك بالجوانب المشرقة من وجودنا.

٢

الوفاء سيد القيم.
نعاني من الخرق المستمر لقاعدة بسيطة جداً - مهمة جداً في الوقت - من
قواعد العلاقات الاجتماعية، هي الايفاء بالوعد والالتزام بالقرارات سواء تلك
القرارات التي نتخذها مع الآخرين، او تلك التي نتخذها بأنفسنا ومع انفسنا.
في لحظة الشعور بالثقة المتزايدة بالنفس نعلن لأنفسنا - مع انفسنا - قرارات
عديدة ثم سرعان ما نتراجع عنها بدون ان نخطو خطوة واحدة نحو تنفيذها،
هذا التردد والتأرجح بين اتخاذ القرارات ونسيانها، وهذا التنصل المستمر من
الوعد سمة غالبية طاغية على كثير من تصرفاتنا اليومية مما يجعل حياتنا أكثر
قبحاً وتشويهاً ومقتاً.

- قرر ثم نفذ. قرر ثم نفذ. قرر ثم نفذ. ولا تتردد.
هذا قانون بسيط للتقدم في أي عمل ولتحسين أية علاقة مع الآخرين.
اما حين يتعلق الأمر بالعلاقة بين مؤسسات وقوى من جهة وبين الناس من
جهة اخرى فيكتسب هذا القانون أهمية كبيرة بعيدة النطاق.

صوت

العدد (١٠١٠) الاحد ١٦ نيسان ١٩٧٢

١

ثمة نزوع متزايد القوة نحو اختزال مطالبي يفرض نفسه يوماً بعد يوم..
اختزال مطالبي اليومية الى: خبز ولعبة شطرنج ومواصلة الكتابة كعمل منتج -
ذهني- . وقراءة جريدة يومية وقبضة خضراوات طرية نظيفة.
لست زاهداً في الحياة عن ورع ديني او تقوى أو طعماً في جنة أخرى. لا.
انما الاكتفاء -وليس القناعة الذليلة- امر رائع.
فالحرمان عن وعي وتحمله بلذة واختيار هو صك البراءة والطهر في عصر
الاغراء المشينة.

سيبا درني قائل: لكن العصر هو عصر الحياة.. عصر انتصار الانسان.
اجل انه لذلك فعلاً.. الا ان الاغراءات الساحرة تشوه في انسان العصر
حاسة التمتع بحياته اليومية الطبيعية. ومثل هذه الاغراءات ليست أبدية خالدة
بل هي سمة مرحلة معينة من التطور الاجتماعي سنتعدو الحياة بعدها مغرية بكل
ما فيها وحينذاك لا يبقى على الارض أي اغراء يطمس اغراء الحياة ذاتها وحبها
والشوق اليها بحرارة صادقة.

٢

يوم آخر يمر واجزاء كبيرة من البشرية تعاني الاستغلال طبقياً وقومياً
وعنصرياً.
يوم آخر يمر وملايين الأطفال لا يعيشون الطفولة وملايين الامهات مسلوبات
حقوق الأمومة الصادقة.
جريمة..

صوت

العدد (١٠١١) الاثنى عشر ١٧ نيسان ١٩٧٢

١

ذا ميعاد الامتحان:

ان نعبّر الجسر أو نسقط في هاوية الجحيم.
الجسر دقيق.. كالشعرة.

لن يجتازه سوى أمهر اللاعبين. هنا لا تردد ولا رجعة. كل الطرق الخلفية
مسدودة. اما العبور او السقوط.

هكذا منطلق الحياة الذي لا يرحم، ولا رحمة في الحياة. ان هناك حياة أو لا حياة.
هل نواصل تعميق مجرى التحول الاجتماعي؟

هذا هو السؤال الاول في الامتحان. كل عروقنا ونبضاتنا واحلامنا وتطلعاتنا
ترد بالجواب، اجل! سنواصل ذلك.
لكن من الذي سيعبر ومن يسقط؟^(١)

٢

شيرين! كم هو باهظ ثمن حبك!

ان يشق -فرهاد- جبل -بيستون- ويفجر من صخره ماء؟^(٢)
شيرين! ايتها الحياة..

لم يكن -فرهاد- يوماً يريد هذا الامتحان.

(١) إشارة الى اشتداد الصراعات الاجتماعية والسياسية آنذاك (١٩٧٢) والأحتمالات...
(٢) إشارة الى التراخي الكوردية الاسطورية (شيرين و فرهاد)... أشرتت شيرين
على حبيبها فرهاد أن يشق جبل بيستون قرب كرماشان ليفجر ينبوعها يجري ماؤه
في الجدول الجبلي. كان امتحاناً مستحيلاً كلف العاشق حياته. وهي اسطورة
شعرية باللغات الكوردية والفارسية والتركية وغيرها.

صوت

العدد (١٠١٢) الثلاثاء ١٨ نيسان ١٩٧٢

الشاعر الكوردي -سلام^(١) - يخاطب شقائق النعمان:
- عجباً! كيف تطلين من الثرى حمراء قانية؟ الا تخجلين من حمرة دم
الشهيد؟

ايها الشاعر سلام:

اليست في اعماقنا مستنقعات؟ الا تنبت حولها ورود جميلة ايضاً؟
ها نحن نحبي بعضنا تحيات الصباح ونضحك ونبتسم ونأكل ونعيش مما
نتتجه -بعضنا لبعض- اليست حول المستنقعات ورود؟
وكم هي جميلة هذه الورود التي تشمخ فوق النتانة والركود!
فليس تفتح الشقائق مخجلاً -ايها الشاعر الكبير-.
والحياة جميلة هكذا. دم الشهيد والشقائق والسحابة والجفاف والاضرار
والورود التي تتحدى قُبْح المستنقعات.. كل ذلك تحت الشمس ذاتها.
وللشقائق ان تفخر بأن لونها من لون الدم النقي!
وهكذا لون خجل صبية قروية عذراء!
انها الحياة تعطي وتؤخذ
ترزع وتحصد.

(١) شيخ سلام من الشعراء الكلاسيكيين في أربعينيات القرن العشرين.

صوت

العدد (١٠١٣) الاربعاء ١٩ نيسان ١٩٧٢

انت ترمي الشبكة فلا تصطاد سوى ماء.
وتطلق النار فلا تصيب سوى هواء..
وتظل ترمي الشبكة وتطلق النار الى ان يحل المساء وتعود الى المنزل متعباً
مرهقاً..

اذا كانت السمكة الكبيرة تبتلع الصغيرة فماذا يجني الصياد؟
للمرة الاولى بعد الألف يعود الصياد فارغ الكيس.
لاسمكة.. لا لؤلؤة.. ولا عروس بحر.
بينما البحر المزيد يعد بالعطاء.. واين العطاء؟
والشمس تعد بالنور. ولا نور..
ولكنك تواصل القاء الشبكة في البحر.. وتنتظر.
حسناً تفعل..

ستتقدم اليك البحار كلها - يوماً- لتلقي تحت قدميك بأجمل وأثمن ما تكتنز
منذ تكونت البحار..
ايها الصياد الباسل..

صوت

العدد (١٠١٤) الخميس ٢٠ نيسان ١٩٧٢

١

كي تكفر عن ذنوبك.
لاتلمس حجراً ولا تقبل التراب.
هيا اعط النضال ذلك.
النضال ثمن التوبة الحقيقية. تطهر بالعمل الطيب من اجل الخير والسعادة
والسلام^(١).

٢

انظر. كم هو عظيم هذا الشعب!
يتجاوز واقعه ويدفع بأبنائه الطيبين الخيرين الى التلاحم الكفاحي^(٢).
يغسل جراحه وينهض قوياً شامخاً يبني وطناً أجمل.
عظيم هذا الشعب.
طيب هذا الشعب.

٣

هل ينبغي ان لا ارفض مكافأة اذا كان يستحيل عليّ رفض عقوبة؟
من الطريف الا يستطيع احدنا رفض أية عقوبة -حتى من ذاته- بينما هو حر
في رفض أية مكافأة.
الحياة مكافأة والموت عقوبة.
انا ارفض الموت، إذن...
ولن ارفض الحياة ابداً.

(١) فلسفة الحكيم زردشت تقرر ان العمل الطيب هو انبل توبة.
(٢) كان ذلك حين توحد الناس ثقة منهم بحكمة مصطفى البارزاني.

كفى تذلاً! كم سجدت خاشعاً وعفرت جبينك بموطيء الاقدام!
كم مسحت التراب الاخرس والاصم بشفتيك!
ارفع رأسك وأمش شامخاً.
دع الطبيعة كلها بمائها وترايبها وورودها تقبل قدميك.
دع النسيم والندى..
دع الشفاه وحدها تلثم شففتيك
وملء كفيك عطر حب وحناء عرس.
ايها الصديقون...
الحياة. الحياة.

صوت

العدد (١٠١٩) الاربعاء ٢٦ نيسان ١٩٧٢

١

عزيزي: كفى تأنيباً لذاتك وتقريعاً لضميرك.. مافات قد فات.. والفعل هو القانون الاساس للحياة..
اعمل متجاوزاً واقعك ومتخطياً ماضيك..
لايهمني من كنت انت وما كنت عليه.. ولايهمني ما تريد ان تكون عليه..
انما يهمني فقط ما انت عليه الآن فعلاً..^(١)
كن انت.. فالحياة ليست جديدة بالدرجة التي تخالها في رسائلك التي تنهال فيها بالسياط على ضميرك المعذب..
فك وثاق ضميرك المصلوب وانزله ليرتاح.. انت انسان..

٢

- انا خجل من جرائمهم
يقول جندي امريكي هارب من جحيم الحرب في فيتنام^(٢):
- انا خجل مما اقترفته يداي..
هذا هو جحيم الضمير

(١) في وداع انسان كانوا يتقولونه حول ماشاؤوا من نهم وسوء، لكنه بدا لي صافي السريرة، نقي الجوهر، فكنت اتغاضى عن كل شيء. وطالما بحثت في الاصدقاء والزملاء حولي عما هو جميل ونقي فيهم رغم مظاهر السوء والأقاويل. كنت اتحاشى النظر في الجوانب السلبية القبيحة وابحث عن الأيجابي الجميل الكامن حتماً في كل انسان. فكنت دائماً، علناً او سراً، اختلف عن تقييمات الآخرين لأي انسان كائناً من كان... واغفر له كل شيء، سواء عرفته أو جهلته. وما زال على ذلك الطبع رغماً عني... وزادتنني الايام رسوخاً في قناعاتي.
(٢) نقلاً عن الصحافة آنذاك.

ايها الطغاة: سيخجل ابناؤكم واحفادكم عن ذكركم غداً وحين يذكرونهم بكم
يهربون مطاطئين رؤوسهم..
ايها العار الاسود الذي يقطر من انياب الاستغلال متى ينضب معين سمومك
التي سممت اذهان وحياة اجيال واجيال؟

صوت

العدد (١٢٢٧) - الاثنين ١ كانون الثاني ١٩٧٣

صيورة دائمة

ما أشد عذابي اذ تمرقني التقاويم الى ايام.. وأشهر وأعوام.. وقرون!
ليس لي تقويم!
انا صيورة دائمة
اتقمص الفكر.. ويتقمصي التراب
اتقمص النبي.. ويتقمصني الصنم
فانا صيورة دائمة
دم ساخن جار، تقطبية، بسمة، نداء، قفزة، وجد في رعشة..
ماء.. حكاية، صداقة.
انا صيورة دائمة..
تحوم التقاويم تمرقني.
ايها المحتفلون بالحياة، تحياتي..
الى الملحنين والعازفين، والسكري، والسقاة..
والفلاحين، والخيام وابي نؤاس، ومولوي..
والسجناء والعاطلين..
تحياتي الى الوعود الجميلة الكاذبة
والى البصمات المتلاحقة للأم التي تضع طفلاً في مكان ما على الارض في
هذه اللحظة المرتعشة..